الحركة الأباضية

في المشرق العربي

تأليف

مهدي طالب هاشم

دار الحكمة
لندن

الحركة الأباضيّة

في المشرق العربي

● الحركة الأباضية في المشرق العربي

● مهدي طالب هاشم

● طبعة أولى تموز ٢٠٠١ م

● طبعة ثانية ٢٠٠٣ م

● الناشر : دار الحكمة ــ لندن

88 Chalton Street, London, NW 1, 1 HJ
Tel: 0207 / 3834037 Fax: 0207 / 3830116

DAR ALHIKMA
Publishing and Distribution

88 Chalton Street, London NW1 1HJ Tel: 44 (0) 20 7383 4037 Fax: 44 (0) 20 7383 0116

E-Mail: al_hikma_uk@yahoo.co.uk Website: www.hikma.co.uk

الحركة الأباضيّة

في المشرق العربي

تأليف

مهدي طالب هاشم

دار الحكمة

لندن

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أتقدم بخالص شكري وتقديري إلى أستاذي الفاضل الدكتور فاروق عمر فوزي على الجهود القيمة التي بذلها معي في إعداد هذه الرسالة، ولما كان له من فضل في اقتراحه وتنبيهه على دراسة هذه المنطقة من وطننا العربي والإسلامي، كما وأتقدم بجزيل الشكر للأستاذ حسام قوام الدين الذي أعانني في تسهيل مهمة البحث، كما أتقدم بالشكر الجزيل للشيخ محمود بن زاهر الهنائي وأسرة الإمام غالب بن علي لتوفيرهم بعض المخطوطات النادرة التي كان لها دور كبير في البحث، كما واثني على الحاج إبراهيم اطفيش المدير في دار الكتب المصرية على المساعدات القيمة التي أسداها لي ولا يفوتني أن أشكر الإخوة العاملين في قسم التصوير في دار الكتب المصرية وموظفي قسم المخطوطات. كما وأشكر جميع الإخوة الذين أعانونني في هذا البحث وأخيرا نبتهل إلى الله العلي القدير أن يهدينا سبيل الرشاد، هو مولانا عليه توكلنا وإليه ننيب.

مضامين البحث

تميز القرن الأول الهجري بظهور البواكير الأولى للتيارات السياسية في العالم الإسلامي. وقد أولى الباحثون المحدثون أهمية كبيرة في دراستهم للأحزاب التي مثلت قوى المعارضة السياسية والعقائدية للدولة الأموية وبقدر ما يتعلق الأمر بالخوارج فقد برزت دراسات ركزت على الناحية السياسية مثل دراسة فلهاوزن[١] ودراسة الدجيلي[٢] على أن هذه الدراسات اقتصرت بصورة خاصة على القرن الأول الهجري. ولذلك فإن تطور الحركة الخارجية لا سيما في القرنين الثاني والثالث الهجريين وما بعدهما تفتقر إلى الدراسات الجادة.

إن هذه الفرق [illegible] وارج) قد تطورت من الناحيتين العقائدية والسياسية ولا يستطيع الباحث إدراك مدى التعقيد السياسي والعقائدي للحركة الخارجية ما لم يلاحق تطورها في القرون التي تلت القرن الأول الهجري كما أن هذه الدراسات لم تؤخذ بوجهة النظر الخارجية من الناحية السياسية لعدم اعتمادها على مصادر كتبها أو ألفها كتّاب خوارج.

كما اتسمت هذه الدراسات بالتأكيد على جانب الأبعاد السياسية

---

(١) انظر على سبيل المثال: فلهاوزن، يوليوس، الخوارج والشيعة، ترجمة، عبد الرحمن بدوي، (القاهرة، ١٩٦٨).

(٢) الدجيلي، محمد رضا، فرقة الأزارقة، (النجف، ١٩٧٣).

العسكرية، ولم تتطرق لدراسة مرحلة الإعداد السري للدعوات الخارجية.

فنحن لا نعرف كيف كان يعمل المحكمة الأول وما تلاهم من الفرق الخارجية. إنّ دراسة الدعوات التي اعتمدت على تنظيمات سرية ضرورة هامة من الناحية السياسية لأنها تلقى الضوء على عبقريات سياسية مغمورة كانت تدير التنظيمات السرية من وراء ستار، وتمهد سبيل انتشار أفكارها العقائدية، ولهذا حاولت إظهار الدور الجماعي لقادة الدعوة الأباضية كل حسب أهميته في النشاط السياسي، مؤكدا المواهب القيادية التي تميز بها بعض الأشخاص على البعض الآخر.

إن مثل هذه الدراسة والعناية بها تمكننا من معرفة سير التيارات السياسية وقوى الدفع الحقيقية التي توجه علاقتها وتربطها بالتيارات السياسية الأخرى.

إن البحث الذي تتضمنه الرسالة دراسة سياسية تاريخية تلقي الضوء على دعوة لا تزال مغمورة هي الدعوة الأباضية في الفترة المحصورة بين عام ٦٤هـ فتحى سنة ٢٨٠ هـ/ ٦٨٣ـ ٨٩٣م. إذ كان لهذه الدعوة دور سياسي فعال في أواخر عهد الدولة الأموية، بل أنها كانت أنشط الحركات الخارجية في العصر العباسي سواء في المشرق العربي أو في المغرب العربي، ولهذا كان من الضروري دراسة هذه الدعوة من الناحية السياسية لأنها الدعوة الوحيدة المتبقية حتى يومنا هذا، وقد تركت أثراً كبيراً في التاريخ السياسي المعاصر لإقليم عمان والخليج العربي. ولهذا لا يمكننا دراسة التاريخ السياسي المعاصر لهذه المنطقة ما لم ندرس الجذور التاريخية للدعوة الأباضية التي طبعت تاريخ هذه المنطقة بطابعها العقائدي، وهكذا كان اختيارنا لدراسة الدعوة الأباضية في المشرق العربي بعد توجيه من الأستاذ المشرف الدكتور فارق عمر وتأكيده على دراسة هذه المنطقة من وطننا العربي وعالمنا الإسلامي.

لقد جعلنا عنوان الرسالة الدعوة الأباضية في المشرق من سنه ٦٤هـ حتى

سنة ٢٨٠هـ لأن هذه الدعوة شملت بنشاطها المغرب أيضاً في الفترة موضوعة البحث. أما مصطلح المشرق فهو في هذة الدراسة نعني به هنا الإصطلاح المحدود الرقعة من الناحية الجغرافية والذي أطلقه أباضية المغرب على الأباضية القاطنين شرق المغرب ويعنون به أيضاً أباضية البصرة وعمان بشكل خاص(١) وابتدأ البحث من عام ٦٤هـ / ٦٨٣م لأن هذا التاريخ يمثل المنعطف الكبير في تاريخ الحركة الخارجية إذ بدأ الخط المعتدل من المحكمة الأولى بالتبلور رافضاً الأفكار المتطرفة التي طرحها الأزارقة والصفرية وغيرهما من الحركات الخارجية وتمثل هذا الخط بالدعوة الأباضية.

أما اختيارنا لسنة ٢٨٠/ ٨٩٣م نهاية للدراسة التي تتضمنها الرسالة فلأن هذا التاريخ يمثل سقوط الكيان السياسي للإمامة الأباضية الثانية التي أقامتها الدعوة الأباضية بعمان حيث سيطر العباسيون على بعض اجزائها وبداية وهن أصاب الدعوة الأباضية حتى منتصف القرن الرابع الهجري.

أما صعوبات البحث التي اعترضتني فهي تعترض أي باحث في هذا الموضوع تتمثل بندرة المادة التاريخية عن الدعوة الأباضية أولاً، وندرة المصادر السياسية عن دعوة الأباضيين ثانياً، ويكفي أن تقول أنه لا يمكن لأي باحث أن يعد دراسة واضحة عن هذا الموضوع فيما لو اقتصر بالإعتماد على كتب التاريخ العام (الحولي) التي اعتاد الباحثون الاعتماد عليها إذ لا تتوفر فيها مادة تاريخية عن هذه الدعوة باستثناء بعض الإشارات الغامضة التي لا تتعدى أسطراً قليلة. ومن هنا فلا بد من البحث عن مصدر آخر لهذه الدراسة فكانت المخطوطات التي ألفها الكتّاب الأباضية خير عون لنا في إعداد هذه الرسالة

(١) أطفيش، محمد بن يوسف بن عيسى، الأمكان فيما جاز أن يكون أو كان(الجزائر، ١٣٠٤ هـ) ص ١١١. ومعنى هذا التزامنا بدراسة الدعوة الأباضية في البصرة وعمان وفقاً لهذا المصطلح الجغرافي.

وهنا تواجه الباحث مشكلة كبيرة وهي التعرف على الأعلام، الذين قادوا النشاط السياسي وانتماءاتهم القبلية والفترة التي عاشوا فيها، كما أن هذه المخطوطات لم تقدم عنها دراسات سابقة تقيم الدليل على علميتها ولما كان الباحث مسؤولا عن علمية هذه المصادر فلا بد من إجلاء الغموض الذي اكتنف الأعلام الذين ألفوا هذه المصادر.

ولما كانت هذه المصادر مؤلفة من كتب السير والفقه وكتب التاريخ المحلي فقد ظهرت مشكلة جديدة وهي عدم التمكن من تحديد تاريخ ثابت كما هو الحال في كتب التاريخ الحولي، ولهذا السبب لم نتمكن من تحديد تاريخ ثابت لنفي الدعاة إلى عمان أو سجنهم من قبل الحجاج بن يوسف الثقفي. وكان من الصعوبة بمكان تحديد التاريخ الذي دخلت به الدعوة إلى المغرب، كما أن هذه المصادر تقدم لنا معلومات واضحة عن النشاط السياسي للدعوة الأباضية بعد وفاة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وخلفه الربيع بن حبيب بن عمرو الفرهودي في البصرة وما هو جدير بالذكر أن المصادر العمانية تكاد تسكت في أخبارها ما بين سنة ١٣٥ حتى سنه ١٧٧ للهجرة وهي فترة نشط فيها الدعاة الأباضية وأسسوا الكيان السياسي للإمامة الثانية عام ١٧٧هـ/ ٧٩٣م سوى بعض المعلومات القليلة التى لا تمكننا من رسم صورة واضحة لتفسير الأحداث والتي شملتها هذه الحقبة من تاريخ عمان السياسي.

لقد اقتصرت دراستنا على الجانب السياسي، لعدم وجود دراسة فيه من جهة، ولأن هذه الفرقة قامت على أساس سياسي بحت يتمثل بوجهة نظرها للإمامة الإسلامية، ثم أن استعراض جميع النشاطات الفكرية والإدارية والإقتصادية يحتاج إلى بحوث طويلة ودراسات مسهبة للاحاطة بها ولهذا اقتصر دورنا على الجانب السياسي من الأباضية إضافة إلى الأبعاد السياسية لعقيدتهم.

يقع البحث في سبعة فصول وعدة ملاحق:

تناول الفصل الأول بالدراسة والتحليل للمصادر الأصلية التي اعتمدنا عليها في إعداد هذا البحث، ذلك لأن المصادر الأباضية أغلبها مخطوطة ولم يتنسى للباحثين تقديم دراسات علمية من هذه المصادر ومواردها وهنا تمكن أهمية إفراد فصل خاص لدراسة هذه المصادر فهو يلقي الضوء ولأول مرة على حد علمنا على أهمية المصادر الأباضية وخاصة فيما يتعلق منها بتاريخ عمان في الفترة موضوع البحث. كما عرّفت في هذه الدراسة بالأعلام الذين ألفوا هذه المصادر مؤكداً أن تاريخ عمان قد كتب ولم تصلنا مصادره نتيجة لإنعدام الجهود المبذولة في استقصاء هذه المصادر المخطوطة في المكتبات العمانية وحوازتهاالعلمية، إذ إن الإجتهاد لازال مفتوحاً لدى علماء الأباضية حتى يومنا هذا وفي مثل هذه الحالة تكثر المؤلفات والبحوث الفقهية وما يتعلق بها من دراسات أخرى تنتظر من يكشف عنها ويعرف بها للباحثين في تاريخ هذه المنطقة من عالمنا العربي ـ الإسلامي.

ولما كانت الدعوة الأباضية من الدعوات المغمورة في تاريخنا العربي والإسلامي من حيث المنشأة أو النشاط السياسي فقط تناول البحث في الفصل الثاني الجذور التاريخية لنشأة الدعوة الأباضية، بما في ذلك تسميتها بالأباضية، وعلاقة الأباضية بالدولة الأموية، مؤكدين على الدور الفعال للمنظمة الأباضية السرية في مرحلة الكتمان والتخفي ودور جابر بن زيد الأزدي (ت ٩٣هـ)، وخليفته أبي عبيده مسلم بن أبي كريمة الذي توفي في خلافة أبي جعفر المنصور في قيادة الدعوة الأباضية، إضافة إلى دور الدعاة الآخرين في النشاط السري في البصرة.

كما أكد البحث في هذا الفصل على الدور الكبير لمدينة البصرة مركز إشعاع الدعوة الأباضية، في نشر أفكارها في عمان والمغرب.

وخلاصة القول إننا تناولنا في هذا الفصل استعداد الدعوة للظهور بعد بناء نفسها الذي استمر زهاء نصف قرن من الزمان.

وفي الفصل الثالث من الرسالة تناول البحث بدايات النشاط السياسي للدعوة الأباضية في المشرق العربي ومحاولتهم تأسيس إمامة أباضية في عام ١٢٩هـ / ٧٤٦م إلا أن محاولتهم باءت بالفشل بعد أن استمرت لأكثر من سنتين إذ قضي عليها في عام ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م. وقد امتدت هذه المعركة لتشمل حضرموت واليمن والحجاز. كما تناول البحث العلاقة الوثيقة بين أباضية البصرة واليمن والحجاز وعمان.

وكانت عمان هي المنطقة الثانية التي أصبحت مسرحاً لنشاط الدعاة الأباضية بعد حضرموت واليمن. ولما كانت هذه الدعوة عميقة التأثير في تاريخ عمان السياسي فقد أفردنا ثلاثة فصول لدراستها، تناول الفصل الرابع بداية الدعوة الأباضية بعمان والظروف التي مهدت لقيام الإمامة الأباضية الأولى سنه ١٣٢هـ ـ ١٣٤هـ/ ٧٤٩ م ـ ٧٥١ م. وتناول الفصل الخامس من الرسالة قيام الإمامة الثانية ١٧٧ م إذ استطاعت الدعوة الأباضية انتزاع هذا الإقليم من الخلافة العباسية والقضاء على اتباعهم من آل الجلندي الذين أصبحوا قوى المعارضة للدعوة الأباضية في هذه الحقبة.

وقد تناول هذا الفصل بالدراسة فترة إمامة محمد بن عبدالله بن أبي عفان والوراث بن كعب الخروصي وغسان بن عبد الله وإمامة عبد الملك بن حميد من بني علي الأزدي حتى نهاية إمامة المهنا بن جعفر اليحمدي الأزدي سنة ٢٣٧ هـ / ٨٥١ م، وكانت عمان في هذه الحقبة قد نعمت بالهدوء النسبي والإستقرار السياسي كما كانت من الدول البحرية المهابة الجانب، وقد درسنا في هذا الفصل قوى المعارضة السياسية للإمامة الأباضية وعلاقة الإمامة الأباضية بالدولة العباسية.

وفي الفصل السادس تناول البحث بداية الضعف والوهن للإمامة الأباضية بعد إمامة الصلت بن مالك ٢٣٧/ ٨٥١ م حتى سنة ٢٧٥ هـ/ ٨٨٨ م إذ كانت هذه الإمامة قد ازدهرت سياسياً في مطلع إمامة الصلت بن مالك ثم بدأت بعدها الحرب الأهلية التي أدت إلى سقوط الإمامة الأباضية وعودتها إلى حضيرة الخلافة العباسية سنة ٢٨٠ هـ/ ٨٩٣ م.

وقد أكدنا على الأسباب الرئيسية التي أدت إلى زوال هذه الإمامة التي دامت أكثر من مئة عام.

وتناول البحث في هذا الفصل السابع من الرسالة الأبعاد السياسية لنظرية الإمامة الأباضية في هذا الفصل يكون سر من أسرار بقاء وديمومة الدعوة الأباضية ونجاحها السياسي في حين اختفت بقية الحركات الخارجية.

أما الملاحق: فهي تدعم البحث المقدم في فصول الرسالة من الناحية العلمية، وتناول الملحق الأول، ببليوغرافيا وصلتنا من القرن الثامن الهجري تقيم الدليل على ازدهار التراث الفكري للأباضية، ومن ناحية أخرى تؤكد علمية الروايات التي اعتمدنا عليها في إعداد هذا البحث.

وفي الملحق الثاني: دراسة لرسالة الإمام الأباضي أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وهي تقيم الدليل على وجود اتصالات سرية بين الدعوة الأباضية بالبصرة والمغرب.

ويتعلق الملحق الثالث بأسماء حملة العلم الأباضية الذين انطلقوا من البصرة لنشر الدعوة الأباضية بعمان.

الفصل الأول
نقد وتحليل المصادر

رغم أن الدعوة الأباضية كانت من أهم الحركات الخارجية المعارضة للخلافتين الأموية والعباسية إلا أنها لم تلق عناية من الباحثين مثلما لقيت الحركة الخارجية عموماً على يد بعض المؤرخين[١] والباحثين المحدثين[٢].

وقد اقتصرت هذه الدراسات على القرن الأول الهجري بصورة خاصة، لسهولة البحث فيها وتيسر مصادرها. في حين ترك الباحثون دراسة الأباضية في المشرق العربي وعمان خاصة، فيقول الدكتور فاروق عمر، مثلاً: لا زال تاريخ عمان، الوسيط منه والحديث على حد سواء، غير مكتوب... فلم يكتب المؤرخون عن هذا التاريخ إلا في النادر، وربما كان ذلك يعود إلى جملة أسباب نذكر منها: عدم توفر مادة تاريخية أو وثائقية كافية[٣].

ويشكو نيلينو قلة المعلومات المتوفرة «عن مذهب الأباضية الأول في الأجزاء الشرقية من بلاد الخلافة»[٤].

---

(١) فلهاوزن، يوليوس، الخوارج والشيعة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، (القاهرة، ١٩٦٨).

(٢) الدجيلي، محمد رضا، فرقة الأزارقة، (بغداد، ١٩٧٣).

(٣) د. عمر فاروق، ببليوغرافيا في تاريخ عمان، مجلة المورد، مج ٣، ع٤ (بغداد، ١٩٧٤) ص ٢٧٥.

(٤) مجموعة من المستشرقين، والتراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط ٣ (القاهرة، ١٩٦٥) ص ٢٠٩.

ولهذا كان الجهد كبيراً في الحصول على معلومات تاريخية تكشف لنا تاريخ الدعوة الأباضية في المشرق العربي وخاصة إذا عرفنا أن كتب التاريخ العام لا تشير إلا إلى الحركات المشهورة التي تشكل خطراً على السلطة المركزية كالحركة الأباضية التي شملت حضرموت واليمن وأمتدت إلى الحجاز في سنة ١٣ هـ / ٧٩٤ كما لاحظنا البلاذري والطبري والأزدي يتكلمون بإسهاب عن حوادث هذه الحركة، ولكن هذه المصادر لا توجد فيها سوى إشارات لا تتعدى أسطراً قليلة عن تاريخ الدعوة الأباضية في أطراف الخليج العربي الشمالية والغربية كالبصرة وعمان فكان لا بد من البحث عن مصادر جديدة لتوضيح الغامض من تاريخ هذه الدعوة فكانت كتب التاريخ المحلي خير عون لنا في إظهار ما خفي من نشاط سري وتوضيح المبهم فيما له علاقة ببحثنا.

ولما كانت أغلب هذه المصادر مخطوطة لذا سنقدم نقدا وتحليلا لطبيعة هذه المصادر وقيمتها العلمية كل حسب أهميتها وفائدتها للبحث الذي بين أيدينا.

آ ـ التاريخ المحلي.

١ ـ مخطوطة كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، لسرحان بن سعيدالأزكوي «مات في القرن الحادي عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي»

تعقيب:

الشيخ المؤرخ سرحان بن عمر سعيد الأزكوي في القرن الثاني عشر الهجري. حيث وقف بتاريخة في كتابه كشف الغمة حتى نهاية زعيمي الفتنة وهما الزعيمان محمد بن ناصر الغامزي وخلف بن مبارك (الملقب بالقصير) الهناتى وكانت وفاتهما سنه ١١٤٠ هجرية.

لم تجر لحد الآن دراسة عملية لتقييم المادة التاريخية لهذه المخطوطة باستثناء الدراسة المختصرة للدكتور فاروق عمر وهو أول من نبه إلى أهمية هذه المخطوطة في دراسة التاريخ المحلي لعمان[1].

والمخطوطة التي نتكلم عنها هي المخطوطة المصورة الموجودة بمكتبة الدراسات العليا بجامعة بغداد[2]. تقع المخطوطة في أربعين باباً تتضمن التاريخ المحلي لعمان بصورة خاصة، كما تشمل بعض الأبواب على سير علماء الأباضية وعقائدهم. وتقع المخطوطة في ٤١٠ آ ورقات أ بي ٨١٩ صفحة تبدأ المخطوطة «بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله الذي رفع السماوات بغير عمد وبناها[3]» وينتهي الكتاب بالعبارة التالية «ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم... فإنني لست بأهل للتصنيف.. والحمدلله رب العالمين... وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً»[4].

أما فيما يتعلق بمنهج الكتاب فيشير الأزكوي بقوله«قد دعتني الحاجة إلى جمع هذا الكتاب وتأليفه وتلخيص معانيه وتصنيفه وأن لم أكن أنا للتأليف أهلا وذلك لما رأيت أكثر أهل زمامنا قد غفلوا عن أصل مذهبهم الشريف، وقد رغبت أنفسهم عن قراءة الكتب التي أصلها السلف[5]».

ويظهر من نص الأزكوي إشارة إلى وجود كتب السلف التي اعتمد عليها ولخص معانيها.

وهنا تظهر القيمة العلمية لهذه المخطوطة التي اعتمدت على مصادر

---

(١) د. عمر فاروق، ببلوغرافيا في تاريخ عمان، مجلة المورد، مج ٣، ع٤ ص ٢٧٦.
(٢) مخطوطة مصورة بالفوستات تحت رقم ٢٠٠٥ ـ نفس المخطوطة مصورة.
(٣) الأزكوي، كشف الغمة، ورقة٢ أ.
(٤) المصدر السابق ٤١٠ أ.
(٥) كشف الغمة٢ أ.

مخطوطة في مادتها، ومما يؤسف له أن الأزكوي لا يرجّع الفضل إلى أهله فلم يشر من قريب أو بعيد إلى المصادر التي قام بجمع مادته منها دون جهد كبير[1]. وقام بنسبة الكتاب إلى نفسه ويحق له ذلك، ولكن لا يحق له أن يقول لنا في مقدمته وكأنه ابتدع أسلوباً أدبياً جديداً في كتابه التاريخ فجعل كتابه «ظاهره في القصص والأخبار، وباطنه في المذهب المختار، لأن الناس لقراءة الأثر لا يستمعون، ولإستماع القصص عن اللغو يتبنون فملت إلى رغبتهم لكي يكونوا مستبعين[2].

وعند المقارنة بين المصادر التي اعتمد عليها الأزكوي وجدنا أنه لم يضف إلى الأخبار ولم يصغها صياغة قصصية كما زعم في مقدمته. ولبيان ذلك سنتناول بعض هذه الأبواب التي نقلها الأزكوي كاملة دون أن يضيف إليها شيئاً اللهم إلا استعمال مرادفات تعطي نفس معاني الكلمات التي غير شكلها ولنبدأ معه على سبيل المثال من الباب الرابع، وموضوعه في انتقال الأزكوي إلى عمان وإجلاء الفرس عنها.

فبعد إجراء مقارنة بين ما كتبه في هذا الباب بما كتبه العوتبي في مخطوطة انساب العرب وجدنا أن الأزكوي نقل حرفياً من العوتبي. وعلى سبيل المثال نورد النص الآتى بمخطوطة الأنساب «وكانت الفرس في السواحل والشطوط وكانت الأزد ملوكا في البادية وأطراف الجبال فانحاز منهم مالك إلى قلهات»[3] نقله الأزكوي بالشكل الآتي «فكانت الفرس في السواحل وشطوط البحر والأزد

---

(١) ولهذا احتمل الدكتور فاروق عمر أن إحدى مصادر الكتاب الروايات الشفوية، أنظر مجلة المورد، مج ٣، ع٤، ١٩٧٤، ص ٢٧٥.

(٢) كشف الغمة ورقة ٢ب ـ مع أنه يختتم كتابه باعترافه بأنه ليس أهلا للتصنيف (ورقة ٤١٠ أ).

(٣) العوتبي ـ سلمة بن مسلم الصحاري، أنساب العرب، مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (٢٤٦١ تاريخ). ورقة ١٨٦ ب.

ملوكا في البادية والجبال وأطراف عمان[1].

وفي الباب السابع والعشرين نقل الأزكوي رسالة لعبد الله بن أباضي[2]. من كتاب (جامع في تراجم العلماء)[3].

كما يحتمل أنه نقل هذه الرسالة من (كتاب الجواهر المنتقات في إتمام ما أخلّ به كتاب الطبقات)[4] للبرادي الذي عاش في القرن الثامن الهجري، وتكمن أهمية هذه الرسالة في تحديد الفترة التي عاش فيها عبدالله بن أباض التميمي الذي نسبت إليه الفرقة كما أنها تحدد طبيعة العلاقة السياسية بين الأمويين والأباضية ونظراتهم في طبيعة الحكم الإسلامي في صدر الإسلام[5].

---

(١) كشف الغمة ورقة ٢٨ ب. ويمكن القول أن الأزكوي نقل الباب الرابع من كتابه عن العوتبي ولتعزيز رأينا أنظر الأمثلة الآتية:
١ ـ نقل مقاطع شعرية مطلعها
«تحن إلى أوطانها أبل مالك ومن دونها عرض الفلا والدكادك»
أنظر العوتبي ورقة ١٨٥ ب، كشف الغمة ورقة ١٩ب.
٢ ـ «ثم سار من فوره ذلك يريد عمان فجعل لا يمر بقبيلة من قبائل العرب من معد وغيرهم من اليمن إلا سالموه» العوتبي ورقة ١٨٥ ب ـ نقل الأزكوي النص بالشكل التالي «ثم سار يريد عمان فكان لا يمر بحي من أحياء العرب من معد ولا عدنان إلا سالموه» كشف الغمة ورقة ١٩ب.
وبهذا يتضح لنا أن الأزكوي نقل هذا الباب محرفا الألفاظ دون المعنى للمقارنة أكثر انظر العوتبي ١٨٥ م ـ ١٨٦ ب والأزكوي ١٩ أـ ٢٨ ب.

(٢) أنظر كشف الغمة من ورقة ٢٠٠ أ ـ ٢٠٧ أ.

(٣) مخطوطة في مكتبة الإمام غالب بن علي في الدمام بالمملكة العربية السعودية وقد حصلت على هذه الرسالة مصورة بالفوستات عن النسخة الأصلية بمكتبة الإمام غالب بن علي بالدمام. حيث جمعت كل هذه السير.

(٤) البرادي، أبو القاسم، محمد بن إبراهيم، الجواهر المنتقات في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات، (قسطنطينية الجزائر، ١٣٠٥ هـ) طبعة حجرية رقم الكتاب بدار الكتب المصرية(١٥٨٤٣ ح) أنظر للمقارنة الصفحات ١٥٦ ـ ١٦٧.

(٥) أنظر الفصل الأول من الرسالة.

كما تناول الأزكوي في الباب الثامن والعشرين والتاسع والعشرين جوانب من الفكر الأباضي السياسي وموقفهم من الفرق الإسلامية الأخرى وأغلب الظن أنه اعتمد في هذا الباب على كتاب البسيوي الموسوم بـ «أصل ما اختلفت فيه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم»(١).

وفي الباب الحادي والثلاثين تناول الأزكوي الأئمة الذين باعو أنفسهم لله من أئمة الأباضية وقد انفرد الأزكوي بالقول بوجود صلة بين أبي بلال مرداس وجابر بن زيد واعتمد في ذلك على روايات أبي سفيان محبوب بن الرحيل من هبيرة القريشي(٢).

ولعل الأزكوي اعتمد في هذا على كتاب الدرجيني الموسوم بطبقات الأباضية أو ربما وقع في يديه كتاب السير للشماخي والمعلوم أن كلا من الدرجيني والشماخي اعتمدوا على روايات أبو سفيان محبوب بن الرحيل(٣).

فعلى سبيل المثال أن الأزكوي أخذ مادته التاريخية فيما يتعلق بأخبار أبي الحر بن الحصين أحد شيوخ الأباضية واعتقاله بأمر مروان بن محمد الثاني من كتابي الدرجيني والشماخي(٤).

ومما هو جدير بالذكر أن الأزكوي قد حرّف كثيراً في خطبة أبي حمزة التي ألقاها بالمدينة. مستعملا أسلوب السجع الذي لم يكن يستعمل في بداية

(١) البسيوي، أبو الحسن علي بن محمد، أصل ما اختلفت فيه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم، مخطوطة بمكتبة الإمام غالب بن علي، ضمن كتاب(جامع السير في تراجم العلماء).

(٢) كشف الغمة ورقة ٢٦٦ ب.

(٣) ينظر نقد وتحليل كتب التراجم والسير من هذا الفصل.

(٤) ينظر للمقارنة، كشف الغمة ورقة ٢٧١ ب ـ الدرجيني، أبو العباس أحمد «طبقات الأباضية» مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (١٢٥٦١ ح) ورقة ١١٣ أ ـ الشماخي، أبو العباس أحمد بن سعيد، كتاب السير الأباضية ص ١٠٠.

القرن الثاني الهجري فأفقد الخطبة قوتها البلاغية ومما أدخله على هذه الخطبة قوله على لسان أبي حمزة المختار بن عوف الأزدي قوله: «وأجتنبوا القبائح وأقبلوا النصائح، واذكرو اسم الله على الذبايح»[1].

إلى آخر ما أضافه الأزكوي إلى هذه الخطبة. كما أن هناك بعض الأخطاء التاريخية وقع فيها الأزكوي فهو يشير إلى خروج عبدالله بن يحي الكندي سنة٩٠هـ بدلا من سنة ١٢٩ هـ[2] ومما يؤاخذ على الأزكوي وهو عربي عماني نقله للأحداث التي تمجد بالفرس والبربر التي طغت على كتب السير المغربية دون مناقشتها[3] وأخذها أخذ مسلمات واقعة لأن كتّابها من إخوانه في المذهب الأباضي في المغرب[4].

---

(١) أنظر كشف الغمة، ورقة ٢٧٦ أ.

(٢) كشف الغمة، ورقة ٢٧٦ أ.

(٣) ومن الأحاديث الموضوعة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتّاب المغاربة ونقلها الأزكوي حديث الرسول الذي أوصى فيه بالبربر قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «جاءني ـ جبرائيل ـ وقال لي يا محمد أوصيك بتقوى الله والبربر...» كشف الغمة ورقة ٢٨١ ب.
كما نلاحظ نقل الأزكوي مثل هذه الأحاديث التي تمجد بالعنصر البربري حديث موضوع على لسان الخلفاء الراشدين «قال علي بن أبي طالب يا أهل مكة وأهل المدينة أوصيكم بتقوى الله وبالبربر خيراً فانهم سيأتونكم بدين الله من المغرب بعدما تضيعونه، هم الذين ذكر الله في كتابه «يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه... الآية»... قال البكري... وهو راوية الحديث ـ فمن حين ما وقعت الفتنة إنما نقاتل نحن العرب على الدينار والدرهم» أما البربر فإنما يقاتلون على دين الله» كشف الغمة ورقة ٢٨٢ أ. نقله عن الدرجيني، طبقات الأباضية ورقة٩ أ.

(٤) بما أن العقيدة الإسلامية لا تقيم لعنصريات الدم وزنا لأنها جعلت الإسلام الهوية الأساس للأمة الإسلامية، فكان عليه عدم الأخذ بهذه الأحاديث التي وضعت تقرباً لحكام الدولة الرستمية الذين كانوا من أصل فارسي وأرادوا أن يرفعوا منزلتهم في الإسلام على لسان الرسول ﷺ.

تعقيب:

الأحاديث التي وردت في فصل الفرس والبربر أحاديث نبوية صحيحة رواها أئمة الحديث كالبخاري ومسلم وأحمد وأبو نعيم وغيرهم من طرق كثيرة وهذه الأحاديث لا تدل على تمجيد العنصرين الفارسي والبربري على العنصر العربي كلا والله. وإنما تشير إلى ظهور رجال من الفرس يحملون لواء الدفاع عن الدين الإسلامي، وقد حمل الأباضية تلك الأحاديث على ظهور الأئمة الرستميين. لما امتازوا به من استقامة وعدالة ونزاهة في الحكم وقد شهدت بذلك الكتب التاريخية قاطبة وأشادت بعدلهم وسلوكهم الإسلامي، وكذا القول في البربر الذين عرفت عنهم الإستقامة والجهاد والتضحية لأجل إعلاء كلمة الله. ونشر الدعوة الإسلامية.

فلا يكون هناك لبس أو ريب في صحة هذه الأحاديث.

أما فيما يتعلق بالعلاقة بين الدعوة في البصرة ودعاة المغرب أو كما يسميهم الأباضية (حملة العلم) فان الأزكوي نقل أخباره حرفيا عن كتاب الدرجيني طبقات الأباضية. وربما اعتمد كذلك على كتاب السيرة وأخبار الأمة لأبي زكريا الورجلاني[1].

أما فيما يتعلق بتاريخ عمان في الحقبة الإسلامية فقد شملت الباب الثالث والثلاثين حتى الثامن والثلاثين وهنا تكمن أهمية أخبار الأزكوي فيما يتعلق بتاريخ الأباضية الأساسي في عمان في الفترة موضوع البحث. فقد اعتمدت عليه في دراستي للإمامة الأباضية الثانية بعمان بشكل خاص والتي شملت الفترة ما بين ١٧٧ هـ - ٢٨٠ هـ - لأنه ركب هذه الأخبار بشكل يشبة التاريخ الحولي ومما يلاحظ على رواياته في هذه الحقبة الإختصار الشديد فقد كتب لنا عن

---

(١) قارن، كشف الغمة ورقة ٢٨٣ أ مع الدرجيني، طبقات الأباضية١ ورقة ١٠ أ. أبو زكريا، السيرة وأخبار الأمة ورقة٢ أ.

أخبار إمامة عبد الملك بن حميد الأزدي مادة لا تتعدى التعريف به وبعدله بعمان وهي مادة لا تتعدى السبعة أسطر لا تمكن الباحث من دراسة أحداث خمسة عشر عاماً وهي الفترة التي حكم بها هذا الإمام(١).

عن موارد أخباره في هذه الحقبة فانه اعتمد أساساً على مجموعة من المخطوطات العمانية الأصلية، كمخطوطة الأنساب للعوتبي(٢). ومخطوطة أبي المؤثر الأحداث والصفات(٣). ومخطوطة البسيوي الحجة على من أبطل السؤال في الحدث الواقع بعمان(٤). ومخطوطة الرقيشي، مصباح الظلام(٥) ومخطوطة الشيخ أبي قحطان خالد بن قحطان. الموسومة بسيرة أبي قحطان(٦).

---

(١) كشف الغمة ورقة ٣٣١ ب.

(٢) أنظر للمقارنة:
العوتبي أنساب العرب، ورقة ١٦٨ ب كشف الغمة، ورقة ٢٢٨ ب.
المصدر السابق، ورقة ١٦٩، ب، كشف الغمة ٣٢٩ ب: المصدر السابق، ١٦٥أ، ب كشف الغمة ٣٣٣ ب فما بعد وقد نقل الأزكوي معلوماته عن العوتبي مختصراً وناقلا في بعض الأحيان.

(٣) أبو المؤثر ـ الصلب بن خميس، من علماء القرن الثالث، الأحداث والصفات نقل الأزكوي بعض أخباره عن الصلت بن مالك عن طريقه. انظر للمقارنة أبو المؤثر، الأحداث والصفات ورقة ٩ وكشف الغمة ٣٣٣ أ.

(٤) البسيوي، محمد بن علي، الحجة على من أبطل السؤال في الحدث الواقع بعمان. ورقة ٢١ فما بعد. أخذ عنه الأزكوي عبارات صاغها بأسلوبه الخاص أنظر كشف الغمة ٣٣٣ ب.

(٥) الرقيشي، أحمد بن عبد الله بن الحسن. مصباح الظلام مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٩٠٥٤٢ ب ورقة٢٦ أ. ـ كشف الغمة ورقة ٣٣٠ ب. قارن أيضاً بين مصباح الظلام ورقة ٢٦ ب و٢٧ أ. وكشف الغمة ورقة ٣٣١ ب و٣٣ أ.

(٦) انظر كشف الغمة حيث يشير إلى إطلاعه على سيرة الشيخ أبي قحطان خالد بن قحطان ورقة ٣١٣ أ. ومن مقارنة المصدر المتوفر لدينا يظهر ان أبا قحطان خالد بن قحطان من علماء القرن الثالث والرابع الهجريين. وقد عاصر الأحداث التي وقعت في زمن الصلت بن ملك وأمدت إلى سقوط الإمامة الأباضية الثانية سنة ٢٨٠ هـ لا سيما وأنه قد=

ومن هذه الدراسة المختصرة يتبين لنا الجهد الذي بذله الأزكوي في جمع أخباره التي ألفت هذا الكتاب وقد لمح لنا الأزكوي عن موارد أخباره فهو يقول«ولقد طالعت الكتب الكثيرة وسألت أهل الخبرة فلم أقف على علم ذلك»(١) أو كقوله «ووقفت على كتاب مسطور أن سبب هذه الوقعة(٢)» أقول رغم هذه الإشارات فإن الأزكوي من الواجب عليه أن يشير أشارة صريحة إلى المصادر التي اعتمدها.

ومن هذا كان اعتمادنا على الأزكوي كبيراً في إعداد هذه الرسالة بعد أن تبين لنا صحة موارد أخباره وأصالتها التاريخية ومع أننا اقتصرنا في دراسة موارده في الفترة موضوعة البحث فلاشك أنه بذل جهداً كبيراً في الاطلاع على مصادر أخرى للحقبة التي تلت سنة ٢٨٠ هـ/ ٨٩٣ م إذ إن أخباره عن إقليم عمان استمرت حتى سنة ١١٤٠ هـ / ١٧٢٧ م ـ ١٧٢٨ م ومن هنا تأتي أهمية هذه المخطوطة(٣) في استعراض تاريخ عمان استعراضاً شاملا.

٢ ـ من كتب التاريخ المحلي التي اعتمدنا عليها في إعداد البحث بشكل كبير هو كتاب تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان لمؤلفه نور الدين عبدالله بن حميد السالمي المتوفي سنة ١٣٣٢ هـ/ ١٩١٣ م وتظهر قيمة الكتاب رغم أنه من المصادر المتأخرة جداً، بالجهود التي بذلها السالمي بمراجعته لمجموعة كبيرة من السير العمانية الأصلية كتبها علماء الأباضية كل منهم يمثل اتجاها سياسياً

= ورد ذكره في سيرة البسيوى، من علماء القرن الخامس الهجري أنظر الحجة على من أبطل السؤال ورقة ٢٠.

(١) كشف الغمة ورقة ٣٤٤ ب.

(٢) كشف الغمة ورقة ٣٤٧ ب.

(٣) يقوم أحد الطلبة العرب بدراسة وتحقيق هذه المخطوطة لنيل درجة الدكتوراة من جامعة مانجستر. وحيث علم أستاذي المشرف بنية الطالب المذكور توقف عن تحقيق هذه المخطوطة الكبيرة حيث كان قد بدأ فعلا بتحقيقها.

في موالاته لبعض الأئمة، كما أن السالمي حين ينقل من هذه السيرة لا يحرف فيها كما فعل الأزكوي ونستطيع القول باطمئنان إن السالمي نقل في كتابه سير كاملة دون أن يحذف منها أو يضيف عليها، ومن هنا تأتي قيمة روايات السالمي فمراجعة هذه الروايات تعني الإطلاع على مخطوطات لم نستطع الحصول عليها وصلتنا عن طريق السالمي ولذلك اعتبرنا كتاب السالمي من المصادر الأصلية وفيما يلي بعض هذه الأمثلة التي تدل على أن السالمي لم يحرف في نقله لهذه المخطوطات[١].

وقد أشار السالمي في مقدمة كتابه إلى اطلاعه على هذه السير، يقول: «فتتبعت ما أمكنني تتبعه من كتب السير والآثار والتواريخ»[٢].

كما يشكو من ندرة المادة التاريخية «إذ لم يكن التاريخ من شغل الأصحاب بل كان اشتغالهم بإقامة العدل وتأثير العلوم الدينية»[٣] ومع شكوى السالمي من ندرة المعلومات التاريخية فإن الجهد الذي بذله في استقصاء المصادر واعتماده على روايات تمثل وجهات اطراف النزاع في الفترة موضوعة البحث في تاريخ عمان، عمل يذكر فيشكر. ومما يؤاخذ على السالمي أنه لا ينقد الروايات التي اعتمد عليها في تأليف كتابه ولا يميز بين صحيحها

---

(١) قارن بين سيرة أبي المؤثر الصلت بن خميس ورقة ٢، والسالمي تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ١/٢٠٨، أبو المؤثر ورقة ٨، السالمي تحفة الأعيان ١/٢٠٠. قارن بين العوتبي، أنساب العرب، ورقة ١٦٣ أ ـ السالمي تحفة الأعيان ١/٢٣٣.
كما نقل السالمي عن سيرة الشيخ أبي قحطان خالد بن قحطان أنظر السالمي تحفة الأعيان ١/٢٠٢.
كما اعتمد على كتاب للفضل بن الحواري وكان معاصراً للإمامة الأباضية الثانية وهو يمثل وجهة الجماعة الموالية لإمامة راشد بن النظر.
انظر السالمي تحفة الأعيان ١/٢٢٧.

(٢) السالمي، تحفة الأعيان ١/٤.

(٣) المصدر السابق.

وسقيمها[1].

ومن كتب التاريخ المحلي التي تتعلق بتاريخ عمان في الفترة التي نشأت فيها الإمامة الأباضية هو كتاب (الفتح المبين في سيرة السادات البوسعيديين) ويتضح من عنوان الكتاب أنه عالج فترة حكم البوسعيد لعمان الذي بدأ في سنة ١١٥٤ هـ/ ١٧٤٢ م.

مؤلفه حميد بن محمد بن رزيق من علماء القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، عاش في حدود ١٢٥٠ هـ ١٨٣٥ م[2].

تظهر قيمة الكتاب في معالجته لتاريخ القرنين ١٨ و١٩ الميلاديين بصورة خاصة أما قبل هذه الفترة فرواياته مختصرة جداً فيما يتعلق ببحثنا فيبدو أنه اختصر معلوماته عن كتاب(كشف الغمة) لسرحان بن سعيد الأزكوي أو من مصادر أخرى اطلع عليها ولهذا فأخباره عن أئمة عمان في الفترة موضوعة البحث مقتضبة جداً وقد لا تتعدى في بعض الأحيان ذكره لوفاة الإمام ومدة حكمه[3]. ولا بد من الإشارة إلى أهمية مقدمة المترجم إلى الهوامش التي وضعها والتي تزيد من قيمة الترجمة.

---

(١) انظر على سبيل المثال روايته التي تتعلق بانتخاب الإمام وارث بن كعب الخروصي تحفة الأعيان ١/ ١١٥.

(٢) معلومات شفوية عن الشيخ محمود بن زاهر الهنائى من عائلة الإمام غالب بن علي إمام الأباضية الحالي، القاهرة١٣/ ١١/ ١٩٧٥.
وللؤلف كتب اخرى موجودة في مكتبات انجلترا.
١ ـ السيرة القحطانية في ثلاث مجلدات ضخمة.
٢ ـ قصيدة بائية وعليها شرحه تقع في حوالي ٢٠٠٠ صفحة تبدأ بذكر الامام الجلندي بن مسعود وتنتهي بذكر الامام سلطان بن مرشد آخر أئمة اليعاربة.

(٣) ترجم الكتاب ونشر من قبل جورج بيرسي باجر باللغة الانجليزية
History, of the Imams and seyyids of Oman, from 661 A.D. london, 1871.
وقد خطأ المترجم في اسم بن زريق وسماه سليل بن زريق بينما اسمه الاول حميد.

(ب) كتب الطبقات: ومن المصادر التي اعتمدنا عليها في إعداد هذا البحث كتب الطبقات الأباضية ونشاطاتها في نشر الدعوة الأباضية في المغرب والمشرق.

ومن هذه الكتب:

١ ـ ومن أهم هذه المصادر كتاب الدرجيني[1] المتوفي في حدود القرن السابع الهجري الموسوم بطبقات الأباضية، ولا زال الكتاب مخطوطاً يقع في ٢٧١ ورقة من الحجم الكبير، قصد الدرجيني من تأليف كتابه ليتعرف الأباضية على مناقب السلف والأخبار وسيرتهم الصالحة، وقد رتب الكتاب على أساس ذكر كل طبقة من رجال الأباضية خلال خمسين عاماً ويستمر في تراجمه لرجال المذهب الأباضي خلال خمسين عاماً ويستمر في تراجمه لرجال المذهب الأباضي المغاربة منهم خاصة حتى بداية المئة الأولى من القرن السابع الهجري، فهو بلا شك من أهم المصادر عن تاريخ الأباضية بالمغرب العربي.

وتكمن أهمية هذه المخطوطات بالنسبة لبحثنا في جانبين:

الأول: أن الدرجيني اعتمد في ترجمته لرجال الأباضية في الخمسين سنة الثانية والثالثة بعد الهجرة على رواية أباضيّ من المشرق وهو أبو سفيان محبوب ابن الرحيل الذي عاصر الدعوة في مرحلة الكتمان في البصرة، وكان من أبرز علماء الأباضية الذين ألفوا في السير[2]، وبهذا يكون اعتمادنا على رواياته عن

---

(١) الدرجيني، أبو العباس أحمد، طبقات الأباضية، مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (١٢٥٦١ ح)، نسخة من مجلدين مصورة بالفوستات عن الأصل المخطوط بالخزانة التيمورية تحت رقم (٢٦٧٢ تاريخ) تاريخ نسخ المخطوطة الخامس من شوال سنة ٩٩٧ للهجرة قام بنسخها بخط مغربي عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الرحمن.

(٢) قال عنه الدرجيني في طبقاته (محبوب بن الرحيل... وممن يسبق إلى تخليد سير السلف الأخبار... وجميع في سلك واحد بين غرائب الفقة وعجائب الأخبار) الدرجيني ورقة ١/ ١١ أ. =

الدعوة الأباضية في البصرة في مرحلة الكتمان اعتماداً على داعية عاش النشاط السري وإطلع على اخباره عن قرب، وخاصة فيما يتعلق بنشاط جابر بن زيد وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة من أئمة الدعوة الأباضية. وموجز القول أن أخبارنا عن الدعوة الأباضية في البصرة في الأهم الأغلب وصلت عن طريق أبي سفيان محبوب بن الرحيل وقد اعتقد الدرجينى في نقل رواياته على ما يظهر على كتاب أبي سفيان محبوب بن الرحيل.

الجانب الثاني: أن الدرجيني فصل بشكل واضح بانتشار الدعوة الأباضية في المغرب ودور أبي عبيدة مسلم في إعداد الدعاة الأباضية وتأثيرهم في تاريخ المغرب السياسي[١].

أما قيمة المعلومات التي وردت في هذه المخطوطة بالنسبة للمغرب فهي تتناول صراع الأباضية مع العباسيين بعد سنة ١٤٠ هـ ـ ٧٥٧م في عهد أبي جعفر المنصور كما تظهر بوضوح تطور ونشأة الدولة الرستمية في تاهرت سنة ١٦٠ هـ ـ ٧٧٦ م.

ومما يؤخذ على الدرجيني نقله لأحاديث تطغى عليها مسحة عنصرية على

= ومما يقيم الدليل على وجود كتابة هذا أن البرادي قد ذكر في رسالته التي ذكر فيها مؤلفات علماء الأباضية المشارقة من أهل عمان والبصرة يقول البرادي (كتاب أبي سفيان يشتمل على الأخبار والفقة والكلام والعقائد وقال الإمام: أفلح رضي الله عنه عليكم بدراسة كتب أهل الدعوة لا سيما كتب أبي سفيان يشتمل على الأخبار وعهده الذي كتب فيه إلى الإمام عبدالله بن يحيى الكندي).

البرادي، رسالة البرادي، ففي الإشارة إلى الكتب التي ألفها المشارقة من علماء الأباضية ضمن كتاب تبين أفعال العباد، ورقة ٢٠٦ ب وقد حفظ لنا العهد الذي كتبه أبو سفيان إلى (طالب الحق) الجيطالي. إسماعيل بن موسى، (ت ٧٥٠ هـ) قناطر الخيرات القسم الأول (القاهرة، ١٩٦٥) ص ٢٧٨ ـ ٢٨٩.

(١) الدرجيني، طبقات الأباضية ١/ ورقة ١٠ ب.

لسان رسول الله ﷺ تمجد (بالفرس) والبربر[1].

٢ ـ ومن كتب الطبقات التي اعتمدنا عليها في إعداد هذا البحث (كتاب السير) لمؤلفه أبي العباس بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي (ت ٩٢٨ هـ)[2].

تناول الكتاب التاريخ الإسلامي بصورة عامة مبتدأ بحياة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ثم فصّل بإسهاب الصراع بين الدولة الأموية والخوارج وهنا تكمن أهمية كتابه لمن أراد دراسة الحركة الخارجية في بداياتها ويمكن القول أن الشماخي خير من جمع أخبار الخوارج خلال هذه الحقبة، ثم استعرض الشماخي نشاط الدعاة الأباضية في البصرة وفصل فيها كثيراً معتمداً في ذلك على روايات أبي سفيان محبوب بن الرحيل، ويبدو أنه اعتمد على كتاب الدرجيني فيما يتعلق بنشاط الأباضية بالبصرة إلا أن الشماخي يختلف مع الدرجيني فيما يتعلق بمركز عبد الله بن أباضي في الدعوة الأباضية. وتبدو قيمة كتاب الشماخي لاعتماد عدة مصادر أباضية نعرف البعض منها ونجهل البعض الآخر[3].

٣ ـ ومن كتب الطبقات المهمة كتاب السيرة وأخبار الأمة لمؤلفه أبي

---

(١) المصدر السابق ورقة ٩ أ.

(٢) الشماخي، السير، يقع الكتاب في ستمائة صفحة من الحجم المتوسط طبعة حجرية في (قسطنطينية الجزائر، لات) بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٨٩٦ ح.

(٣) وعلى سبيل المثال:

١ ـ المختصر لابن عمار (لا نعرف عنه شيء).

٢ ـ كتاب أبي زكريا بالسيرة وأخبار الأمة.

٣ ـ كتاب أبي الربيع سليمان بن عبد السلام. المسمى (سير أبي الربيع).

٤ ـ كتاب أبي نوح صالح بن إبراهيم (لا نعرف عنه شيء).

٥ ـ كتاب سير مشايخ نفوسه.

وردت هذه المصادر من خلال شرح المؤلف في طبقات كتابه.

زكريا يحيى بن أبي بكر الورجلاني (ت ٤٧٠ هـ).

وتتجلى أهمية هذه المخطوطة لتأكيدها على الصلة الوثيقة بين الدعوة الأباضية في البصرة والمغرب ودور حملة العلم المغاربة في نشر المذهب الأباضي بالمغرب[١]. وتظهر قيمة المخطوطة إذا عرفنا أن الدرجيني والشماخي أخذا معلوماتهما من كتاب السيرة وأخبار الأمة فيما يتعلق بانتشار المذهب الأباضي بأرض المغرب[٢] على أن قيمته بالنسبة إلى بحثنا محدودة.

٤ ـ ومن كتب الطبقات الأخرى «كتاب الجواهر المنتقات فيما أخل به كتاب الطبقات» لأبي الفضل أبو القاسم بن إبراهيم البرادي من علماء القرن الثامن والتاسع الهجري وتظهر قيمة كتاب البرادي لأنه احتفظ لنا برسالة عبدالله بن أباضي إلى عبد الملك بن مروان. إلا أنه يقع في أخطاء تاريخية حينما يعدد ثورات الأباضية بعمان ويمتاز بعدم الدقة في أسماء الأئمة الأباضية إلا أنه قد اطلع على مصادر تاريخية أصلية في بعض المواد ككتاب ابن صغير المالكي مؤرخ الدولة الرستمية الذي يذكر لنا الخطأ الذي وقع فيه بروكلمان فيما يتعلق[٣] باسم الفرقة الوهبية وهو الأسم الثاني للفرقة الأباضية.

جـ ـ كتب السير العمانية والتراجم:

تعتبر كتب السير العمانية الموارد الأصلية للتاريخ العماني في الفترة موضوعة البحث، وتتجلى قيمة هذه السير رغم صغرها من حيث الحجم والمادة التاريخية لأن كتّابها من علماء الفرقة المشهورين من ناحية وبعضهم قد عاصر قسم من هذه الأحداث من ناحية أخرى، كأبي المؤثر الصلت بن خميس

---

(١) مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم (٩٠٣٠ ح) تقع المخطوطة في ٢٠١ ورقة أي في ٤٠٢ صفحة.

(٢) قارن بين السير وأخبار الأمة ورقة ٥ أ. وطبقات الدرجيني ورقة ١٠ أ.

(٣) البرادي، الجواهر المنتقات الجزائر طبعة حجرية ١٣٠ هـ ص ١٧٠، ١٧٤.

الذي عاصر سقوط الإمامة الثانية وشهد بيعة الصلت بن مالك سنة ٢٣٧ هـ. ولما كان هؤلاء العلماء كل منهم يمثل وجهة نظره الخاصة في الأحداث التي يرتكبها بعض الأئمة أو ما يسمى عندهم بمفهوم الولاية والبراءة والوقوف فقد انقسموا في تفسيرهم للأحداث التي جرت في هذه الفترة إلى ثلاثة أقسام مؤيد للإمام فيقوم بالمدح والثناء ويصفه بحسن السيرة أو معارض يبلغ به الأمر تكفير هذا الإمام، ولولا هذه المواقف المتناقضة لما أستطعنا أن نقيّم تقيماً واضحاً للأحداث السياسية التي جرت في هذه الحقبة فلو أجمع كتّاب السير العمانية على الثناء على أئمتهم فقط لخفيت عنا الجوانب السلبية في الحياة السياسية للتاريخ العماني. ومن أهم السير العمانية التي اعتمدنا عليها:

١ ـ سير أبي المؤثر الصلت بن خميس[١] الذي عاصر المهنا بن جيفر ت ٢٣٧ هـ وشهدت بيعة الصلت بن مالك (قال أبو المؤثر: كنا في الشورة لما مات المهنا فوقع في ثوبي دم، قال فذهبت أغسله فرجعت وقد بايعوا للصلت»[٢].

وتتجلى قيمة هذه السيرة لانفرادها بمعلومات دوّنها شاهد عيان تعالج الظروف التي سبقت سقوط الإمامة الثانية سنة ٢٨٠ هـ، كما تظهر بوضوح الصراع القبلي بين قبائل الأزد اليمانية والقبائل النزارية بعمان وأثر هذا الصراع في زوال الإمامة الثانية كما تخلو هذه المخطوطة من معلومات عقائدية تتعلق بنظام الإمامة الأباضية، وتظهر ميول أبي المؤثر واضحة في دفاعه عن إمامة الصلت بن مالك ولذا يجب الحذر من رواياته في دراسة وتقيم الصراع السياسي على الإمامة بين الجماعة الموالية للصلت بن مالك والجماعة الموالية لراشد بن

---

(١) تقع هذه المخطوطة في حوالي إحدى وثلاثين ورقة، في مكتبة الإمام غالب بن علي ضمن كتاب مخطوط يسمى بالسير العمانية بالدمام، المملكه العربية السعودية.

(٢) السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان (١٩٧٤) ١/ ١٦٢.

النظر.

٢ ـ وتعتبر سيرة أبي الحسن بن محمد البسيوي الموسومة (الحجة على من أبطل السؤال في الحدث الواقع بعمان) من أهم المصادر التي عالجت فترة سقوط الإمامة الأباضية الثانية لأن مؤلفها كان من أنصار الصلت بن مالك المتطرفين وكانت الغاية من تأليفه لهذه السيرة الطعن بامامة راشد بن النظر وبجماعته التي أوصلته إلى الإمامة وقد ساق المؤلف فيها أدلة تاريخية مستشهداً بسيرة السلف من الأباضية وهنا تكمن الإستفادة من هذه الإستشهادات في دراستنا للإمامة الأباضية بعمان، كما تتضمن هذه السيرة معلومات قيمة تمثل وجهة نظر الأباضية في الخلافة الإسلامية وموقفهم من بقية الفرق الإسلامية.

٣ ـ وللبسيوي سيرة صغيرة تسمى (أصل ما اختلفت فيه الأمة بعد نبيها محمد ﷺ) تعالج الأسباب التي أدت اختلاف المسلمين إلى المفارق المعروفة دارساً أصولها من وجهة نظر الأباضية، وفيها إشارات عقائدية تمثل موقف الأباضية من الفرق الإسلامية الأخرى، كما أنه يشير إلى اختلاف الخوارج إلى الفرق المختلفة مهاجماً فرقة الأزارقة(١).

٤ ـ ومن السير الأخرى التي كتبها أئمة الأباضية هي سيرة عبد الله بن أباض الذي نسبت إليه الفرقة الأباضية وتظهر قيمتها أنها تلقي الضوء على العلاقة بين الدول الأموية والأباضية في خلافة عبد الملك بن مروان وهي عبارة عن رسالة بعثها عبد الله بن أباض لعبد الملك بن مروان ردا على رسالته التي بعث بها مستفسراً عن رأي الأباضية في الأزارقة وفي خلافة عثمان والأمويين بالذات. وقد وصلتنا هذه الرسالة في كتاب السير العمانية ومنه نقلها الازكوي في كتابه كشف الغمة إذ وجدنا عند المقارنة التطابق في النصوص في كل

---

(١) تقع السيرة الأولى في حوالي عشرين صفحة وتقع الثانية في حوالي عشرة صفحات ضمن كتاب السير العمانية، في مكتبة الإمام غالب بن علي.

الكتابين، كما وردت هذه السيرة في كتاب البرادي الموسوم (بالجواهر المنتقات فيما أخل به كتاب الطبقات)[1] إلا أنها تختلف في أشكال بعض المكونات ولا تمس المعنى.

٥ ـ ومن السير المهمة هي سيرة شبيب بن عطية العماني وتكمن قيمة هذه السيرة لأن كاتبها كان كما يبدو من أئمة الأباضية بعد سقوط الإمامة الأباضية الأولى سنه ١٣٢ هـ، وتظهر هذه السيرة تحديداً لمعنى الخوارج والرد على خصومهم الذين وضعوا الأحاديث على لسان رسول الله ﷺ للطعن فيهم[2].

٦ ـ مصباح الظلام للمرقيشي ومن مصادر السير المهمة المنظومة شعرا والتي أوردت معلومات قيمة عن الدعوة الأباضية مخطوطة (مصباح الظلام) لمؤلفها أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الحسن بن أحمد الرفيثي الأزكوي[3]، وهي عبارة عن قصيدة ألفها أحمد بن النظر من علماء القرن السادس الهجري[4]. تتضمن سيرة أئمة الخوارج من المحكمة الأولى وأئمة الأباضية العمانيين حتى إمامة الصلت بن مالك (٢٣٧ ـ ٢٧٥ هـ) وتتجلى قيمة هذه

(١) البرادي، أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم، الجواهر المنتقات فيما أخل به كتاب الطبقات، طبعة حجرية (قسطنطينية، ١٣٠٥ هـ) بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤٣ ح.

(٢) وردت هذه السيرة ضمن كتاب يسمى (قطعة من كتاب الأديان) لمؤلف مجهول تقع هذه السيرة في حوالي ١٩ ورقة أي حوالي ٣٨ صفحة. رقم المخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٢٩٨ ب. أنظر الملحق الأول من الرسالة.

(٣) مخطوطة بدار الكتب المصرية تقع في ٦٧ ورقة أي في ١٣٤ صفحة برقم ٢٠٥٤٩ ب. مع قصيدة مخمسة في أمر الخلاف بين الصحابة، ضمن مجموعة (٦٧ ـ ٧٩) ألفها عبد الله بن عمر بن زياد البهلوي. وقد نقل الأزكوي جزءاً من هذه القصيدة مما يدل على أن هذه المخطوطة أقدم من كشف الغمة أنظر للمقارنة البهلوي ورقة ٧١ أو كشف الغمة ورقة ٢٧٩ ب ٢٨٠ أ.

(٤) الحارثي عبدالله سالم بن حمد العماني، العقود الفضية في أصول الأباضية ط دار اليقظة العربية (بسوريا ولبنان، ١٩٧٤) ص ٢٧٨، ٢٧٩.

المعلومات أن الرفيثي حدد لنا بداية حكم كل من هؤلاء الأئمة وانتهائها، وعند مقارنة أسلوب الأزكوي الذي امتاز بنقل أحداثه كاملة من بعض المخطوطات التى إطلع عليها، نلاحظ أنه لا يحدد أخباره بتاريخ معين مما يجعلنا نطمئن أن الأزكوي قد نقل بعض أخباره عن مخطوطة الرفيثي الذي نجهل وفاته، إلا أن هذه الروايات تمتاز باختصارها الشديد وتأتي قيمة هذه المعلومات باعتماد الرفيثي على روايات أبي المؤثر الصلت بن خميس من علماء القرن الثالث الهجري الذي نقل أخبارة عن محمد بن الرحيل (ت ٢٦٠ هـ).

ح ـ كتب الأنساب: كان اعتمادنا على كتب الأنساب قليلا جداً لعزوفها عن الترجمة لشخصيات مغمورة كرجال الدعوة الأباضية إلا في القليل النادر.

١ ـ وتأتي في مقدمة هذه المصادر كتاب أنساب الأشراف للبلاذري، وقد اعتمدنا على الجزء الثامن من الأنساب وهو مخطوط بمكتبة الدراسات العليا، وتأتي قيمة المعلومات التي أوردها البلاذري من خلال حديثه عن خلافة مروان بن محمد أنه أعطى صورة متكاملة لحركة الأباضية في اليمن سنة ١٢٩ هـ/ ٧٤٧ م منذ بدايتها في حضرموت حتى توسعها واستيلاءها على الحجاز ثم بداية ضعفها وانهيارها وبعبارة أخرى أن البلاذري راقب الحركة من حيث قوتها وضعفها[١].

أما كتب النسب الأخرى فقد كانت قليلة في معلوماتها عن الأباضية فلا حاجة إلى ذكرها في هذا الباب.

٢ ـ ومن كتب الأنساب اعتمدنا عليها في إعداد البحث مخطوطة أنساب العرب لسليمة بن مسلم العوتبي الصحاري، ويحتمل أن العوتبي قد كتب أنسابه

---

(١) البلاذري، أحمد بن يحي بن جابر (ت٢٧٩ هـ)، أنساب الأشراف ج٨، مخطوطة بمكتبة الدراسات العليا بجامعة بغداد تحت رقم ١٦٤١.

في نهاية القرن الخامس الهجري. وتوفي بعد هذا التاريخ(١).

والمخطوطة عبارة عن تاريخ للقبائل اليمانية بشكل خاص وفيه مادة تاريخية قيمة عن دور القبائل اليمانية في معارك القادسية ونهاوند، وحين يتكلم العوتبي عن تاريخ هذه القبائل وانسابها يذكر لنا حوادث تاريخية تتعلق بشكل مباشر بالأشخاص المترجم لهم. فعند حديثه عن القبائل الأزدية بعمان أورد لنا أخبار قيمة جداً عن الدعوة الأباضية وبداية دخول الحركة الخارجية إلى عمان فعند الحديث في فراهيد وهنّ فرع من القبائل الأزدية ترجم لنا أسماء حملة العلم مشيراً إلى مواطن بعضهم في إقليم عمان كالربيع بن حبيب الفرهودي وبلج بن عقبة الفرهودي(٢). وحين تكلم العوتبي عن أولاد مالك بن فهم وبني هنأة أفاد بمعلومات قيمة عن سقوط الإمامة الأباضية الثانية بشكل واضح جداً ما كان لنا الحصول عليها في مصدراً آخر بهذا الشكل المفصّل الذي أورده العوتبي. كما أن العوتبي انفرد بهذه المعلومات ومنه أخذت بقية المصادر

(١) مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (٢٤٦١ تاريخ) تقع المخطوطة في ١٧٨ ورقة من الحجم الكبير، تاريخ نسخ المخطوطة ١١٣٠ هـ قام بنسخها مرشد بن محمد بن راشد الرستاقي.
ومن هذه المخطوطة نسخة في باريس بالمكتبة الوطنية برقم Arabe ,50 وتتألف من ٢١٩ ورقة ونسخة عند المستشرق جونسون وتتألف من ٢١٩ ورقة.
أيضاً راجع د عمر، فاروق، ببليوغرافيا في تاريخ عمان، مجلة المورد مج ٣ ع ٤، ١٩٧٤، ص ٢٧٧).
وردت في المخطوطة ترجمة لأبي الحسن علي بن محمد البسيوي الذي عاش في إمامة راشد بن سعيد اليحمدي الذي تولى الإمامة سنة ٤٢٥ هـ فيمكن الإستنتاج أن العوتبي قد ألف كتابه بعد هذا التاريخ لأن هذه الشخصية آخر ما ترجمه الأزكوي من الأعلام في كتابه أنظر العوتبي، الأنساب، ورقة ١٦٢ أ.
الحارثي، العقود الفضية في أصول الأباضية، ص ٢٥٧.
انظر العوتبي، الأنساب ورقة ١٠١ب، ١٧٠ ب.
(٢) العوتبي، الأنساب، ورقة ١٦٢ ب ١٦٥ أ، ١٦٩ ب.

العمانية أخبارها عن هذه الحقبة من تاريخ عمان[١].

ومما يؤاخذ على العوتبي الخلط بين أبي حمزة المختار بن عوف الأزدي والمختار بن أبي عبيدة الثقفي يقول «وقام إبراهيم - بن مالك - هذا مع أبي حمزة المختار بن عوف وكان أحد ذوي النجدة والبسالة» كما أن المختار بن عوف قد بعث برأس عبيد الله بن زياد إلى الإمام علي بن الحسين بن أبي طالب[٢].

وتظهر ميول المؤلف الأزدية بترجمة للقبائل الأزدية بما يقارب السبعين صفحة كما تظهر ميوله الأباضية بترجمة لمجموعة من العلماء الأباضية وترجمة عليهم كالشيخ أبي الحسن علي بن محمد البسيوي[٣].

ح - كتب الفقه والعقائد:

لا تخلو كتب الفقة والعقائد الأباضية من إشارات تاريخية مهمة لتوضيح الموقف السياسي لسلوك الدعوة الأباضية في مرحلة الكتمان والظهور وموقفهم من بقية المسلمين المخالفين لهم في المذهب. كما توضح هذه المصادر نظرية الإمامة وتطورها لدى الأباضية.

وتأتي في مقدمة هذه المصادر (كتاب مختصر الخصال) ألفه الإمام الأباضي إبراهيم بن قيس الحضرمي من أئمة حضرموت في القرن الخامس

---

(١) المصدر السابق ورقة ٨١ أ.

(٢) المصدر السابق، ورقة ١٦٢ أ.

يشير ناسخ المخطوطات أنه قد ضمن كتاب العوتبي روايات ميزها بقوله «ربما كانت هذه الأوراق متفرقة في أجزاء فجمعناها في مجلد واحد في هذا الكتاب. العوتبي ورقة٩٦ أ.

(٣) مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٢١٥٩١ ب، تقع المخطوطة في ٨٥ ورقة.

الهجري وتأتي قيمة هذه المخطوطة بالنسبة لبحثنا في موضوع الإمامة خاصة لأن كاتبه إمام أباضي[1].

ومن المصادر المهمة في هذا الباب(شرح مقدمة التوحيد) للشماخي وتظهر قيمتها في تصنيفه للمراحل التي مرت بها الدعوة الأباضية كالكتمان والظهور وذكره لانواع الإمامة وشروطها[2].

كما لا يخلو (كتاب شرح قواعد الإسلام) لإسماعيل بن موسى الحيطائي ت ٧٥٠ هـ من معلومات قيمة فيما له علاقة بانتقال الشخص من المذهب الأباضي إلى مذهب آخر وتحديد موقف الأباضية من أئمتهم كما تلقي الضوء على موقف أئمة الأباضية من المسلمين المخالفين[3].

إضافة إلى مصادر عقائدية مخطوطة ومطبوعة أخرى أوردناها في الفهرس اعتمدنا عليها في هذه الرسالة إلا أنها أقل أهمية من المخطوطات الثلاث التي ورد ذكرها أعلاه.

ج ـ كتب التاريخ الحولي:

دوّن الأخباريون كتباً في تاريخ الخوارج، فقد كتب أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧ هـ) كتابا عن (السنة والجماعة وذم الهوى وترك الخوارج) كما كتب الهيثم بن عدي «ت٢٠ هـ» كتابا في الخوارج وكتب أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني «ت٢٢٥ هـ»

(١) مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٢١٥٨٧ ب ضمن مجموعة من (ورقة ١ ـ ٩٥).
(٢) مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٢٠٦٧ ب).
(٣) ابن النديم، محمد بن إسحق بن محمد، الفهرست ط (بيروت، ١٩٦٤). ص ١٠٠، ١٠١، ١٠٢.

كتاب الخوارج»[١]. ومما يؤسف له أن كتبهم لم تصلنا كاملة، إلا أنها أصبحت موارد لمؤرخي التاريخ الحولي الذين نقلوا اخبارهم عن الخوارج بصورة عامة عن هؤلاء الأخباريين ويتضح هذا واضحاً في تاريخ خليفة بن خياط (ت٢٤٠) وتاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠ هـ) وقد اقتصرت المعلومات التاريخية لهذه المصادر على الأجزاء الغربية من الجزيرة العربية كالحجاز واليمن فيما له علاقة بالحركة الأباضية حيث اهتم الأخباريون بأخبار الحجاز مثلا لقدسيتها لدى المسلمين بصورة خاصة. إلا أن هذه المصادر قد أغفلت في أخبارها الأقاليم الشرقية من الجزيرة العربية وبالذات عن اقليم عمان مركز الدعوة الأباضية وإذ كانت هناك ثمة إشارات فانها لا تتعدى أسطراً قليلة.

ولهذا نلاحظ أن خليفة بن خياط في الجزء الثاني من كتابه التاريخ قد اهتم بنشاط الحركة الأباضية في اليمن وحضرموت والحجاز، وتعتبر روايات خليفة عن أباضية اليمن واضحة ومتكاملة من حيث متابعته للحركة حتى سقوطها[٢]. فيما لو قورنت بروايات الطبري التي تنتهي بسردها للأحداث بعد مقتل عبد الله بن يحيي الكندي، وامتاز الطبري على خليفة بذكره عدة أسانيد للحادثة الواحدة[٣]، بينما اقتصر خليفة بن خياط باعتماده على سند واحد للحادثة، ويمكن القول أنه لا يمكننا رسم صور واضحة للحركة الأباضية في سنة ١٢٩ هـ إلا بمقارنة روايات خليفة بن خياط والبلاذري والطبري وتبدو قيمة هذه المصادر التاريخية في كونها أصبحت مرجعاً للمصادر التي تلتها.

(١) ابن خياط، خليفة، تاريخ خليفة، القسم الثاني، حققه سهيل زكار و د. أكرم ضياء العمري، ط/ (دمشق، ١٩٦٨)، و (النجف ١٩٩٧).

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، ١٩٦٠).

(٣)

د ـ كتب الجغرافيا:

تظهر أهمية الكتب الجغرافية في معرفة مواقع المدن العمانية، وبالتالي معرفتنا لتحرك قوى المعارضة وتوزيعها على هذا الأقليم من الناحية الجغرافيّة، كما كان العامل الجغرافي أثراً في استقلال إقليم عمان عن السلطة المركزية للدولة الإسلامية.

ومن المصادر المهمة التي اعتمدنا عليها كتاب المسالك والممالك للإصطخري (ت ٣٤١ هـ) وفيه إشارات مهمة عن تاريخ عمان عن الفترة موضوعة البحث بالإضافة إلى جغرافيتها.

وفي كتاب المقدس(ت ٣٨٠ هـ) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم معلومات مقتضبة عن بعض مدن عمان. ويعتبر معجم البلدان لياقوت الحموي(ت ٦٢٦ هـ) من الكتب الموسوعية فهو بالإضافة إلى جغرافيته، فيه مادة تاريخية وأدبية عن الخوارج هذا بالإضافة إلى اعتمادنا على كتب جغرافية أخرى في هذا البحث.

هـ ـ المراجع الحديثه والمقالات:

ومن المراجع الحديثة التي اعتمدنا عليها في هذا البحث كتاب العقود الفضية في إصول الأباضية لمؤلفه سالم بن حمد الحارثي وتأتي قيمة معلوماته في ذكره لمؤلفات الأباضية من أهل عمان.

ومن المقالات التي أسهمت في التنبيه على أهمية مصادر التاريخ المحلي لإقليم عمان ما كتبه الدكتور فاروق عمر فوزي في مقالته (ببليوغرافيا في تاريخ عمان) ومقالته ملامح من تاريخ حركة الخوارج الأباضية كما وردت في مخطوطة كشف الغمة.

كما وأن كتاب lorimer (لوريمر) الموسوم دليل الخليج العربي بقسميه الجغرافي والتاريخي غني بمعلوماته عن الخليج من حيث تاريخه السياسي ومواقع مدنه وقراه حيث يحتوى على خرائط وجداول مهمة، أما كتاب the Arabin peninsula الذي نشر تحت اشراف السيد J. G. Wilkinson في لندن ١٩٧٢ فيحوي مجموعة مقالات عن شبه الجزيرة العربية نخص منها بالذكر مقالة Derek Hopwoid الموسومة The origims of The Oman وهي استعراض تحليلي موجز منذ نشوء الإمامة الأباضية حتى بروز اليعاربة على المسرح السياسي في عمان مدعّما بخرائط طبيعية وبشرية عن مناطق استقرار القبائل في عمان.

الفصل الثاني
الدعوة الأباضية في البصرة
في مرحلة الكتمان
وأثرها في انتشار المذهب الأباضي

أصل التسمية:

اختلف المؤرخون المسلمون اختلافاً واضحاً في أصل الأباضية وزمن نشوئها، ويتضح لنا هذا الإختلاف في طبيعة الروايات المقتضبة التي أوردها هؤلاء المؤرخون.

فقد عزا بعض المؤرخين الرودا الأباضية إلى عبدالله بن أباض ولم يشيروا إلى العصر الذي عاش فيه، وقد تبعهم في ذلك عدد من كتّاب الفرق والعقائد[1].

---

(١) ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، المعارف، (القاهرة، ١٩٦٠) ص ٦٢٢ ـ الداشيء الأكبر، عبدالله بن محمد، مسائل الإمامة، (بيروت، ١٩٧١) ص ٦٨ ـ الرازي، أبو حاتم أحمد بن حمدان، الزينة في الكلمات الإسلامية، (بغداد، ١٩٧٢) ص ٥٤ ـ البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، الفرق بين الفرق (بيروت، ١٩٧٣)، ص ٨٢، ـ الحدفي، أبو محمد عثمان بن عبد الله بن الحسين، الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة (أنقرة ١٩٦١) ص ١٤ ـ مؤلف مجهول، الملل والنحل، مخطوطة بمكتبة الأوقاف برقم ٦٨١٩. ورقة ١٩.
انظر أيضاً معاجم اللغة وعلى سبيل المثال ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (بيروت، ١٩٦٨)، ١١١/٧ ـ الزبيدي محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، (بيروت؛ لات) ٢/٥.

أما المقدسي، فينسب الأباضية إلى الحارث بن أباض، ولم يذكر الفترة التي عاش فيها[١].

وتظهر بعض الروايات في كتب الفرق الأرتباك فيما يتعلق بنسبتهم، فالملطي ينسب الأباضية إلى عبدالله بن أباض ولكنه يقول في موضع آخر: أنهم. «أصحاب أباض بن عمرو، الذين خرجوا من سواد الكوفة فقتلوا وسبوا الذرية[٢]». وعلى هذا يكون منشأهم في الكوفة إذ يشير إلى بقاياهم إلى ما بعد منتصف القرن الرابع الهجري[٣].

والشهرستاني وإن نسب الأباضية إلى عبدالله بن أباض إلا أنه يجعل خروجه في أواخر الدولة الأموية وعلى ذلك تكون وفاة ابن أباض في نهاية الدولة الأموية، إذ يشير إلى مقتله مع عبدالله بن يحيى[٤]. ولعله يقصد عبدالله بن يحيى الكندي والملقب بطالب الحق الذي ثار في أواخر الدولة الأموية[٥].

أما السمعاني، فيبدو أن معلوماته مقتضبة ومتأخرة عن الأباضية، فقال أنهم: «أصحاب الحارث الأباضي ويقال لهذه الحارثية»[٦]، والمعلوم إن الحارثية هي إحدى الفرق الأباضية المتأخرة[٧].

---

(١) المقدسي، مطهر بن طاهر، البدأ والتاريخ، (باريس، ١٩١٦)، ٥/ ١٣٨.
(٢) الملطي، أبو الحسن محمد بن أحمد، التنبية والرد على أهل الأهواء والبدع (بيروت، ١٩٦٨) ص ٥٢.
(٣) المصدر نفسة، ص ٥٢.
(٤) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل (المكتبة الأنجلو مصرية. لات) ١/ ٨٠.
(٥) انظر الفصل الثالث من الرسالة.
(٦) السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور، الأنساب (حيدر آباد، ١٩٦٢) ص ٨٧.
(٧) أنظر البحث المتعلق بالحارثية من الفصل السابع من الرسالة.

أما شخصية عبدالله بن أباض، فقد صورها بعض كتّاب الفرق على أنها شخصية قلقة لا يقر لها قرار ولا يطمئن للمبادىء التي يعتنقها، فإبن حزم في رواية له يذكر «أن عبدالله بن أباض يرجع في اقواله إلى الثعالبة الصفري» وإلى قول الثعالبة رجع عبد الله بن أباض فبرىء منه أصحابه[١] ومما جعل ابن حزم يطمئن إلى هذه الرواية أن الأباضية المعاصرين له لا يعرفون شيئاً عن سيرة عبدالله بن أباض مع أنهم ينسبون إليه: «ولقد سألنا من هو مقدمهم في علمهم ومذهبهم فما عرفه أحد منهم»[٢] ويتفق رشوان الحميري مع ابن حزم في تحديد ملامح شخصية ابن أباض، إلا أنه يذكر لنا أنه رجع إلى الاعتزال وترك مبادئه الأباضية، ودليله على ذلك أن أصحابه لا تعظمه. قال أبو القاسم البلخلي[٣]. «حكى أصحابه أن عبدالله بن أباض لم يمت حتى ترك قوله أجمع، ورجع إلى الاعتزال، والقول بالحق، والذي يدل على ذلك أن أصحابه لا يعظمون أمره»[٤].

وعند مناقشة روايتي ابن حزم والحميري السابقتين، يتبين لنا عدم صحتهما، ذلك لأن عبدالله بن أباض كان معاصراً لعبدالله بن صفار، وكانت بين ابن أباض وابن صفار مناظرات عقائدية يظهر فيها براءته من الأفكار الصفرية أولاً[٥]، ثم أن الثعالبة إحدى فرق العجاردة، وهم من الخوارج أيضاً فعلى هذا لا توجد علاقة بين الصفرية والثعالبة ثانياً[٦].

---

(١) ابن حزم، أبو محمد أحمد بن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل (القاهرة، لات) ٤/ ١٩٣.
(٢) المصدر السابق ٤/ ١٩٣.
(٣) أبو القاسم البلخي. أحد أئمة المعتزلة. الزركلي خير الدين الإعلام (مطبعة كوستاموس ١٩٥٤) ٤/ ١٨٤.
(٤) الحيمري، أبو سعيد دشوان سعيد بن دشوان، الحور العين (طهران ١٩٧٢) ص ١٧٣.
(٥) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك (القاهرة، ١٩٧١) ٥/ ٥٦٨.
(٦) البغدادي. الفرق بين الفرق، ص ٨٠ ـ الكرمادي محمد بن يوسف بن علي، الفرق =

ومن جهة ثالثة لا يمكن الركون لرواية الحميري، لأنه اراد أن يعزز وجهة نظره العقائدية، لأنه يميل إلى اعتزال، كما أنه اعتمد رواية معتزلي هو أبو القاسم البلخي كما يظهر من نص الرواية سالفة الذكر[1].

ومن المؤرخين المتأخرين المقريزي الذي قال بنسبتهم إلى عبدالله بن أباض ويسميه الحرث بن عمر، ويشير إلى خروجه في أواخر الدولة الأموية، ويرى أنه من غلاة المحكمة، إلا أنه يورد احتمالا ثانياً فيما يتعلق بنسبة الأباضية إلى قرية أباض بالقرب من اليمامة[2]، وقد انفرد المقريزي بهذه الإشارة دون غيره من المؤرخين.

ومن هذا العرض تظهر الصورة الغامضة لشخصية عبدالله بن أباض، الذي نسبت إليه الأباضية، وبالتالي الغموض الذي لف تاريخ هذه الفرقة الإسلامية وأصلها.

سيرة ابن أباض الأولى:

يتفق أغلب المؤرخين الذين تطرقوا إلى سيرة ابن أباض على انتمائه إلى قبيلة تميم القاطنة في البصرة بشكل خاص، فهو عبدالله بن أباض من بني مرة بن عبيد[3] رهط الأحدف بن قيس التميمي[4].

= الإسلامية ذيل كتاب شرح المواقف (بغداد ١٩٧٠) ص ٠٠٧٧ الثعالبة اتباع ثعلبة بن مشكان إمامهم بعد عبد الكريم بن عجرد وقد افترقا نتيجة لاختلافهما في حكم الأطفال. انظر البغدادي الفرق بين الفرق ص ٧٢ ـ ٠٨٠.

(١) الحميري. الحور العين ص ١٧٣.

(٢) المقريزي. تقي الدين أبي العباس. أحمد بن علي. الخطط المقريزية (بولاق، ١٢٩٤ هـ/ ٢/ ٣٥٥.

(٣) المبرد أبو الحباس، محمد بن يزيد، الكامل، باب الخوارج (دمشق، لات)، ص ١١٨.

(٤) مؤلف مجهول قطعة من كتاب الأديان، مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم =

ذكر الأزكوي: أنه «نشأ في زمان معاوية بن أبي سفيان وعاش إلى زمن عبد الملك بن مروان»[1]. ويحتمل أنه ولد في العقد الأول من خلافة معاوية بن سفيان (٤١ ـ ٦٠ هـ) وبهذا يكون عمره عند اشتراكه في الدفاع عن مكة المكرمة مع المحكمة الأولى بجانب عبدالله بن الزبير ضد القوات الأموية عام ٦٤ هـ لا يتجاوز أربعة وعشرين عاماً، ويتضح من الرسالة[2] التي كتبها ردا على رسالة عبد الملك بن مروان (٦٥ هـ ٦٨٤م ـ ٨٦ هـ/ ٧٠٥م) ما يوافق صحة هذا الإستنتاج إذ يظهر من مقدمها أنه كان مدركاً مميزاً بين الحق والباطل: «فلا تسأل عن معاوية ولا عن عمله ولا صحة، غير أنا قد أدركناه ورأينا عمله وسيرته في الناس. . . »[3].

وقد ورد نص آخر في هذه الرسالة يقول فيه: «ونطيع من أحل لكما طاعته في كتابه ونعصي من أمر الله بمعصيته. . . فهو الذي أدركنا عليه نبينا ﷺ. [4]» وهذا النص يضعنا أمام احتمالين فيما يتعلق بإدراكه النبي ﷺ فالاحتمال الأول: ربما يعني علمه ومعرفتة بسيرة الرسول ﷺ. والإحتمال الثاني معاصرته للرسول ﷺ في أواخر حياته.

= ٢٢٢٨٩ ب، ورقة ٩٨ أ. وقال الرقيشي: الأباضيون منسوبون إلى عبد الله بن أباض من تميم من بني مرة بن عبيد ورهط الأحدف بن قيس، مصباح الظلام ورقة ١٩ أ.

(١) الأزكوي، كشف الغمة، ورقة ٢٤٤ ب.

(٢) عبد الله بن أباض، السيرة المنسوبة إليه ضمن كتاب سير وتراجم العلماء الموسوم: بـ(السير الحمادية) بمكتبة الإمام غالب بن علي بالدمام المملكة العربية السعودية، ورقة ٠٧ ـ البرادي أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم، الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات، ص ١٦٣٠ ـ كشف الغمة، ورقة ٢٠٥ أ.

(٣) سيرة عبدالله بن أباض ورقة(٧) ـ كشف الغمة ورقة ٢٠٥ أ. ورد النص أعلاه في الجواهر المنتقاة بشكل آخر مع تطابق في المعنى «فلا تسأل عن معاوية وعن صناعته غيري لأني قد أدركته ورأيت عمله وسيرته» البرادي، الجواهر المنتقاة، ص ١٦٣.

(٤) سيرة ابن أباض ورقة ٨. ورد النص أعلاه في الجواهر المنتقاة بالشكل الآتي: «وأن نطيع من أمر الله بطاعته.» البرادي، الجواهر المنتقاة، ص ١٦٦.

ولا يمكننا أن نحدد تاريخا لوفاته لطول فترة حكم عبد الملك بن مروان الممتدة من (٦٥ هـ/ ٦٨٤م ـ ٨٦ هـ/ ٧٠٥ م)، غير أننا نستطيع الجزم من خلال ما تضمنته الرسالة المارة الذكر أنه عاش بعد سنة (٦٧ هـ / ٦٨٦ م)، إذ أشار فيها إلى هزيمة المختار بن عبيدة الثقفي من قبل مصعب بن الزبير[١].

ويشير بعض الكتاب المحدثين إلى اضطراب المؤرخين في سيرته وتاريخ وفاته ويذهب إلى القول: بأن ابن أباض كان معاصراً لمعاوية بن أبي سفيان وعاش إلى أواخر حكم عبد الملك بن مروان[٢].

ويذهب المؤرخ الأباضي للشيخ علي يحيى معمر. بأن عبدالله بن أباض عاش بعد وفاة جابر بن زيد أحد أئمة الفرقة الأباضية يقول معمر: «وعبد الله بن أباض كان صدوه وتلوه». . وبعد وفاة جابر بن زيد ظهر عبد الله بن أباض بأجلى مظاهر الغيرة الدينية»[٣]ولما كان جابر بن زيد قد توفى على أقل الروايات عام ٩٣ هـ[٤] وأكثرها عام ١٠٤ هـ[٥].

تعقيب

(١) هذا القول ليس عن الشيخ علي يحي معمر: وإنما ساقه نقلا عن الشيخ قاسم بن سعيد الشماخي عن كتاب القول المتين.

(٢) كتاب مشارق أنوار العقول كتاب يبحث في العقيدة الإسلامية الأباضية تأليف الإمام العلامة نور الدين عبدالله بن قيد السالمي وليس من تأليف أبي بكر

---

(١) السير الحمادية، سيرة إبن أباض، ورقة ٦ البرادي، الجواهر المنتقاة ص ١٦٣.
(٢) الزركلي، خير الدين، الاعلام ٤/ ١٨٤.
(٣) معمر، علي يحي، الأباضية في موكب التاريخ، الحلقة الأولى، (القاهرة، ١٩٦٤) ص ١٥١.
(٤) العصفري، خليفة بن خياط، الطبقات، (بغداد، ١٩٦٧) ص ٢١٠.
(٥) الأزدي، أبو زكريا، محمد بن يزيد، تاريخ الموصل، (القاهرة، ١٩٦٧) ص ٢١٠.

أحمد بن سميط العلوي وإنما الأخير وقف على طبعه وقام على تصحيحه في زنجار. وقد وردت نسبة تأليف الكتاب «المشارق» إلى ابن سميط في صفحه ٣٠٤، ٣٢٢، والصحيح ما أثبتناه هنا.

فتكون وفاة عبدالله بن أباض بعد هذين التاريخين. وهذا خلاف ما ذكره الأزكوي من أنه «عاش إلى زمن عبد الملك بن مروان..»[١]، ومن ناحية أخرى نلاحظ أن الكتّاب الأباضية حينما يشيرون إلى أئمتهم يعدّون عبدالله بن أباض أولاً ثم يذكرون بعده جابر بن زيد ثانياً[٢]، مما يدل على خطأ الشيخ علي يحيى معمر وعدم تمييزه لتتابع أئمة مذهبه الأباضي.

وفيما عدا هذه الإشارة نلاحظ أن كتب السيرة الأباضية تكاد تسكت سكوتا مطبقا فيما يتعلق بالحياة الشخصية والسياسية لعبدالله بن أباض، الذي نسب إليه المذهب الأباضي، بل نجد هذه المصادر تتضارب رواياتها وخاصة فيما يتعلق بمركزه السياسي للدعوة الأباضية، فالدرجيني يعتبر عبدالله بن أباض «إمام أهل الطريق المؤسس لأبنية هي مستندات الأسلاف..[٣]» وبالإضافة إلى كونه مؤسساً للمذهب فهو «رأس العقد ورئيس من بالبصرة وغيرها من الأقطار[٤] ويلاحظ من نص الدرجيني عدم تحديد فترة إمامته ورئاسته، كما أشار إلى فضائلة المشهورة «المخلفة في بطون الأوراق[٥]» ولم يصلنا منها شيء وربما أراد الإشارة إلى رسالته لعبد الملك بن مروان. إلا أن الشماخي في سيره يخالف الدرجيني فيما ذهب إليه، ويقول بإمامة جابر بن زيد ويعطي دوراً ثانويا لعبد الله بن أباض، يقول الشماخي: «وفي حفظي أنه يصدر

---

(١) كشف الغمة، ورقة ٢٤٤ ب.

(٢) العلوي، أحمد بن أبي بكر سميط، مشارق أنوار العقول، (مصر ١٣١٤ هـ)، ص ٣٧٥.

(٣) الدرجيني، أبو العباس أحمد، طبقات الأباضية، ١/ ورقة ٩٣ ب.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

في أمره عن رأي جابر بن زيد وله مناظرات مع الخوارج»[١].

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو: إذا كان عبدالله بن أباض مؤسسا للمذهب الأباضي؟!. فلماذا لا نلاحظ آثاره العقائدية والفقهية في مؤلفات الأباضية «وأمهات كتبهم خاصة[٢]»، وما وردنا عنه إلا رسالته لعبد الملك بن مروان، ورد على نافع بن الأزرق الذي يمثل وجهة نظره في القعود احتفظت به كتب الأخباريين غير الأباضية[٣].

وهنا يكون أمام احتمالين، تدعمهما الوقائع التاريخية، الأحتمال الأول: أن عبدالله بن أباض، أحد مجتهدي الأباضية وعلمائها البارزين[٤]، وقد عبر عن وجهة نظر المعتدلين، من المحكمة الأولى، وقد غلبت شهرته عليهم فسموا بالأباضية، وقد أوضح الخطوط العريضة للفكر الأباضي مميزاً بينهم، وبين الحركات الخارجية المتطرفة كالأزارقة، والنجدات، وغيرهم من الخوارج.

ومن جهة أخرى، ونتيجة للمراسلات، التي جرت بين عبدالله بن أباض

---

(١) الشماخي، أحمد بن سعيد بن الواحد، كتاب السير، ص ٧٧. ومن المؤكد أن الخطيب البغدادي قد اختلق رواية مفادها أن عبد الله بن أباضي قد عاصر المأمون وهذا يخالف ما ذكرناه أعلاه، كما أن الرواية تناقض الواقع التاريخي لأنه جعل الرافدية والأباضية والمعتزلة في جهدم على حد تعبير المأمون وقد كان المأمون أول من تبنى الإعتزال وحمايته من العباسيين. أنظر الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد، (القاهرة، ١٩٣١) ٣/٣٦٩.

(٢) أنظر: المدودة الصغرى، لأبي بشر بن خادم الخراساني. في الفقه الأباضي. ـ الجامع لأبي محمد عبدالله بن محمد بن بركة العماني مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٢١١١٣ ب.

(٣) الطبري الرسل والملوك ٥٠/٥٦٨.

(٤) أبو ستة. أبو عبدالله محمد بن عمر. حاشية على شرح قواعد الإسلام مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٠٦٩ ب. ورقة ٢٦ ب.

وعبد الملك بن مروان فقد خيل للسلطة الأموية، ووقع في ظلها أن عبد الله بن أباض هو المؤسس للدعوة الأباضية، ولهذا نسب إليه المذهب الأباضي، وسمي باسمه.

والإحتمال الثاني: وهو أن الجماعة المعتدلة من المحكة الأوائل أوعزت إلى عبدالله بن أباض ليكون المتكلم، والمناظر المعبر عن وجهة نظرهم المبدئية، وخير دليل على ذلك أن النشاط السري «مرحلة الكتمان» وجد قبل المراسلات بين عبدالله بن أباض، ونافع بن الأزرق[1] وسبق تبادل الرسائل بين عبد الله بن أباض وعبد الملك بن مروان، وهذا ما يؤكد سرية النشاط الأباضي في البصرة، إذا لم تجدر المراسلة بين قيادة التنظيم السري والسلطة المركزية بدمشق، وكان المفروض أن يجري تبادل الرسائل بين جابر بن زيد وعبد الملك بن مروان، ومما يؤيد هذا الرأي ما ذكره الشماخي: بأن ابن أباض «يصدر في أمره عن رأي جابر بن زيد[2]» ورواية الرقيشي التي يقول فيها: «فقد بلغنا أن أباض بلال مرداس بن حدير. . . وغيره من أئمة المسلمين لم يكونوا يخرجون إلا بأمر إمامهم في دينهم جابر بن زيد العماني رحمه الله، ومشورته، ويحبون ستره عن الحرب، لئلا تموت دعوتهم، وليكن رداء لهم. . »[3].

وهكذا يتضح لنا من خلال هذه النصوص أن ابن أباض لم يكن شخصية مشهورة، عبرت عن وجهة نظر الأباضية فنسب المذهب إليه لأن السلطة الأموية لم تعرف غيره من قادة المحكمة المعتدلين. وقد أدرك ذلك نور الدين السالمي فنظم هذه المعنى شعراً فقال:

ونسبوا من كان في طريقته ... إليه لاشتهار حسن سيرته

(١) الطبري، الرسل والملوك ٥/٥٦٨.
(٢) الشماخي، السير، ص ٧٧.
(٣) الرقيشى، مصباح الظلام، ورقة ٢٠ ب.

إن المخالفين قد سموها بذاك غير أننا رضينا[1]
ونحن في الأصل وفي الفروع على طريق السلف الرفيع

ومن هذا الشعر ندرك أن الأباضية مجرد تسمية للخط المعتدل من المحكمة الذي بقي حتى يومنا هذا.

الظروف السياسية التي رافقت نشوء الأباضية:

لا يمكن معرفة نشأة الأباضية، بمعزل عن دراسة الظروف السياسية التي مر بها المحكمة الأولى[2] في صراعهم مع السلطة الأموية. إن الظروف العصيبة التي واجهت الأمويين أبان خلافة يزيد بن معاوية ت (٦٤ هـ/ ٦٨٣ م) ثم بعد وفاته، مكنت الأحزاب المناوئة للسلطة الأموية من النهوض، ومحاولة إسقاط الأمويين عن الحكم بكل وسيلة ممكنة، وقد كانت للأحداث الأليمة في المدينة المنورة على يد القائد الأموي مسلم بن عقبة في وقعة الحرة عام (٦٣ هـ) واستباحتها، وقتل العدد الكبير من أهلها تركت هذه الوقعة أثراً بليغاً لدى المحكمة الأولى فرأوا وجوب الدفاع عن مكة المكرمة[3] لئلا يحل بها ما حل بالمدينة قبلها، فاشترك عبدالله بن أباض مع أبرز شخصيات المحكمة الأول، كنافع بن الأزرق، ونجدة بن عامر الحنفي، وغيرهم من الزعماء المشهورين

---

(١) الحارثي، سالم بن حمد، العقود الفضية في أصول الأباضية (بيروت، ١٩٧٤)، ص ١٢٢.

(٢) المحكمة الأولى: أحد أسماء الخوارج «من الذين فارقوا عليا إلى أن حدثت محكمة ابن الزبير وهو الذي خرجت فيه الأزارقة. الناشيء الأكبر، مسائل الإمامة، ص ٦٩.

(٣) المبرد، الكامل، ص ١٠٦، ـ الطبري، الرسل والملوك، ٥/ ٥٦٤٠ انظر فيما يتعلق بوقعة الحرة عام ٦٣ هـ، ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، (بيروت، ١٩٦٦)، ٨/ ٢١٧ ـ ٢٢٢.

للدفاع عن مكة بجانب عبدالله بن الزبير[١] بغض النظر عن اختلاف الأهداف السياسية للفريقين، فقد جمعتهم مصلحة الدفاع المشترك ضد العدو الواحد، يقول البلاذري: (وكانوا غضبوا للبيت فقاتلو مع ابن الزبير وهم لا يرون نصره ولكنهم احتسبوا في جهاد أهل الشام»[٢].

وبعد أن قاتل المحكمة مع ابن الزبير الحصين بن معير السكوني خليفة مسلم بن عقبة الذي قام بمحاصرة ابن الزبير بمكة افترقت المحكمة مع عبد الله ابن الزبير نتيجة لاختلاف المباديء والأهداف، وخاصة في مسألة الخلافة، فتركوه إلى البصرة في عام ٦٤ هـ، حيث تعرض عبدالله بن أباض مع مجموعة من أبرز قيادي المحكمة الأولى إلى السجن كنافع بن الأزرق ونجدة بن عامر الحنفي، مع مائة وأربعين سجيناً[٣].

وفي ذات الوقت اتجهت مجموعة أخرى من المحكمة بعد فراقها لأبن الزبير إلى اليمامة بزعامة أبي طالوت من بني زمان بن مالك بن بكر بن وائل، وعبد الله بن ثور أبي فديك بن قيس بن ثعلبة، وعطية بن الأسود اليشكري الذين بايعوا فيما بعد نجدة بن عامر الحنفي وسموا بالنجدات[٤].

وقد مكنت الظروف السياسية، المضطربة، بعد وفاة يزيد بن معاوية عام ٦٤ هـ المحكمة الأولى من الخروج من سجن البصرة بصورة جماعية، بما فيهم عبدالله بن أباض، ونافع بن الأزرق بعد أن أصبح موقف الوالي الأموي عبيد الله بن زياد ضعيفاً جداً، مما مكن المحكمة بما لهم من قوة حجة، وحماس، وانتشار بين الأمة أن يفسدوا حتى البيعة التي حصل عليها من أهل البصرة بعد

---

(١) الطبري، الرسل والملوك، ٥/٥٦٦.
(٢) البلاذري، أحمد بن جابر، أنساب الأشراف، ج ٤ ق ٠٢ (القدس، ١٩٣٨) ص ١٠٢.
(٣) المصدر السابق، الطبري، الرسل والملوك، ٥/٥٦٣٠.
(٤) الطبري، الرسل والملوك، ٥/٥٦٦٠.

موت يزيد، يقول المبرد: «وفشوا في الناس يدعون إلى محاربة السلطان، ويظهرون ماهم عليه. . حتى اضطرب على عبيدالله بن زياد أمره»[١]، مما أدى إلى هروبه إلى الشام[٢].

وقد وقفت المحكمة الأولى في البصرة على مفترق التاريخ، نتيجة لاختلاف واجتهاد القادة إزاء الظروف الجديدة بعد هروب عبيدالله بن زياد إلى الشام. هذه المواقف التي أدت إلى تحولات كبيرة أثرت على المدى التدريجي في مسيرة المحكمة الأولى في البصرة، ونظراً لخلو الميدان من القائد المتميز الذي يجمع المحكمة تحت رايته لتحقيق أهدافهم في إسقاط السلطة الأموية، فقد انقسموا إلى قسمين رئيسين.

القسم الأول: ممن أراد الخروج بزعامة نافع بن الأزرق، وقد ساعدهم على الخروج الفتنة القبلية في مدينة البصرة بين الأزد وربيعة، وبني تميم وقيس[٣].

القسم الثاني: الذين لم يرتأوا الخروج، وهم الأقلية ومنهم عبدالله بن أباض، وعبدالله بن صفار، ورجال معهما على رأيهما[٤].

وقد تبع الإنقسام الأول انقسام فكري وعقيدي، كان له أثره في سلوك الحركات الخارجية من حيث التطرف والاعتدال، فقد تبرأ نافع بن الأزرق من الذين تخلفوا عنه في البصرة، ولهذا كتب رسالة إلى عبدالله بن صفار وعبدالله بن أباض، ومن تخلف من الخوارج في البصرة يدعوهم فيها إلى وجوب الالتحاق به، ووصف المسلمين، من غير الخوارج بالشرك وجواز

---

(١) المبرد، الكامل، ص ١١١.
(٢) الرسل والملوك، ٥/ ٥٢١، القدسي البدأ والتاريخ ٥/ ١٨.
(٣) الرسل والملوك ٥/ ٥٦٧.
(٤) المصدر السابق ص ٥/ ٥٦٨.

استعراضهم، وعدم جواز مناكحتهم، وموارثتهم[1]. وقد حفظ المبرد نص الكتاب الذي أثار الجدل والإنقسام العقائدي بين المحكمة الأولى، جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون، والله إنكم لتعلمون أن الشريعة واحدة، والدين واحد ففيم المقام بين أظهر الكفار، ترون الظلم ليلا نهاراً وقد ندبكم الله إلى الجهاد، فقال: (وقاتلوا المشركين كافة)، ولم يجعل لكم في التخلف عذراً في حال من الأحوال[1] وما إن وصل الكتاب حتى قرأه عبدالله بن صفار، وأدرك ما تضمنته من أفكار متطرفة، تثير الشقاق والإنقسام لذا لم يقرأه على الناس خشية أن يتفرقوا ويختلفوا[2]، فوضعه خلفه.

فأثار ريبة واندهاش ابن أباض، وجزعه على أخوانه، وظنه أنهم قد أصيبوا، وأسروا، إلا ما ورد في الرسالة قلب أفكاره رأساً على عقب ومن إشفاق إلى غلظة. ومن تولي ابن الأزرق إلى التبري منه، فقال عبدالله بن أباض رداً على الأفكار الواردة في الرسالة، آنفة الذكر: «قاتله الله أي رأي رأى، صدق نافع بن الأزرق، لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأيا وحكما فيما يشير به، وكانت سيرته كسيرة النبي ﷺ في المشركين، ولكنه قد كذب وكذبنا فيما يقول: إن القوم كفار بالنعم والأحكام، وهم براء من الشرك، وما سوى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام»[3].

وقد أثارت آراؤه هذه إنشقاقا جديداً بين القعدة من خوارج في البصرة فقد تبرأ منه عبدالله بن صفار، واتهم ابن أباض بالتقصير ونافع بن الأزرق بالغلو، وتبرأ منهما، وأيده في ذلك أبو بيهس هيصم بن جابر الضبعي، الذي ذهب إلى

---

(١) المبرد، الكامل ص ١١٧.
(٢) الرسل والملوك ٥/٥٦٨.
(٣) المصدر السابق.

القول بجواز الإقامة بين المسلمين، ومناكحتهم وموارثتهم باعتبارهم منافقين، لأنهم يظهرون الاسلام وحكمهم عندالله حكم المشركين[١] ومن هنا تكونت الفرق الخارجية التي كفّرت بعضها البعض الآخر، كالصفرية، والأباضية، والبيهسية والأزارقة. وقد كان الإنشقاق والإنقسام من ابسط الأمور وأبرز الظواهر لدى الحركات الخارجية في هذه الحقبة ولا يوجد هناك دليل تاريخي، يثبت الرأي الذي طرحته الدكتورة سهير قلماوي. بأن انقسامهم خطة مدبرة للهجوم على الدولة الأموية[٢]، فلم يحدث ما يشير إلى وفاق بينهم، بل على العكس من ذلك رأينا القتال بين الصفرية والأباضية فيما بعد[٣].

أبو بلال مرداس وأثره في الدعوة الأباضية

هو أبو بلال مرداس بن عمرو بن حدير التميمي يعتبر من أبرز أئمة المحكمة الاولى وكانت جميع الفرق الخارجية بعد إنقسامها تعتبره من أئمتها[٤] إلا أن الأباضية هي الفرقة الأكثر تأثراً بسيرته، فقد عرف بالزهد والتقوى وحسن السيرة، وقد خرج في عام ٦١ هـ على عبد الله بن زياد بعد أن ضيق كثيراً على خوارج البصرة وأشار البسيوي إلى ذلك بقوله. «وصارت الدولة في أيدي الجبابرة، حيث ما سمعوا بأحد من المسلمين قتلوه أو حبسوه، عبيدالله وأشياعهم.. فلما كثر الجور واستخف بالإسلام خرج عليهم المرداس بن حدير فيمن اتبعه[٥]» وكان عدد الذين خرجوا معه أربعين رجلا نزلوا قرية آسك في الأهواز ولم يكن «يدعي هجرة ولا ينتحلها ولا يخيف آمنا

---

(١) المبرد. الكامل ص ١١٨.

(٢) د. سهير قلماوي، أدب الخوارج، (مصر، ١٩٤٥) ص ٣٥.

(٣) انظر الفصل الرابع من الرسالة.

(٤) الرقيشي، مصباح الظلام، ورقة ٢١ أ.

(٥) البسيوي، أبو الحسن علي بن محمد. الحجة على من أبطل السؤال في الحدث الواقع بعمان. ورقة ١٠.

ولا يستحيل استعراضا. . . ولا يغنم أموالا ولا يسبي ذرية ولا ينزل قومه منزلة أهل الأوثان. . »[1] وهذه السلوكية طبعت الأباضية في معاركهم ومعاملتهم لأهل الخلاف من المسلمين، وقد خالفتها الأزارقة وخاصة فيما يتعلق بالهجرة والإستعراض وتشريكهم للمسلمين. كما كان أبو بلال مرداس يؤمن بأخذ العطاء من السلطان الجائر، فعندما مرّ به مال حُمل لعبيد الله بن زياد أخذ منه أعطياته وأعطيات أصحابة ورد الباقي، فطلب منه أصحابه أخذ المال كله، فقال: أنهم يقسمون هذا الفيء كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم»[2].

ومن آرائه كذلك أنه يلقي الحجة في الحرب على المخالف المسلم ولا يقاتل إلا من قاتله[3]. أي الدعوة أولاً ثم الحرب ثانياً. وقد تركت سيرته هذه أثراً عميقاً في سلوك الأباضية، وخاصة فيما يتعلق بأخذ الأعطيات حيث ترد مثل هذه الأحكام في الفقه الأباضي، وتمثل إنعكاساً لرأي أبي بلال مرداس[4] ويمكن أن نلاحظ آرائه في سلوك أبي حمزة المختار بن عوف إذ تركت ظلالها في خطبه التي ألقاها في الحجاز وفي مواقفه من أهل مكة والمدينة ومع الأمويين كذلك، وقد قتل أبو بلال مرداس من قبل عبيدالله بن زياد عام ٦١ هـ. قتله عباد بن الأخضر[5] في موقعة آسك الشهيرة لدى الخوارج[6].

---

(١) الرقيشي، مصباح الظلام، ورقة ٢١ أ.

(٢) المبرد، الكامل، ص ٨٣.

(٣) الدرجيني، طبقات الأباضية ١/ ورقة ٦ ب.

(٤) الشماخي، السير، ص ٩٠.

(٥) الطبري، الرسل والملوك، ٥/ ٤٧١.

(٦) قال الحموي، وآسك «بلد من نواحي الأهواز قرب أرجان وكانت بها وقعة للخوارج. .» وفيها قيل شعر يعبر عن الصلابة والفداء في سبيل العقيدة الذي كان سر انتصارات الخوارج على قلتهم على الجيوش الأموية وكانت هذه الواقعة نموذجاً لبقية الوقائع وفيها قال الشاعر الخارجي:

ءألفا مؤمن فيما زعمتم … وبقتلهم بآسك أربعونا

الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان مج أ، (طهران، ١٩٦٥) ص ٦١.

العلاقة بين عبيدالله بن أباض والدولة الأموية

لم تسعفنا النصوص التاريخية بمعلومات توضح العلاقة بين السلطة الزبيرية والأباضية في بداية نشوئها وتبلور أفكارها، ويظهر أن التخفي، والكتمان كان السمة المميزة لها، ولم يكن يعينها إقامة علاقات سياسية خلال هذه الحقبة، غير أنهم من وجهة نظر مبدئية لا يقرون مثل هذه الخلافة(١).

ويرى بعض المستشرقين أن الأباضية ربطت نفسها بعلاقة صداقة مع الزبيريين أيام مصعب وبعد اندحاره ساعدت بني أمية.(٢)

على أننا نستطيع القول إن جميع الدراسات التي كتبت بهذا الشأن اعتمدت بالدرجة الأساسية على المعلومات التي وردت في رسالة عبدالله بن أباض، لعبد الملك بن مروان(٣) كما إن هذه الدراسات اتخذت من مسألة العطاء الذي يأخذه الأباضية من السلطان الجائر أساساً لاتهام قادتهم بصداقة الأمويين، فقالوا بالعلاقة الودية بين عبدالله بن أباض وعبد الملك بن مروان والصداقة التي ربطت بين جابر بن زيد والحجاج بن يوسف الثقفي والي عهد الملك بن مروان على العراق، إذ كان يعطى عطاء لجابر بن زيد فاستدل الدكتور دكسن عبد الأمير على حسن هذه العلاقة السياسية بدليل أن الفرقة الأباضية شهرت السيف بوجه خليفة عبد الملك بن مروان عندما ترك هذه السياسة(٤).

وذهب الدكتور فاروق عمر إلى القول بأن عبد الملك بن مروان قد أفلح

---

(١) عبد السلام، جعفر بن أحمد، أبانة المناهج في نصيحة الخوارج، ورقة ١٥٥ أ.

(٢) Rubinacci, R, the ibadis, Religion in the Middle East Edi, A.J Arbery, Gambridge. 1969. vol 2. p. 303.

(٣) سيرة ابن أباض، ورقة ١ ـ ١٠ ـ الجواهر المنتقاة، ص ١٥٦ ـ ١٦٧.

(٤) د. عبد الأمير دكسن، الخلافة الأموية ٦٥ ـ ٨٦ هـ/ ٦٨٤ ـ ٧٠٥ م. (بيروت، ١٩٧٣) ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧.

بإقناع عبدالله بن أباض بسياسة (القعود) بل نجح في إشغاله بأمور الفكر والعقيدة[١].

يستنتج من هذه الدراسات القول بأن عبد الملك بن مروان استطاع أن يتدخل في توجيه نشاطات الأباضية لمصالحه السياسية.

والواقع إن المقدمات التي بنيت عليها هذه الأحكام يمكن رفضها للأسباب الآتية:

فمن ناحية القعود علم أن الأباضية كانت تقول بالقعود قبل خلافة عبد الملك بن مروان عام ٦٥ هـ، وقد انقسم المحكمة الأولى حين أظهر نافع رأيه المتطرف في أطفال المسلمين والقعدة من الخوارج عام ٦٤ للهجرة[٢] وهذا السلوك (القعود) يعود إلى طبيعة الظروف التي قدرها قادة الدعوة، فقد لازم القعود الدعوة الأباضية أبّان خضوع البصرة لعبدالله بن الزبير، واستمرت بسياسة الكتمان حتى خلافة مروان الثاني عام ١٢٩/٧٤٦ م. ولم تشر المصادر الأباضية أو غيرها من المصادر الأخرى إلى إشهار السيف بوجه خليفة عبد الملك بن مروان لأنه غيّر سياسته اتجاه الدعوة الأباضية[٣].

وسنرى أن القعود كان إيجابيا على ضوء النتائج السياسية التى حصلت عليها الدعوة الأباضية فيما لو قورنت بالحركات الخارجية التي اتسمت بالعنف والتي قادها الأزارقة ومن سبقهم من الخوارج، فالعقود إذن لا يعني بأي حال أن العلاقة كانت ودية بين الأباضية والسلطة الأموية آنذاك.

أما من ناحية العطاء، فالأباضية تقر أخذ العطاء من السلطان الجائر وترى

---

(١) د. عمر، فاروق، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثاني، ١٩٧٥، ملامح من تاريخ حركة الخوارج الأباضية، ص ١٧٢.

(٢) المبرد، الكامل ص ١١٢ ـ الرسل والملوك، ٥/٥٦٧.

(٣) د. عبد الأمير دكسن، الخلافة الأموية، ص ٣٠٧.

ذلك حقا من حقوقها الشرعية، لذا من الصعوبة بمكان الحكم على قائد من قواد الدعوة الأباضية بأنه استكان للأمويين، وأصبحت علاقته ودية مع الحجاج بن يوسف الثقفي، لأنه يستلم منه عطاء(١).

وتشير بعض الروايات أن النسوة الأباضية رفضن أخذ العطاء من الوالي الأموي بعد وفاة جابر بن زيد، فقلن إنه حرام، فنهاهن أبو حمزة الأشعث أحد مشايخ الأباضية «وأعظم ذلك عليهن وقال: أما إذا زعمتن ذلك فأنكن تقدمن على جابر بن زيد وأبي بلال وأصحابه، فانهم ماتوا وهم يأخذون أعطيتهم: قال وبلغ ذلك ضماماً فاشتد في ذلك، وعظم عليه قولهن قال فرجعن واستغفرن الله ولم يعدن إلى ذكر شيء من ذلك»(٢).

ومن ناحية ثالثة تجمع النصوص التاريخية عن الراوية الأباضي المعروف أبي سفيان محبوب بن الرحيل: أن الحجاج بن يوسف قام بنفي جابر بن زيد إلى عمان مع أحد المشايخ الأباضية المسمى هبيرة(٣). كما رفض جابر بن زيد تقلد منصب القضاء في البصرة حين عرض عليه الحجاج

---

(١) الدرجيني، طبقات الأباضية ١/ ورقة ٩١ ب، الشماخي السير، ص ٩٠ وضمام في النص أعلاه هو ضمام بن الشائب أحد الدعاة الأباضية أخذ وعذب في سجن الحجاج بن يوسف الثقفي مع الإمام الأباضي ابن عبيدة مسلم بن أبي كريمة الشماخي، السير ص ٨٧.
وبما أن الأباضية كما ذكرنا يعتبرون أبو بلال مرادس إماما من أئمتهم الأوائل فإن الأباضية أخذته قدوة لها في هذا الحكم، يقول أبو المؤثر رداً على موسى بن موسى بن علي: فإن زعم موسى أنه منع المرداس من أخذ المال إن أصله كان حراماً لأنه من جمع الجبابرة فمن جهل موسى علي المرداس، كيف يستحل المرداس أن يأمر أصحابه أن يأخذوا أعطياتهم من مال حرام بل كان حلالاً وما أخذوا عطاءهم إلا من الحلال وهم أيسر ورعاً وأكثر علما وما كانوا يستحلون غصب مال السلطان ولا غيرة». أبو المؤثر، الأحداث والصفات، ورقة ٨.

(٢) الشماخي، السير ص ٨٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٨٧.

ذلك[١] وسجن أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة مع عدد من الدعاة حتى وفاة الحجاج بن يوسف الثقفي عام ٩٥ هـ/ ٧١٣ م، وبعدها أطلق سراحهم[٢]، كل هذا جرى في مرحلة الكتمان (القعود).

وعلى هذا يمكن القول إن سياسة القعود لازمت الدعوة الأباضية حتى بعد وفاة عبد الملك، ودخل له بهذه السياسة، كما إن العطاء لا يقيم دليلا على حسن سلوك الأباضية وعلاقتهم الودية بالسلطة الأموية.

إن دراسة رسالة عبدالله بن أباض لعبد الملك بن مروان دراسة فاحصة[٣]، تظهر أن المضامين التي احتوتها الرسالة لا يفهم منها وجود علاقة ودية أو حتى الرضى عن المنهج الذي اتبعه عبد الملك. ويمكن ملاحظة عدة أمور احتوتها الرسالة، كالهجوم على البيت الأموي واتهامه بكل أنواع الظلم والخروج على الشريعة اعتباراً من الخليفة عثمان ومعاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد الذي وصفه بالفسق وشرب الخمرة، وتفنيد آراء عبد الملك فيما يخص الخليفة عثمان، وتعديد مثالب معاوية ويزيد ووصفهم بالفسق والكفر واللعنة[٤]، ويظهر البراءة منهم إذ يقول: فاتق الله يا عبد الملك، ولا تخادع نفسك في معاوية.. فمن يتولى عثمان، ومن معه فأني أشهد الله وملائكته أني منهم بريء، أعداء لهم بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا نعيش على ذلك ونموت عليه إذا متنا ونبعث عليه إذا بعثنا، ونحاسب بذلك عند الله[٥]».

---

(١) الدرجيني، طبقات الأباضية: ورقة ٩٢ ب.
(٢) المصدر السابق ١/ ورقة، ١٠٦ أ.
(٣) السير العمادية، سيرة عبدالله بن اباضي ورقة ١ ـ.
البرادي، الجواهر والمنتقات، ص ١٥٦ ـ ١٦٧٠ ـ كشف الغمة ورقة ١٩٩ ب ٢٠٧ أ.
(٤) سيرة ابن أباضي، ورقة ٧ الجواهر المنتقات، ص ١٦٤. كشف الغمة ٢٠٥ أ ـ ٢٠٥ ب.
(٥) الجواهر المنتقات، ص ١٦٤. وردت بعض الاختلافات في نصوص الرسالة بين المصادر الأباضية، ولكن هذه الاختلافات في نصوص الرسالة بين المصادر الأباضية، =

ولا يعترف عبدالله بن أباض في الرسالة لعبدالملك بن مروان بأمرة المؤمنين أو الخلافة بل يخاطبه في عدة موارد بالاسم المجرد يا عبدالملك[١].

والأنكى من ذلك عبد الملك حين اتهم ابن أباض بالغلو ـ كما يظهر من الرسالة ـ رد ابن أباض عليه مفسرا معنى الغلو بقوله:

«والغلو في الدين أن يقال على الله غير الحق، ويعمل بغير كتاب الله الذي منّ وقال يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم، ولا تقولوا على الله إلا الحق[٢]» «كما أن عثمان والأئمة من بعده وأنت بعد على سبيلهم وطاعتهم تجامعهم على معصية الله، وتتبعهم، وقد اتبعوا اهواءهم، واتبعتهم أنت عليها، وقال الله عز وجل: ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً، وضلوا عن سواء السبيل، فهؤلاء أهل الغلو في الدين[٣]».

وواضح من هذا النص اتهامه لعبد الملك بالمعصية والضلالة، وهذا الاتهام لا يمكن بأي حال أن يفهم منه العلاقة الودية بين عبد الملك وعبدالله بن أباض. ولكن هذا الخط المستدل، ومنهم عبد الله بن أباض، عرفوا بالقاء الحجة على المخالف حتى في القتال، وكما هو واضح من الرسالة أن عبدالله بن أباض أراد أن يعرض مباديء فرقته على عبد الملك بن مروان، وقد أفاد ذلك عبد الملك بن مروان في تحديد موقفه من هذه الجماعة، وأغلب الظن أن عبد الملك بن مروان أراد برسالته أن يستوضح أفكار هذه الفرقة،

= ولكن هذه الاختلافات لا علاقة لها بالمعنى وعلى سبيل المثال «ولا تخادع في نفسك»، وردت في رسالة ابن أباضي في سيرته بزيادة حرف الجر «في» عن النص أعلاه الذي أورده البرادي. وكذا ورد في رسالة ابن أباضي قوله «كمن يتولى عثمان ومن بعده فأنا نشهد الله». سيرة ابن أباضي ورقة٢.

(١) سير ابن لباضي، ورقة ١، ٣، ٧. الجواهر المنتقات، ف ١٥٦، ١٥٨.

(٢) المصدر السابق، ورقة ٠٧ ـ الجواهر المنتقات، ص ١٦٤.

(٣) سيرة ابن أباضي، ورقة ٠٧ ـ المنتقات، ص ١٦٤، كشف الغمة ٢٠٥ ب.

الجديدة المعتدلة في آرائها، إذ يظهر ابن أباض رأيه في الأزراقة والبراءة منهم:

«أنا براء إلى الله من ابن الأزرق وصنيعه وأتباعه[1]» وقد استفاد عبد الملك من موقف الأباضية هذا في فترة ازدحمت بالأحداث والأضطرابات الخارجية التي هددت مدينة البصرة، وأقاليم الخليج العربي الغربية إضافة إلى كرمان وفارس والأهواز، وغيرها من الولايات الشرقية التي كانت مسرحا للأزارقة من عام ٦٤ هـ حتى سنة ٧٨ هـ[2].

وفي اليمامة كان نجدة بن عامر الحنفي، الذي شمل نطاق نشاطه إضافة إلى اليمامة حضرموت وأجزاء من اليمن والبحرين والطائف وعمان.[3]

هذا الموقف المعتدل من قبل الأباضية في أثناء هذه الأضطرابات العنيفة من قبل الحركات الخارجية، دفع بعض المؤرخين إلى القول بالعلاقة الودية بين الأباضية والأمويين، وكان من مصلحة عبدالملك أن لا يثير له متاعب جديدة، ومن مصلحته السياسية كذلك قعود الأباضية، على أن ذلك لا يمثل بأي حال موقف الأباضية السياسي من حاكم غير شرعي بالنسبة إلى معتقداتهم حيث اتهمه عبدالله بن أباض بالمعصية والضلالة[4].

ويظهر من النصوص التي جاءت في خاتمة الرسالة أن هناك إشارة من عبد الملك باغراءات دنيوية لا نعلم كنهها وحقيقتها، قوبلت بالرفض من قبل عبد الله بن أباض «ولا تعرض بالدنيا وليست من حاجتي، ولكن لتكون نصيحتك لي

---

(١) الجواهر المنتقات، ص ١٦٥ ورد النص أعلاه في سيرة ابن أباضي بالشكل الآتي»: «بريء إلى الله ومن ابن الأزرق واتباعه». ورقة ٠٨.

(٢) الدجيلي، محمد رضا حسن، فرقة الأزارقة، (بغداد، ١٩٧٣)، ص ١٢٩.

(٣) د. دكسن، عبد الأمير، الخلافة الأموية، ص ١٧٧.

(٤) الحضرمي، أبو اسحاق، ابراهيم بن قيس مختصر الخصال، باب ذكر ماتم به الولاية، ورقة ٧٠ ب.

في الدين ولما بعد الموت فأن ذلك أفضل النصيحة»[1].

وصفوة القول إن سياسة الدعوة الأباضية اتسمت بالقعود والكتمان، إذ كانت الأباضية في بداية نشوئها، وقد استفادت الدولة الأموية بصورة غير مباشرة من هذه السياسة في هذه الحقبة نفسها. إلا أن هذا القعود والكتمان لم يكن يعني بأية حال من الأحوال العلاقة الودية بين السلطة الأموية والأباضية.

النشاط السري للدعوة الأباضية.

إن كتب السيرة الأباضية تحوي روايات متفرقة عن حياة الدعاة الأباضية، وكذلك عن طبيعة التنظيمات وأساليبها[2]. ومما يوثق هذه المعلومات ويقيم الدليل على صحتها، أن الراوية أبا سفيان محبوب بن الرحيل، كان قد عاصر هذه التنظيمات، وقد وصلتنا رواياته في مجموعة من المصادر الأباضية المختلفة[3].

أما رسالة ابن عبيدة مسلم بن أبي كريمة لدعاة المغرب فهي تمثل العلاقة التنظيمية والصلة الوثيقة بين الدعاة الأباضية في المشرق والمغرب.

وتقيم الدليل على سرية العمل في مدينة البصرة مركز الدعوة الأم للتنظيم

---

(١) البرادي، الجواهر، ص ١٦٧. ورد النصوص أعلاه في سيرة ابن أباض بالشكل الآتي: «فلا تعرض لي بالدنيا فإني لا رغبتي في الدنيا» وهكذا نلاحظ الاضطراب بالنصوص ربما قبل ناسخ السيرة فوقعت زيادات طفيفة وتقديم وتأخير في بعض الكلمات. سيرة ابن أباض ورقة ٩.

(٢) انظر، الدرجيني، طبقات الأباضية. ـ الورجلاني: أبو زكريا يحيى بن أبي بكر، السيرة وأخبار الأمة، الشماخي السير.

(٣) الدرجيني، طبقات الأباضية، ورقة ١٠٣ ـ ١١٦ ب على سبيل المثال. البرادي، رسالة البرادي في الإشارة إلى الكتب المشرقية والمغربية.
ورقة ٢٠٦ ب. ـ الشماخي السير ص ٨٠ ـ ١١٩ ـ الجيطالي، اسماعيل بن موسى، قناطرالخيرات ق ١)، (القاهرة ١٩٦٠) ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩.

الأباضي لا سيما وأنها وردت في مدونة أبي غانم الخراساني احدى أقدم المصادر في الفقه الأباضي، وهذه الوثيقة تقيم دليلا على استمرار التنظيم الأباضي حتى مطلع العقد الرابع من القرن الثاني الهجري أبان قيادة أبي عبيدة مسلم الدعوة الأباضية[١] وهناك نصوص متظافرة تتكلم بوضوح على المجالس السرية في الدعوة الأباضية، وقد انعكست الظروف التي مرت بها الدعوة في مراحلها الأولى ابّان التنظيم السري (الكتمان)، في كتب الفقه الأباضي، ويمكننا أن نقول إن كتب الفقه الأباضي جارت الواقع السياسي الذي عاشته الدعوة. فاللزكاة ـ على سبيل المثال ـ أحكامها في حالة الكتمان والظهور من حيث جمعها وتوزيعها[٢]. والإمامة لها أحكامها أيضاً في مثل هذه الحالات[٣].

فالكتمان والظهور إذن مرحلتان طبيعيتان في مسار الدعوة الأباضية وكل من المرحلتين لهما ميزاتهما السياسية والفقهية.

فالكتمان[٤] بحاجة إلى طريقة أو إسلوب في العمل وخاصة بالنسبة إلى جماعة لها أهداف ونظرات في السياسة والحكم. ويمكن تعريف الكتمان لدى هذه الدعوة بأنه يمثل أدنى مراحل الضعف، وبسبب هذا الضعف تلجأ الدعوة إلى الكتمان لبناء نفسها والإستعداد للظهور ولذا سنحاول أن نكون صورة واضحة المعالم للنشاط السري للدعوة الأباضية في مدينة البصرة.

---

(١) الخراساني، أبو غانم بشر بن غانم، رسالة في الزكاة لأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ضمن مدونته الصغرى، ورقة ١١٣، ١١٤.

(٢) الجيطالي، شرح قواعد الإسلام، ورقة ١٣٧ أ ـ ١٣٩ أ، بحث في الزكاة في حالة الظهور والكتمان.

(٣) الحضرمي، أبو اسحاق، ابراهيم بن قيس، مختصر الخصال، ورقة ٧ ب.

(٤) أبو حفص، عمر بن جميع الأباضي: شرح مقدمة التوحيد: ورقة ١٦ ب. قال في الكتمان أنه: «أحد مسالك الدين الأربعة، وهو سلوك طريق الظهور».

بداية التنظيمات السرية في البصرة:

لا نعلم متى بدأ التنظيم السري للدعوة الأباضية وتشير بعض النصوص إلى بدايته على عهد الإمام جابر زيد (٢١ ـ ٩٣) ولا تتطرق المصادر المتوفرة لدينا عن أي دور يذكر لعبدالله بن أباض في النشاط السري للدعوة الأباضية[١]. وبهذا يكون الإمام جابر بن زيد واضعاً للأسس التنظيمية الأولى للدعوة، ومن المحتمل أن الجماعة المعتدلة من المحكمة الأولى لجأت إلى هذا الإسلوب نتيجة لحملات الإبادة التي تعرض لها الخوارج في البصرة في عهد زياد بن أبيه وابنه عبيدالله، لا سيما وأن هذه الحملة شملت من كان يدين بالاستعراض[٢]، ومن كانت سمته الإعتدال: كأبي بلال مرداس[٣] يقول الرقيشي «وقد بلغنا أن أبا بلال مرداس بن حدير رحمه الله وغيره من أئمة المسلمين لم يكونوا يخرجون إلا بأمر إمامهم جابر بن زيد العماني. . ومشورته ويحبون ستره عن الحرب لئلا تموت دعوتهم ليكون رداءهم»، ومن هذا النص يتضح أن رأس الدعوة في عهد عبيد الله بن زياد هو جابر بن زيد ومما زاد الجماعة المعتدلة من المحكمة قناعة باتباع هذا الطريق فشل الكثير من الحركات الخارجية المتطرفة في اتباع أسلوب العنف الذي اتبعه الأزارقة وغيرهم[٤].

ومما يؤكد أن جابر بن زيد كان المسؤول عن التنظيم السري الأباضي النص الذي رواه أبو سفيان عندما اعتقل أحد مشايخ الدعوة الأباضية المسمى

---

(١) الشماخي، السير، ص ١٠٨. ولد جابر لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب. ـ الشماخي، شرح مقدمة التوحيد، ورقة ١٦ ب.

(٢) الإستعراض: مصطلح تاريخي اقترن بالفرق المتطرفة من الخوارج ودانت به الأزارقة بصورة خاصة. المبرد الكامل ص ١١٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٥٢.

(٤) الدجيلي، محمد رضا، فرقة الأزارقة، رسالة ماجيستر (بغداد، ١٩٧٣).

أبو سفيان قنبر «وكان شيخاً كبيراً أخذ وجلد أربعمائة سوط على أن يدل على أحد من المسلمين فلم يفعل. قال جابر بن زيد وكنت قريباً منه، وما كنت انتظر إلا أن يقول هذا هو فعصمه الله[١]»، ومن المعلوم أن جابر بن زيد كان من الشخصيات العلمية البارزة آنذاك ليس لدى الأباضية فقط بل لدى عامة المسلمين وعلمائهم خاصة، فقد ترجم له خليفة بن خياط في كتاب الطبقات، باعتباره أحد أئمة الحديث، يقول عنه «وجابر بن زيد من اليحمد» ولم يشر إلى مذهبه[٢]، وقال الرازي في الجرح والتعديل: «أبو الشعثاء الأزدي اليحمدي، روى الحديث عن ابن عباس والحكم بن عمرو وابن عمرو روى عنه عمرو بن دينار» فهو من أئمة الحديث الموثقين لديه، وقال أبو زرعة عن جابر بصري أزدي ثقة إلا أنه يورد رواية عن جابر بن زيد حين سئل عن انتحال الأباضية له، فقال: أبرأ إلى الله من ذلك[٣]، وليس من المعقول أن يقول جابر أنا إمامهم لسائله. وقال عنه البستي: «من علماء التابعين بالقرآن وفقهاء البصرة في الدين»[٤].

أما الشهرستاني فقد عده من علماء الخوارج المتقدمين[٥] ومن هذا العرض تظهر المكانة الاجتماعية والعلمية، التي يتمتع بها جابر بن زيد أنذاك غير خافية على أحد، ولم تكن شخصيته مغمورة لدى الأمة، فالنص الذي أورده الشماخي، يدل بلا شك على أن جابر بن زيد هو المسؤول عن تنظيمهم

---

(١) الشماخي، السير، ص ٩٣.
(٢) خياط، كتاب الطبقات، ص ٢١٠.
(٣) الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن أدريس، كتاب الجرح والتعديل، مج ١ ق (حيدر آباد، ١٩٥٢)، ص ٩٤ ـ ٤٩٥.
(٤) البستني: محمد بن حيان، كتاب مشاهير علماء الأمصار(القاهرة، ١٩٥٩)، ص ٨٩.
ابن العراق نعمان بن محمد، معادن الجوهر بتاريخ البصرة والجزائر (اسلام آباد، ١٩٧٣)، ص ٤٢.
(٥) الشهرستاني، الملل والنحل،(القاهرة، ١٩٦١)، ص ١٣٧.

أنذاك «وما كنت أنتظر إلا أن يقول هذا هو فعصمه الله[1]»، أي أن جابر بن زيد كان ينتظر من أبي سفيان قنبر أن يقول: جابر بن زيد إمامنا ورأس أمرنا، إلا أن صلابة أبي سفيان قنبر حالت دون انكشاف أمره. ولقد كان للصلابة التي أبداها الدعاة الأباضية، في مواجهة السلطة الأموية، والحيطة والحذر وبث العيون حول مجالسهم السرية، قد مكن التنظيم الأباضي من النمو والإتساع. ولم تستطع السلطة الأموية في البصرة أن تضع يدها على أي مجلس من مجالسهم السرية، قال أبو سفيان محبوب بن الرحيل: «وما بلغنا أنهم ظفر بهم في مجلس قط إلا أنهم كانوا ذات مرة في عهد زياد وأبنه أتاهم الخبر بأن الخيل تريدهم فخرجوا مسرعين وتركوا نعالهم على باب البيت الذي كانوا فيه، فجاء الشرط فنظروا إلى النعال، فقالوا للعجوز صاحبة البيت: ما هذه النعال فقالت: مكاتب لنا يسأل الناس فيعطى النعال وغيرها، قالوا بالله ما ذلك كما ذكرته، فإن هذا موضع ريبة قال فقال بعضهم قد ذكرت العجوز ما ذكرت، فلا تعرضونا للبلاء فلعلها أن تكون صادقة، قال: فعافاها الله منهم[2]» ويتضح هنا أن لهذه المجالس رقباء وعيون تحرسها، ولذا خرجوا قبل مداهمة الشرطة لهم وزيادة في التستر والكتمان، فقد كان حضورهم إلى المجالس السرية وخاصة في عهد زياد بن أبيه وابنه عبيدالله فقد ابتكروا طرقا جديدة في التستر والتنكر، فكانوا «يأتون المجالس أيام زياد وابنه في هيئة النساء في النقاب وغير ذلك يتشبهون بالنساء. . وكان أحدهم ليحمل على ظهره جرة ماء ويحمل حملة متاع كأنه بياع حتى يدخل المجلس[3]»، ويظهر هذا النص المدى البعيد، الذي اتبعه الدعاة الأباضية للتستر على مجالسهم، ويعكس في نفس الظروف القاسية والبطش الشديد، الذي الجأهم إلى التنكر بهذه الصورة للحفاظ على دعوتهم، بعيداً عن

---

(١) الشماخي، ص ٧٧.

(٢) الدرجيني، طبقات الأباضية ١/ ورقة ١٠٧ أ.

(٣) الدرجيني، طبقات الأباضية، ١ / ١٠٧ أ. الشماخي، السير ص ١٠٨.

أعين الرقباء.

وقد ساهم الإمام الأباضي جابر بن زيد في أحكام التنظيم الأباضي ففي نص فقهي مدعم بدليل تاريخي يشير إلى سرية التنظيم ودور جابر بن زيد، فقد سلط الضوء على جانب مهم من الجوانب السرية للكتمان وهذا الجانب يتمثل في موقف زعماء الدعوة الأباضية من الخارج عن التنظيم الأباضي، فلو خرج هذا الخارج من الدعوة الأباضية ولم يطعن فيهم، ويدل على عوراتهم، تركوه وشأنه ولكن يوجبون بغضه وعداوته، «وإن خرج من مذهب المسلمين وخالفهم وطعن في مذهبهم وعاب منهم فقد حل قتله واغتياله بأي سبب وصلوا إلى هلاكه وقتله كما فعل الإمام الصالح جابر بن زيد رحمه الله حين سئل عن أفضل الجهاد، فقال للسائل أفضل الجهاد قتل خردلة[1]، فأخذ أحد الغلمان الأباضية خنجراً مع رجل منهم، فدله على خردلة فقتله في المسجد، وقال الجيطالي شارحاً لهذا النص: «وكان خردلة هذا فيما وجدت من أهل هذه الدعوة، ثم خرج عنها وتركها، فجعل يطعن على المسلمين ويدل على عوراتهم فلذلك استحل جابر قتله[2]».

وإذا قارنا هذا النص بنصوص أخرى فيما يتعلق بموقف الأباضية من القتل يمكن توضيح هذا النص، ذلك أن الأباضية لا تستحل دماء مخالفيهم من المسلمين إلا في حالة الحرب، وبعد إلقاء الحجة على المخالف «وتحل الدماء بالظلم والإبتداء به»[3] ولهذا، فمقتل خردلة له معناه السياسي، لأنه شكل خطراً على حياة الدعوة وهو أفشاء أسرارها، فكان قتله أفضل الجهاد في تلك الحقبة العصيبة من حياة الأباضية.

---

(١) الجيطالي، شرح قواعد الإسلام، ورقة ٢٥ ب، ٢٦ أ.

(٢) خردلة اسم لشخص دخل في تنظيم الأباضية وخرج منهم وأفشى أسرارهم لهذا استحلوا قتله.

(٣) الجيطالي، شرح قواعد الإسلام ورقة ٢٦ أ.

ويظهر أن النشاط الأباضي بدأ يشكل خطراً على سلطة الحجاج بن يوسف الثقفي، في عهد الإمام جابر بن زيد، لذا عمد الحجاج إلى نفيه إلى عمان مع أحد مشايخ الدعوة المسمى هبيرة[1]. وقد استفادت الدعوة الأباضية بصورة غير مباشرة من نفي جابر إلى عمان حيث بذرت بذورها الأولى هناك[2]. وقد قام الحجاج بن يوسف باعتقال جابر وحبسه. فحين سأله عن الخنث كيف يورث «فقال تحبسوني وتستفتوني[3]».

ويظهر أن العلاقة بين الحجاج وجابر قبل حبسه ونفيه إلى عمان اتسعت بالود. وكان لكاتب الحجاج يزيد بن أبي مسلم دوراً كبيراً في تحسين هذه العلاقة، لأنه يرى رأي الخوارج[4] ويحتمل أنه كان يهون من أمر الأباضية لديه. وقد التقى الحجاج بن يوسف بجابر بواسطة يزيد بن أبي مسلم، ولما كانت لجابر شخصية علمية بارزة، فقد عرض عليه الحجاج أن يشغل منصب القضاء، «قال لا ينبغي أن نؤثر بك أحد نجعلك قاضياً للمسلمين[5]». وقد رفض جابر بن زيد هذا العرض. تظاهرا بضعف الشخصية والكفاءة وقال للحجاج: «يقع بين المرأة وخادمها شر فلا أحسن أن أصلح بينهما»، ويبدو من جوابه هذا أنه أراد أن يظهر للحجاج عكس ما يبطن من شخصيته.

وعندما طالب جابر بن زيد بعطائه المقطوع عنه، قال له الحجاج: «هذا لا يستقيم أن نعطيك من بيت مال المسلمين ولا نستعملك لهم[6]».

---

(١) البسيوي، أبو الحسن علي بن محمد العماني. مختصر البسيوي. (زنجبار ١٣٠٤ هـ) ص ٨.
(٢) هبيرة: هو جد الراوي لهذه الأخبار، أبو سفيان محبوب بن الرحيل بن هبيرة بن سيف من قريش. الرقبش، مصباح الظلام ٢٢ أ.
(٣) الدرجيني، الطبقات، ١/ ورقة ١١٩ أ.
(٤) المصدر السابق، ١/ ورقة ٩٣ ب.
(٥) المبرد، الكامل، ص ٥٢.
(٦) الشماخي، السير، ص ٧٤.

وقد اقترح يزيد بن أبي مسلم على الحجاج مقابل ذلك، أن يعمل جابر في (ديوان المعاملة) في البصرة. وقد كتب يزيد بن أبي مسلم لصاحب ديوان البصرة أن لا يكلف الشيخ مؤودة العمل ويعطيه عطاءه كاملاً، وكان عطاؤه سبعمائة درهم أو ستمائة درهم[١].

ومن هذا العرض واستقرائنا للنصوص السابقة، يتضح لنا الدور الكبير الذي قام به جابر بن زيد في مرحلة الكتمان، وأنه المؤسس للنظام السري في الدعوة الأباضية في البصرة في العقد السادس من القرن الأول الهجري[٢]. وليس كما رجح الدكتور محمود إسماعيل: بأن التنظيم الأباضي بدأ في العقد الأخير من القرن الاول الهجري[٣]، لأن جابر بن زيد توفي في مطلع العقد الأخير من القرن الأول عام ٩٣ للهجرة[٤] وقيل سنة ٥٦ للهجرة[٥].

إزدهار التنظيمات الأباضية:

بلغ التنظيم الأباضي أوج نشاطه حين تبلورت تنظيماته، على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الداهية السياسي، الذي يعتبر واحدا من الشخصيات اللامعة في مجال التنظيمات السرية، في تلك الحقبة من تاريخ الأمة الإسلامية، ويدل على ذلك لقبه الذي يعرف به قال الشماخي عنه: «وهو مولى لبني تميم قيل أنه أعور يعرف بالقفاف، وأمتحن وأذاه الحجاج

(١) الدرجيني، طبقات الأباضية، ١/ ورقة ٩٢ ب.
(٢) الدرجيني، طبقات الأباضية ١/ ورقة ١٠٧ أ. ـ الشماخي، السير ص ١٠٨.
(٣) د. إسماعيل، محمود، الحركات السرية في الإسلام (القاهرة، ١٩٧٣) ص ٣٢.
(٤) العصفري، خليفة بن خياط، الطبقات، (بغداد، ١٩٦٧)، ص ٢١٠. الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد، كتاب الجراح والتعديل، ج١ ق ١ (حيدر آباد، ١٩٥٢) ص ٤٩٤.
(٥) الشماخي، شرح مقدمة التوحيد، ورقة ١٦ ب، ١٧ أ.

بالسجن»[١]. وقد أصبح لقب القفاف من أبرز القابه، وأصله أن أبا عبيدة كان يتظاهر بعمل القفاف عند تدريبه للدعاة الأباضية، حينما يلمح عيون السلطة الأموية أو العباسية[٢].

ورغم المحن التي مر بها أبو عبيدة مسلم، فقد برهنت هذه المحن على صلابته وصدق إيمانه بدعوته، وعدم انكشاف أمره، فعندما تعرض لسجن الحجاج بن يوسف الثقفي هو وأحد مشايخ الدعوة المسمى ضمام بن السائب للسجن مدة طويلة استمرت حتى وفاة الحجاج بن يوسف الثقفي في شوال عام ٩٥/ ٧١٣ م، ولم يكشف أمرهما رغم العذاب، وظروف السجن السيئة، وليست لدينا معلومات فيما إذا كان هناك توافق بين نفي جابر بن زيد إلى عمان وسجن أبي عبيدة وضمام، ويبدو أن الحجاج قد أدرك خطورة تأثيرهم، فعمد إلى هذه الاجراءات للحد من نشاطهم[٣].

وقد برزت في هذه الحقبة بمجموعة من المشايخ الأباضية، على كبير من الذكاء بأمور السياسية، والحرب معا، وظهر تأثيرهم واضحاً في تقدم نشاط الدعوة وأساليبها.

وقد ظهر بشكل خاص من الشخصيات البارزة في ميدان التنظيم السياسي شخصية فذة إلى جانب أبي عبيدة مسلم، وهي شخصية حاجب أبي مودود الطائي[٤]، وتظهر كفاءته في حل المشاكل التي كانت تحدث في الدعوة ومراقبة

---

(١) الشماخي، شرح مقدمة التوحيد، ورقة ١٦ ب.
وقد ذكر الجاحظ أن أبا عبيدة مسلم بن كورين ـ والصحيح ابن أبي كريمة وربما وقع خطأ في الأسم بسبب تحريف النساخ ـ من رؤساء الخوارج وعلمائهم وهو مولى لعروة بن أذنية. الجاحظ، أبو عثمان بن بحر، البيان والتبيين (بيروت ١٩٤٨) ٢/ ١٨٠.

(٢) الدرجيني، طبقات الأباضية، ١/ ورقة ١٠٩ أ. ـ الشماخي، السير ص ٨٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (بيروت، ١٩٦٧) ٤/ ١٣٢.

(٤) الدرجيني، طبقات الأباضية ١/ ورقة ١٠٦ أ. وقال عنه الأزكوي هو أبو مودود جيب بن حفص بن حاجب. ـ كشف الغمة، ورقة ٣٨٩ ب.

مجالس الدعاة والحفاظ عليها، بشكل لا يسترعي انتباه السلطة الأموية، فقد أرسل إلى أحد الدعاة النشطين الذين كانت تعقد المجالس في بيوتهم ملاحظتين يؤاخذ عليهما، الأولى: كثرة الجماعة التي يضمها المجلس وهذا مناف للسرية، والثانية: إن الجيران تسمع كلامهم وهذا الأمر يشي بهم لدى السلطة. فأرسل إليه محذرا فقال له: «أرفق على نفسك يا عبد الملك ما هذا الذي بلغني أنكم تفعلوه، قال: أنا لنفعل وأن أمرتنا أن لا نفعل تركنا[(١)]» ويتضح من هذا النص استجابة الدعاة لمشايخ الدعوة الأباضية.

وقد بين حاجب الأسباب الموجهة لهذا الحذر، في النشاط السري بأنه الأساسي في استمرار وبقاء الدعوة الأباضية، ولو كان الخوف ظلاً ملازماً لحياتهم، أما الشجاعة والظهور أمام عدو ومتسلط يمكنه تخريب مدعوة فيما لو أطلع على أسرارها«فسكت ـ أي حاجب ـ طويلاً فقال لئن تخافون وتعمرون، لأحب إليّ من أن لا تخافون وتخربون، أعمروا مجالسكم فإن الله يحفظكم[(٢)]» وكان حاجب هذا يلقن الدعاة أساليب المخاطبة «فيما يود به فيه[(٣)]». ويظهر هذا واضحاً في تعاليمه لعبد الملك الطويل، لكي يميز بين الأشخاص الذين يمكن أن يستفيد منه [illegible] لأباضية، بعد موعظتهم، وأولئك الذين لا رجاء فيهم ممن يشغبون، ويسينون، فيجب على الدعاة فيما لو توفرت هذه الصفات في شخص ما طرده من مجالسهم وشهره ونبذه ليكون الدعاة منه على حذر[(٤)] وبالأضافة إلى إدراكه الأساليب الاجتماعية، فقد برز في التنظيم السري والإعداد.

---

(١) الدرجيني، طبقات الأباضية، ١/١٠٧ أ. الشماخي، السير، ص ١٠٧.

(٢) السير، ص ١٠٧. ورد النص مضطرباً في طبقات الأباضية «لأن تكونوا تخرجون فتعمرون خير من لا تخافون وتخرجون»، ١ ورقة ١٠٧ أ. ويظهر أن الشماخي صحح النص. وأثبته بالشكل أعلاه، أو اعتمد على مصدر آخر والاحتمال الأول أقوى.

(٣) الشماخي، السير، ص ١٠٨.

(٤) الدرجيني، طبقات الأباضية، ١/ ورقة ١٠٨ ب.

ففي الوقت الذي ظهر فيه ضعف الدولة الأموية، وتدهورها في أواخر عهدها، بدأ الدعاة الأباضية شأنهم شأن حركات المعارضة الأخرى، يتهيأون لدخول المعترك السياسي، فقد كان أبو مودود حاجب والمشايخ الأباضية يخططون لمواجهة الظروف الجديدة[١].

وكان لمشايخ الدعوة الأباضية مجالسهم الخاصة، والتي يقتصر حضورهم فيها دون غيرهم «بلغنا ليلة أن في منزل حاجب مجلسا ـ قال أبو سفيان ـ وكان المشايخ لا يدعوننا أن نحضر معهم المجالس بالليل فقلت لرجل من أهل عمان انطلق بنا إلى منزل حاجب فلعلهم يأذنون لنا[٢]»، وكان أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي، الذي استولى على الحجاز عام ١٢٩ هـ / ٧٤٦ م، ممن يحضرون هذه المجالس مع زميله في معارك الحجاز بلج بن الأزدي «فأذن لنا فوجدنا المختار بن عوف ورجلين أو ثلاثة من المشايخ فقال لنا حاجب أخبرا بلج بن عقبة وأخبراه بمكاننا[٣]. ولعل مثل هذه المجالس، كانت تعقد للتنظيم والإعداد للحركة الأباضية في اليمن ١٢٩ هـ لا سيما أن أبا حمزة وبلج بن عقبة من روادها، ومن جهة أخرى على ما تقول الرواية الأباضية: إن حاجباً «هو القائم بأمور المسلمين في مثل هذه الأشياء من أمر الحرب، وجمع الأموال، والمعونة، والخصومة وإلى أبي عبيدة يسند أمر الدين والفتاوى[٤]»، فهي على الأغلب لمناقشة الأمور السياسية المهمة، بدليل أن حاجبا رد شعيب بن عمر الذي يرتبط معه برابطة المصاهرة وأبى إدخاله، مع أنه كان من أفضل فتيان الدعوة «وكان بينه وبين منزل حاجب نحو ثلاثة

(١) what. M. kharijite thought in the Umayyad period. Der Islam. 36, Berlin, 1961, P. 223.

(٢) الشماخي، السير ص ٩١.

(٣) الدرجيني، طبقات الأباضية، ١/ ورقة ١٠٧ أ. ـ الشماخي، السير ص ٩١.

(٤) الدرجيني، والطبقات ١/ ورقة ١٠٨ أ.

أميال[١]».

يتضح من ذلك مدى دقة التنظيم السري للدعوة الأباضية، أبان نشوئها وتطورها في البصرة.

دورة المرأة الأباضية في مرحلة التخفي والكتمان:

ولقد أولت قيادة الدعوة الأباضية، في مرحلة التخفي، والكتمان، اهتماماً كبيراً بالمرأة الأباضية التي شاركت بصورة فعالة في تحمل مسؤوليتها، وأبدت مقدرة كبيرة في حفظ أسرار الدعوة، والتكتم عليها، إن هذا المستوي الرفيع من المعرفة السياسية والتنظيمية ومجابهة المواقف الحرجة نتيجة للإعداد والدروس التي كان يلقيها مشايخ الدعوة، فقد كان جابر بن زيد يزور الأباضيات لغرض تعليمهن، وكانت عاتكة بنت المهلب تسأله ويجيبها[٢]، كما كانت الدروس الفكرية في أمور الإسلام والمذهب الأباضي تقام على شكل مجالس. تتعلم فيها المرأة الدروس القرآنية والفقهية. وكان ابو سفيان قديراً يقوم بالتدريس في مثل هذه المجالس[٣] وكانت بيوت السوق العجائز عبارة عن خلايا يجتمع فيها الأباضية، دفعاً للشبهة، باعتبار مثل هذه البيوت لا رصد عليها، ففي عهد عبيد الله بن زياد داهمت الشرطة إحدى هذه الخلايا في بيت عجوز أباضية، وقد تخلصت من أسئلتهم بجواب سريع فيما يتعلق بأحذيتهم التي تركوها بعد هروبهم من بيتها[٤].

وفي عهد أبي جعفر المنصور، يرد نص فيما يتعلق بمجالس النساء السرية

---

(١) الشماخي، السير، ٩١.
(٢) المصدر السابق، ص ٨٧.
(٣) الشماخي، السير، ص ٨٧.
(٤) الدرجيني، طبقات الأباضية، ١ / ورقة ١٠٧ أ.

«وكانت عيدة قد اتخذت للمسلمين سرباً في دارها يجتمعون فيه بالليل[1]» وقد كشف أمر هذا السرب لأبي جعفر المنصور.

إن هذا الإعداد الفكري والتنظيمي، مكنّ المرأة الأباضية من المشاركة في خوض المعارك الحربية التي خاضها الأباضية في الحجاز، وشاركت بجمع المال، بتموين حركة اليمن بما تحتاجه من مؤونة وسلاح، وكانت هلبية المهلبية أم سعيدة المارة الذكر، تعد الطعام للمقاتلين الأباضية بمكة عند إستيلاء أبي حمزة عليها في عام ١٢٩ هـ، وكانت زوجة أبي حمزة المختار بن عوف تلهب حماس الرجال بشعرها، وتحمل على الجيش الأموي وتنشد بقولها:

من سأل عن اسمي فأني مريم   بعت سوري بسيف مخزم

وقد قتلت إلى جانب زوجها أبي حمزة في معارك مكة[2]».

ويشيد الجاحظ بالتزام المرأة الأباضية وتقواها حتى كان بعضهم يتمنى أن يكون في نسائهم أباضيات «ويؤخذن بحفظ سورة النور[3]».

العلاقة بين التنظيم السري في البصرة والأقاليم الأخرى

ليست لدينا معلومات فيما يتعلق بانتشار الدعوة الأباضية في عهد إمامها جابر بن زيد. إلا أن الدعوة بعد وفاته سنة ٩٣ هـ، أخذت بالتوسع والإنتشار في عدد من الأمصار الإسلامية، فقد توجه الدعاة إلى اليمن وعمان والمغرب وقد استطاعوا نشر الدعوة الأباضية في هذه الأقاليم؛ ويعود الفضل في ذلك إلى الإمام الأباضي أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، إذ أسس مقدسة علمية، يتخرج

(١) الشماخي، السير، ص ١٠٨، ١٠٩.
(٢) الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٧٩.
(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، (بيروت ١٩٤٨) ٢ / ١٨٠.

فيها الدعاة بعد أن يدرسوا العلوم الإسلامية وما يتعلق باساليب الدعوة، وأمور السياسية والحرب، ويسمّون «حملة العلم[1]»، ويشير الدكتور إسماعيل محمود إلى فشل الدعاة في خراسان وإخفاقهم في مهمتهم نظراً لتشييع أهلها، ولأن اعدادهم كانت محدودة، لا تفي بإمامة الظهور، وقد جازفوا بالثورة على نصر بن سيّار آخر ولاة بني أمية في خراسان[2].

وقد انفرد إسماعيل محمود بهذه المعلومات عن ثورة الأباضية هذه في خراسان، ونستطيع القول إن أحكامه بنيت على أساس الظن والإحتمال ولم يفرق بين الفرق الخارجية لأنه لم يعتمد على مصادر تاريخية في إسناد قوله.

إذ إن المصادر الإسلامية كالبلاذري، أو الطبري وابن الأثير وغيرهم لا يشيرون إلى انتماء (شيبان بن سلعة) إلى الأباضية. وكذلك المصادر الأباضية لا توجد فيها أي إشارة إلى ثورة أباضية في خراسان، والحقيقة أن أتباع شيبان بن سلعة كانوا من الخوارج، وسمّوا فيما بعد بالشيبانية وهذه الفرقة تنتمي بالأصل إلى الثعالبة[3].

وقد ثاروا على نصر بن سيّار آخر ولاة بني أمية، وقد قتل شيبان بن سلمة عام ١٣٠ هـ من قبل أبي مسلم الخراساني[4].

أما عن الدعاة الأباضية في اليمن وحضرموت، فقد استطاعوا أن ينشروا

---

(١) الورجلاني، أبو زكريا يحي بن أبي بكر، السيرة وأخبارة الأمة، ورقة ٢ أ. العوتبي، سلمة بن مسلم، أ كساب الحرب، ورقة ٩٣ ب، ١٧٠ ب. الدرجيني، طبقات الأباضية ١ / ورقة ١٠، ـ ١٠ ب. ـ أطفيش، محمد بن يوسف بن عيسى، الأمكان فيما جاز أن يكون أو كان. (الجزائر، ١٣٠٤ هـ)، ص ١٠٩ ـ ١١٣.

(٢) د. إسماعيل محمود، الحركات السرية في الإسلام، ص ٣١ ـ ٣٣ بتصريف.

(٣) البغدادي، الفرق بين الفرق، (القاهرة، ١٩٤٨)، ص ٦٠ ـ ٦١. الكرماني، محمد بن يوسف، الفرق الإسلامية، ص ٧٩.

(٤) الطبري، الرسل والملوك، ٧/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦، ـ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٤/ ٣١١. د. عمر فاروق، طبيعة الدعوة العباسية (بيروت، ١٩٧٠) ص ٢٥، ١٩٨.

الدعوة فيها قبل غيرها من الأقاليم واشتهر منهم أبو أيوب وائل بن أيوب الحضرمي الذي اشترك بحركة اليمن عام ١٢٩ هـ، وهو من تلاميذ أبي عبيدة مسلم[١] وعندما أراد طالب الحق الثورة باليمن سنة ١٢٨ هـ كتب إلى أبي عبيدة مسلم يستشيره في ذلك[٢]، وهذا دليل على ارتباط الدعوة بهذا الزعيم الأباضي.

أما بالنسبة إلى الدعوة الأباضية في عمان، فقد حفظ لنا العوتبي في كتابه «الأنساب» أسماء (حملة العلم) من تلاميذ أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة «ومنهم الربيع بن حبيب بن عمر الفرهودي، وهو أحد العلماء الأربعة الذين حملوا العلم ونقلوه من البصرة إلى عمان، وكان يسكن في البصرة بمكان يسمى الخريبة، ومنصور الرباحي وبشير بن المنذر الترواني، ومحمد بن المعلا الكندي الفشحي من الفشح من جبال كندة، وراشد بن عمرو الحديدي بن النعمان بن حاضر بن حديد[٣]، وأضاف إليهم الرقيشي هاشم بن غيلان السيحاني والمنير بن البير الجعلاني. وقد استطاع هؤلاء الدعاة أن ينشروا الدعوة الأباضية في عمان، وقد استجابت لهم بعض القبائل الأزدية العمادية، والتي تمثل القوة البشرية المؤثرة في تاريخ عمان السياسي وكان أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي، يسكن قرية مجز جنوب صحار، وهو من أعلام الأباضية وقوادها العسكريين[٤]، وكان لدخول بعض الشخصيات من آل الجلندي في حضيرة الدعوة الأباضية أثر عميق في تاريخ عمان وأغلب الظن أنهم استجابوا لهؤلاء الدعاة، في إمامة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة[٥].

---

(١) الشماخي، السير، ص ١٠٥.
(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ٨/ ورقة ١٠ ب.
(٣) العوتبي، سلمة بن مسلم الصحاري، أكساب، ورقة ١٧٠ أ.
(٤) الرقيشي، مصباح الظلام، ورقة ٣١ ب.
(٥) أنظر الفصل الرابع من الرسالة.

نشر الدعوة في أفريقيا:

وفي إمامة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، توجه الداعية الأباضي سلمة بن سعيد مع أبي عبدالله عكرمة بن عبدالله، مولى عبدالله بن عباس، ولحقا بقيروان إفريقية[(١)]، ويظهر أن الدعوة الأباضية دخلت إلى المغرب قبل المدة المحددة بين سنة ١٠٥ هـ، إلى سنة ١١٥ هـ وهي الحقبة التي حددها ابن خلكان بوفاة عكرمة بن عبدالله مولى ابن عباس[(٢)]، لا سيما أنهما وصلا على بعير واحد «سلمة يدعو إلى مذهب الأباضية وعكرمة يدعو إلى مذهبة الصفرية[(٣)]»، ويظهر أن سلمة بن سعد استطاع أن يجذب العديد من الأتباع لمذهبه الأباضي وخاصة بين القبائل البربرية، وقد ساعده على النجاح المستوى الفكري الذي تمتع به عموم الدعاة الأباضية من (حملة العلم) في هذه الحقبة إضافة إلى الظروف السياسية والإجتماعية والإقتصادية السيئة التي كانت تعيشها المغرب، وكان سلمة متفادياً في سبيل نشر مذهبه وكان يقول: «وددت أن يظهر هذا الأمر يعني مذهب الأباضية بالمغرب يوماً واحدا من غدوة إلى ليل فما أبالي ضربة عنقي». ودليل نجاحه أنه«دل حملة العلم أو بعضهم على موضع أبي عبيدة بالبصرة»[(٤)] كما أرشد أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري إلى

---

(١) أبو زكريا، السيرة وأخبار الأمة، ورقة٢ أ.
كانت القيروان قصبة أفريقية، وقد يطلق على أفريقية اسم القيروان من جهة اطلاق الجزء على الكل ولأنها ابرز المناطق عمرانا في افريقية، المقدسي، شمس الدين أبو عبدالله محمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (اليدن، ١٩٠٦).

(٢) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأدباء الزمان، (بيروت، ١٩٧٠) ٤/ ٢٦٥.

(٣) الدرجيلي، طبقات الأباضية ١/ ورقة ٦ ب. ـ ذكر البسوي خطأً بأن عكرمة كان «يرى رأي الأباضية» ولو كان من الأباضية فعلا لترجم له الدرجيني في طبقاته أو غيره من كتاب السير الأباضية.

(٤) الشماخي، السير ص ٩٨.

البصرة لتلقي علوم المذهب الأباضي[١] من هذا يتضح لنا الدور الخطير الذي قام به سلمة بن سعيد في نشر الدعوة الأباضية في المغرب.

أما فيما يتعلق بعبد الرحمن بن رستم[٢]، فيبدو أنه اعتنق المذهب الأباضي في العقد الثالث من القرن الأول الهجري، ثم أرشده أحد الدعاة الأباضية، بعد أن توسم فيه الذكاء والإخلاص والإجتهاد في معرفة الدعوة الأباضية وقال له: «إذا كنت تريد علم هذا الأمر، الذي كلفت به، وعلقته وأراك تطلبه فدونك أرض البصرة فإن بها عالما يكنى أبا عبيدة واسمه مسلم بن أبي كريمة فإنك تجد عنده ما تطلب»[٣] وفي رواية للشماخي أن عبد الرحمن بن رستم لما سمع سلمة بن سعيد يدعو إلى الأباضية أعجب بها واعتنقها مذهباً له[٤]. ويبدو أن سلمة بن سعد قد اتفق مع أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ليرسل له مجموعة من أباضية المغرب، يمتازون بالذكاء العلمي، والطموح السياسي، فلا يمكن أن نفسر ترحيب أبي عبيدة لهم عند وصولهم البصرة[٥] إلا بوجود اتفاق مسبق بينهما. وقد وصل البصرة خمسة من هؤلاء الدعاة وهم عاصم السدراتي، وإسماعيل بن درار الغدامسي وأبو داود القبلي النفزاوي، ويظهر من أسمائهم أنهم ينتمون إلى القبائل البربرية في المغرب وعبد الرحمن إبن رستم الفارسي الأصل، وإبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري

---

(١) المصدر السابق، ص ١٢٣.

(٢) ذكر ابن خلدون أن أصل عبد الرحمن بن رستم من ولد رستم الأمير الفارسي الذي قاد الفرس بمعركة القادسية، وقدم إلى إفريقية بعد إسلامه مع طلائع الفتح الإسلامي فاستقر بها واعتنق الأباضية بعد وصولها إلى أفريقيا. ابن خلدون، العبر مج ٦، بيروت، ١٩٥٩، ص ٢٤٦.

(٣) أبو زكريا، السيرة وأخبار الأمة، ورقة٢ أ.

(٤) الشماخي، السير ص ١٢٣.

(٥) الدرجيني، طبقات الأباضية١/ ورقة ٩ ب ١٠ ة. الشماخي. السير ص ١٢٣.

الحميري من أهل اليمن[١] ومكث هؤلاء الدعاة عدة سنين يتلقون دروساً في المذهب الأباضي والإدارة والسياسة، وقد حتمت الظروف الصعبة التي مر بها أبو عبيدة في البصرة أن يعقد دروسه مع هؤلاء الدعاة بعيداً عن أنظار السلطة الأموية، يقول أبو زكريا يحيى بن أبي بكر: «وكان الشيخ أبو عبيدة رضي الله عنه مستخفياً متخوفاً من بعض أمراء البصرة، وأدخلهم سرباً وجعل فيه سلسلة فصار يعمل القفاف بباب السرب فمتى ما رأى شخصاً مقبلاً حرك السلسلة فيسكتون، فإذا انصرف حركها فيأخذون في دراستهم»[٢] ومن هذا النص تتضح مهارة أبي عبيدة مسلم في التستر على الدعاة المغاربة، الذين صاروا أقطاباً للدعوة الأباضية في المغرب وأكملوا ما بدأ به الداعي سلمة بن سعد، وكان لتمويه أبي عبيدة وتظاهره بصنع القفاف، قد رسخ فعلا في ذهن السلطة الأموية في البصرة أن هؤلاء الدعاة وشيخهم فقراء يبغون كسب عيشهم من وراء إنتاج القفاف، ولم يدر في خلد السلطة الأموية أن سرب القفاف، من أنجح الخلايا السرية في إعداد القادة السياسيين، ولا نستطيع أن نعطي تقييما لهذا الوعي السياسي لدى أبي عبيدة مسلم إلا أذا علمنا أن تلاميذه هؤلاء استطاعوا أن يقيموا دولة أباضية في المغرب بعد جهود مضنية اتسمت بالكتمان تارة والظهور تارة أخرى وتوجوا جهودهم باقامة الدولة الرستمية بتاهرت[٣] عام ١٦٠ ـ ٢٩٦ هـ.

واستمرت هذه الاتصالات بين الدعوة في المشرق والمغرب، وقد وصلتنا رسالة أبي عبيدة مسلم القيمة، التي تظهر مهارة أبي عبيدة ومتابعته

(١) الدرجيني: طبقات الأباضية ١/ ورقة ٩ ب.
(٢) أبو زكريا، السيرة وأخبار الأمة ورقة٥ أ. ـ الدرجيني، طبقات الأباضية/١ ورقة ٩ ب.
(٣) قال أبو الفدا: «وتيسرت مدينة كبيرة خصبة كثيرة الزرع وقد قيل أن كورة تيسرت من أفريقة. . وكادت قاعدة الغرب الأوسط وكان بها مقام بني رستم ملوك الغرب الأوسط حتى انقرضت دولتهم بدولة الخلفاء الفاطميين» أو الفدا: عماد الدين إسماعيل بن محمد. تقويم البلدان. (باريس، ١٨٤٠) ص ٣١٩».

لنشاط دعاته في المغرب، ويبدو أن هناك من يكتب إليه بأخبارهم دون معرفتهم كما يفهم من الرسالة، وتظهر أهمية الرسالة من الناحية التاريخية، لأنها وردت في مدونة أبي غانم الخراساني من علماء القرن الثاني الهجري، وهي عبارة عن رسالة الزكاة، وجهها إليه الدعاة في المغرب يسألون عن العشر، وجاء فيها «فلعمري لقد سرني ما انتهيتم إليه من أمركم وأن ذلك لم يخف عنا غير أنا لم نكتفي الذي كتبتم فيه. . . إلى والله يستتم لكم الخير كله. . . »[١].

وعلى هذا يمكن إدراك تأثير أبي عبيدة مسلم في تطور الدعوة الأباضية التي انتجت دولتين، الدولة الأباضية بعمان والدولة الرستمية بتاهرت.

وفي ختام هذا الفصل لا بد أن نشير إلى ضعف النشاط الأباضي في البصرة بعد إمامة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، إذ إن خلفه الربيع بن حبيب الفرهودي لم يكن يملك المؤهلات القيادية التي تمتع بها أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ويظهر هذا واضحاً في سكوت المصادر الأباضية عن النشاط الأباضي في البصرة[٢]، اللهم باستثناء إشارات قليلة تشير إلى الصلات الوثيقة بين الدولة الرستمية والربيع بن حبيب في البصرة، لإعانة الدولة الناشئة في تاهرت، وفي رواية لأبي زكريا يقول فيها: «ثم أن عبد الرحمن اتصلت أخباره إلى البصرة من أهل دعوة المسلمين فبعثوا إليه بثلاثة أحمال مالاً فلما وصلت الرسل تاهرت صاروا يسألون عن دار الإمارة. فلما لفتت لهم الدار قصدوا نحوها. . . فأشارت عليه ـ أي عبد الرحمن بن رستم ـ أن يأخذها فيبثها في فقراء المسلمين والسلاح والعدة. . »[٣] وكانت هذه المعونة الأولى من البصرة

---

(١) أبو غادم الخراساني، المدونة الصغرى، ورقة ١١٣ـ ١١٤ يراجع الملحق الثاني من الرسالة.

(٢) ينظر، الدرجيني، طبقات الأباضية. أبو زكريا، السيرة وأخبار الأمة، العوتبي، الأنساب.

(٣) أبو زكريا، السيرة وأخبار الأمة، ورقة ١٤ ب.

إلى الأباضية في تاهرت، ثم ارسلوا له معونة ثانية في وقت ازدهرت فيه الدولة الأباضية في تاهرت فأرجع عبد الرحمن هذه المعونة إلى البصرة[١].

ونلاحظ هنا أن الدعوة في البصرة وجهت عائداتها المالية إلى المغرب لأن الدعوة الأباضية بعمان أقامت دولتها بعد سبعة عشر عاماً من قيام الدولة الرستمية.

واستمرت الاتصالات بين البصرة والمغرب خاصة عند حدوث المشاكل بين أهل الدعوة، فيطلبون حلها من الربيع بن حبيب الذي كان يبعث بفتواه إليهم كممثل لرأي الدعوة الأم في البصرة[٢]، ثم اخذت الدعوة الأباضية بالانحسار في البصرة بعد قيام الدولة الأباضية الثانية بعمان ١٧٧ هـ/ ٧٩٣ م. ويبدو أن الكثير من هؤلاء الدعاة قد هجروا البصرة إلى عمان ليعيشوا تحت ظل مذهبهم وسيادة تعاليمه.

وأخيراً تعرفنا في ختام هذا الفصل على الدور الخطير الذي قامت به مدينة البصرة في تاريخ عمان والمغرب من الناحية السياسية.

نتائج العمل السري للدعوة الأباضية:

إن قادة الدعوة الأباضية اتبعوا سبيلا جديدا ظاهره العقود، وعدم التدخل في شؤون السياسية والحرب، ليبعدوا عن الدعاة أنظار السلطة الأموية والسياسية، ولقد أفادالعمل السري الدعوة الأباضية، إذ مكن الدعاة بما لهم من قابليات علمية، ومراكز اجتماعية مرموقة، من جذب الناس إلى حضيرة المذهب الأباضي دون مضايقة كبيرة من الولاة المتعاقبين على البصرة، وفي

(١) المصدر السابق - الباروني، عبدالله، النفوس، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية، القسم الثاني، (تونس لات) ص ٨٦ فما بعد.

(٢) الباروني، الأزهار الرياضية، ق ٢/ ١٠٢.

الجانب الآخر كانت التنظيمات السرية تعد نفسها، إعداداً ثورياً وتخرج الدعاة من مدرسة البصرة الفكرية، لممارسة الثورة المسلحة عند سنوح الفرصة المؤاتية، كما نلحظ ذلك في رسالة أبي عبيدة مسلم بن كريمة للدعاة الأباضية في المغرب[١].

وبهذا يتبين إذاً أن الدعوة الأباضية في هذه الحقبة إتبعت إسلوباً سياسياً ظاهره المهادنة وباطنه الاستعداد، وكان لسولك الدعاة المسالم أثر في تجنب أذى السلطة والمضايقة، بغض النظر عن المضايقات التي مارسها الحجاج بن يوسف الثقفي. وقد استمروا في سلوكهم هذا حتى بعد قيام ثوراتهم على الدولة الأموية والعباسية، ونستطيع أن نتلمس هذه المواقف في موقف السلطة الأموية والعباسية من أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، المرجع الأعلى للأباضية، أبان ثورة اليمن، وعمان، وثوراتهم بالمغرب، إذا بقيت هذه السلطات تجهل أن أبا عبيدة مسلم رأس الثورات ومصدرها، ولو عرفت ذلك لعرضته للموت بدون أدنى شك، ولو أن هذه السلطة تعرف اتجاهه المذهبي والعقائدي[٢]، ولكنها لم تتوصل إلى دليل يثبت صلته بالحركات الثورية مما يدل على قوة التظيم السري ودقته وكتمانه.

كما نلاحظ أن توسع وانتشار المذهب الأباضي ارتبط بالقدرات القيادية لدى أئمة الدين، في مرحلة الكتمان في البصرة، فلاحظنا قوة النشاط الأباضي في إمامة جابر بن زيد، وازدهارها في إمامة أبي عبيدة مسلم، وخمولها في إمامة الربيع بن حبيب الفرهودي، لأنه لم يكن يملك من المؤهلات القيادية للدعوة التي امتاز بها قادتها السابقون ويمكن أن نجمل الأسباب التي أدت إلى

(١) أبو غادم الخرساني، المدونة الصغرى، ورسالة في الزكاة، ورقة ١١٣ ـ ١١٤.
(٢) قال أبو جعفر المنصور لما علم بموت أبو عبيدة مرجعا «وقال ذهبت الأباضية» الشماخي، السير ص ١٩١.

نجاح الدعوة الأباضية في هذه المرحلة بما يأتي:

أولاً: ـ نظرة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ودراسته المستوعبة لمشاكل المناطق التي كانت مستاءة من الحكم الأموي، وعلاقة هذه المناطق بالسلطة المركزية من حيث القوة والضعف، فعندما أدرك أبو عبيدة مسلم أن الدولة الأموية في طريقها إلى الزوال أوعز إلى أباضية اليمن بالتعجيل بالثورة[١]، ولم يفكروا بالثورة في البصرة رغم أنها المركز الأم لتنظيمهم لأسباب أوجهها قرب البصرة من مراكز الحكم القوية، ووجود عدد من الأحزاب الأخرى.

ثانياً: ـ القيادة الجماعية للدعوة ـ إذ توفرت مجموعة من المشايخ الأباضية كمجلس شورى، من ذوي القدرات التنظيمية في مساعدة أبي عبيدة مسلم، كضمام بن السائب وأبو الحر بن الحصين، وحاجب الذي كان مسؤولاً عن جميع النشاطات العسكرية وقد قام بجمع المال والسلاح للثورة باليمن سنه ١٢٩ هـ[٢].

ثالثاً: ـ المقدرة الفكرية التي تمتع بها الدعاة الأباضية، وجذبهم لقلوب الناس لمذهبهم، وليس يخاف علينا خطب أبي حمزة المختار بن عوف المشهورة في بلاغتها، وخطب عبدالله بن يحيى الكندي (طالب الحق) في صنعاء، مما يدل على اعتقاد القادة بصحة الفكرة التي آمنوا. إن وضوح العقيدة لدى الداعية تجعله يستميت في سبيلها.

كما كان جابر بن زيد من فقهاء البصرة المشهورين، وأبو عبيدة الذي كان فقيها ومحدثاً وسياسياً من الرعيل الأول.

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ٧/ ورقة ١٠ ب. التفصيل أنظر الفصل الثاني من الرسالة.
(٢) الشماخي، السير ص ٩٠.

رابعاً: ـ الإخلاص والولاء المتناهي لهؤلاء القادة، الذين أوقفوا حياتهم على الدعوة للإسلام، متخذين من الآية الكريمة مصداقاً لحياتهم: «أن الله اشترى من المؤمنين أموالهم وأنفسهم بأن لهم الجنة. .» ويمكن أن نلاحظ هذا في أقوال وسلوك الدعاة الذين لم يكونوا بدوافع إجتماعية، وإقتصادية من وراء أعمالهم كقول الداعية سلمة بن سعد أول داعية أباضي إلى المغرب: وددت أن يظهر هذا الأمر يعني مذهب الأباضية بالمغرب يوماً واحداً من غدوة إلى ليل، فما أبالي ضربة عنقي»[١].

خامساً: ـ صلابة الدعاة في مرحلة الكتمان والتخفي على التنظيم السري رغم تعرضهم لصنوف التعذيب، وظهر هذا واضحاً في مواقف الدعاة الصلبة وعدم التصريح بوجود مثل هذا التنظيم جعل السلطتين الأموية والعباسية لا تعير أدنى اهتمام وحساب سياسي لهذه القوة المتنامية في الخفاء، وفي مواقف أبي عبيدة مسلم وضمام بن السائب وحاجب أبي مودود خير دليل على ذلك[٢].

سادساً ـ السرية في العمل والتنظيم، واستعمال وسائل عملية ناجحة في ضبط العمل السري، فاذا أخرج داعية أباضي من الدعوة الأباضية في مرحلة الكتمان ولم يدل على عوراتهم، تركوه وشأنه، ولكن هذا الخارج لو قام بفضح عوراتهم ونشاطهم وذكر أسمائهم لدى السلطة، فالقتل حكمه إذ أشار جابر بن زيد بقتل خردلة حين سأل عن أفضل الجهاد، لأنه دل على عوراتهم فكان قتله أفضل الجهاد[٣]. ولا شك أن هذا الحكم يناسب هذه الأهمية، لأن إفشاء مثل هذه المعلومات يؤدي إلى ضياع كل الجهود السرية التي بذلت عبر السنين الطويلة.

---

(١) أبو زكريا، السيرة وأخبار الأمة، ورقة ٢ أ.
(٢) الشماخي، السير، ص ٨٧.
(٣) الجيطالي، شرح قواعد الإسلام، ورقة ١٧ ب.

وبهذا نستطيع أن نفسر فشل أغلب الحركات الخارجية ونجاح الأباضية في إقامة عدة دول كالدولة الأباضية في عمان والدولة الرستمية في تاهرت. وبقاء المذهب وانتشاره حتى اليوم في حين اختفت جميع الفرق الخارجية الأُخرى[1].

(١) وسيتبين لنا جواب أخرى لقوة هذه الدعوة واستمرارها حين نتكلم عن الأبعاد السياسية لنظرية الإمامة لدى الأباضية. انظر الفصل السابع من الرسالة.

الفصل الثالث

بداية النشاط السياسي للدعوة الأباضية
في اليمن وحضرموت

سنة ١٢٩ ـ ١٣٢ هـ / ٧٤٦ م ـ ٧٤٩ م

١ ـ الحركة الأباضية في حضرموت واليمن.

٢ ـ امتداد الحركة الأباضية إلى الحجاز.

٣ ـ الحركة الأباضية بعد مقتل الإمام الأباضي عبد الله بن يحيى الكندي (طالب الحق).

١ ـ الحركة الأباضية في اليمن وحضرموت

الجذور التاريخية لإنتشار الدعوة في حضرموت واليمن:

إن انتشار الدعوة الأباضية في اليمن وحضرموت يكاد يكتنفه الغموض إذ لا تشير المصادر المتقدمة إلى الطريقة التي انتشرت بها تلك الدعوة، فيما لو قارنّا بانتشارها في عمان والمغرب، إذ توفرت لدينا قائمة بأسماء (حملة العلم) الذين توجهوا من البصرة إلى هاتين المنطقتين[١]، ونظير ذلك وردتنا معلومات، تشير إلى الصلات الوثيقة بين الدعوة في البصرة وحضرموت، ولقاءات جمعت بين أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ومشايخ من فقهاء حضرموت[٢]. واشتهر من هؤلاء الدعاة أبو أيوب وائل بن أيوب الحضرمي أحد طلاب أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، الذي اشترك في ثورة اليمن سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٦ م[٣]، وقد ذكر وائل بن أيوب الحضرمي دعاة في حضرموت

---

(١) العوتبي، سلمة بن مسلم، أنساب العرب، ورقة ٩٣ ب. ـ الورجلاني أبو زكريا، السيرة وأخبار الأمة، ورقة ٢ أ. ينظر الملحق الثالث من الرسالة.

(٢) الدرجيني، الطبقات ١/ ورقة ١٠٤ أ.

(٣) المصدر السابق ١ ورقة ١١٢ أ.

كانوا قبله من ذوي القدرات العلمية والإدارية[1]. ولذا نستطيع القول أن تسرب الدعوة الأباضية إلى اليمن وحضرموت يعود إلى تاريخ سبق الحركة التي قامت في سنة ١٢٩/ ٧٤٦ م بسنين طويلة.

التهيؤ والإعداد لثورة اليمن:

وفي سنة ١٢٨ هـ ـ ٧٤٥ م تم اللقاء بين أبي حمزة المختار بن عوف الأزدي وعبدالله بن يحي الكندي (طالب الحق)[2]، لغرض الإعداد للحركة التي تم تفجيرها في سنة ١٢٩ هـ، في الوقت الذي نشطت فيه الحلقات السرية في البصرة وراحت تجمع الأموال لغرض تجهيز المقاتلة من أهل البصرة، وشراء الأسلحة وإرسالها إلى حضرموت، وكان أبو مودود حاجب بن هودود الطائي المسؤول عن أمر الحرب وجمع المال والمعونة قد فرض على الأغنياء وأوساط الناس أن يتبرعوا بجمع الأموال، فجمعوا في يوم واحد عشرة آلاف درهم خصصت لأغراض الحركة في حضرموت[3].

ويظهر أن مركز الدعوة في البصرة كان يخطط لإقامة إمامة الظهور في حضرموت، بعد توفر الشروط اللازمة لإقامتها، وليس كما صور بعض الأخباريين الذين اعتمد عليهم الطبري والأزدي أن الثورة في اليمن كانت نتيجة اللقاء المفاجىء سنة ١٢٨ هـ، إذ لقى «أبو حمزة الخارجي عبدالله بن يحيى فدعاه إلى مذهبه»[4] فاستحسن طالب الحق كلامه فاعتنق المذهب الأباضي،

---

(١) الشماخي، السير، ص ١٠٥.
(٢) الطبري، والرسل والملوك ٧/ ٣٤٨.
(٣) الدرجيني، طبقات الأباضية ١ ورقة ٢١٢ ب. ـ الشماخي السير ص ١١٤.
(٤) الطبري، الرسل والملوك ٧/ ٣٤٨. الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٧٧ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/ ٢٩٧.

ولما كان (طالب الحق) مطاع في قومه من قبيلة كندة[١]، فإنه يستطيع تحقيق الآمال والأهداف التي يدعو لها أبو حمزة في الخروج على مروان الثاني وإسقاط الدولة الأموية، فخرج منه أبو حمزة «حتى ورد حضرموت فبايعه أبو حمزة على الخلافة»[٢]. وعند مناقشة هذه الرواية يتضح لنا ضعفها، ذلك لأن أبا حمزة المختار بن عوف لم يكن إلا أحد المشايخ النشطين في الدعوة إلى المذهب الأباضي ولم يكن بمركز قيادي يمكنه من ترشيح من يريد للخلافة، وكان يصدر في أمره عن أبي عبيدة مسلم المرجع الأول للدعوة آنذاك، ويتصل في أمره عن أبي عبيدة مسلم المرجع الأول للدعوة آنذاك، ويتصل بحاجب الطائي المسؤول عن النشاطات العسكرية للأباضية[٣].

وليس من المعقول لأبي حمزة المعروف برجاحة عقله وذهنيته الوقادة أن يبايع رجلاً للخلافة بمجرد قبوله المذهب الأباضي وهو بعد لا يعرف من هذا المذهب شيئاً، ومن ناحية أخرى أن الأباضية يوجبون عقد الإمامة لأفضلهم في الدين والعلم والورع، ولا نظن أن عبدالله بن يحيى يستطيع استيعاب المباديء الأباضية بمجرد لقاء واحد كهذا الذي حدث بين أبي حمزة وطالب الحق.

إضافة إلى ذلك أن المباديء الأباضية تشرط في تولية الإمارة أن يبايعه في الأقل ستة من الفقهاء من ذوي الفهم والعلم[٤].

والذي نستشفه من هذا اللقاء بين أبي حمزة وطالب الحق التنسيق بين أباضية البصرة وأباضية حضرموت لغرض الخروج على السلطة الأموية، في موعد حدد بين مركز الدعوة الأم في البصرة وأباضية حضرموت، ومن حق

---

(١) العوتبي، إنساب العرب، ورقة ٩٣ أ.

(٢) الطبري، الرسل والملوك ٣٤٨/٧. الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٧٧ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٩٧/٤.

(٣) الشماخي السير، ص ٩٠.

(٤) الخصوصي، مختصر الخصال، ورقة ٧٠ ب.

الأخباريين أن يذهبوا لتفسير هذا اللقاء بالصدفة التي جمعت بين طالب الحق وأبي حمزة المختار بن عوف لصعوبة إدراك الأعمال السرية وعدم انتشار أخبار نشاطاتهم المستورة، ثم أن الحركات التي تتجمع حول قائد أو زعيم معين تختفي بمجرد موت القائد أو الزعيم ما لم يرافقها تيار فكري وعقائدي، بينما استمر المذهب الأباضي بعد موت عبدالله بن يحي الكندي (طالب الحق) حتى نهاية القرن السادس الهجري وما بعده(١).

بداية الحركة الأباضية والسيطرة على صنعاء:

شجعت الظروف السياسية السيئة التي مرت بها الدولة الأموية في أواخر عهدها الحركة الأباضية على الخروج من حضرموت واليمن، حيث تتابعت الحوادث منذ سنة ١٢٧ هـ فثار الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي وهدد مروان بن محمد في عقر داره، واستولى على الكوفة إلا أن مروان الثاني قتله في سنة ١٢٨ هـ(٢) في منطقة الجزيرة الفراتية، ثم قامت حركة عبدالله بن معاوية بن جعفر الطالبي في عام ١٢٨ هـ الذي إغتاله أبو مسلم الخراساني.

وكانت خاتمة هذه الحركات قيام الثورة العباسية التي عاصرت الحركة الأباضية في حضرموت سنة ١٢٩ هـ، واستطاعت الحركة الأباضية إنهاك الجيش وبذلك ساعدت العباسيين في القضاء على الدولة الأموية بدون سابق اتفاق بينهما.

---

(١) ابن الحسين، يحي، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ق ١، (القاهرة، ١٩٦٧)، ص ١٣٠. باوزير، سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضرمي (القاهرة، ١٣٧٨ هـ)، ص ٥٩ ـ ٦٦.

(٢) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، التاريخ، (النجف، ١٩٦٤) ٣/ ٧٩.

كما أن الأوضاع الخاصة لليمن بلغت درجة من التدهور من النواحي الإقتصادية والإجتماعية والسياسية كافة[1]. فقد خضعت اليمن بصورة متتابعة للولاة الثقفيين منذ عهد عبد الملك بن مروان ٦٥/ ٨٦ هـ، إذ تولاها محمد بن يوسف الثقفي ـ أخو الحجاج بن يوسف الثقفي ـ ومن بعده مجموعة من ولاة بني ثقيف بلغت مدة حكمهم لليمن قرابة نصف قرن من الزمان كان آخرهم القاسم بن عمر الثقفي، الذي قامت في عهده الحركة الأباضية عام ١٢٩ هـ[2]، وهكذا يترائى لنا أن الحكم في اليمن وراثي في بني ثقيف خلال تلك الحقبة من تاريخ اليمن، وقد أثار هذا التصرف حفيظة أهل اليمن ضد هؤلاء الولاة وعجل بهزيمتهم.

وكان الخلفاء قبل عمر بن عبد العزيز قد أرهقوا أهل اليمن بالضرائب غير الشرعية، فعلى سبيل المثال أن محمد بن يوسف الثقفي أخذ منهم الخراج مجدداً، ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى واليه على اليمن: «يأمر بالأختصار على العشر ونصف العشر وترك ما جدده محمد بن يوسف» ولما تولى الخلافة يزيد بن عبد الملك أمر بأخذها منهم بالقوة حتى إذا اقتضى الحال أن يصبحوا ضد الدولة الأموية[3].

إن خضوع اليمن وحضرموت هذه الحقبة الطويلة يرافقه الظلم والتعسف وروح الإستعلاء البغيض المبني على أساس التعصب القبلي المخالف لروح الشريعة الإسلامية التي جعلت الأخاء أساساً للروابط الإجتماعية في المجتمع الإسلامي والتقوى أساس التفاضل فيه، مكنت الدعوة الأباضية من قيادة

---

(١) البلاذري، الأنساب، ٨/ ورقة ١٠ ب. ـ الأصفهاني، أبو الفرج على بن الحسين بن محمد، الأغاني، (بيروت، ١٩٦١)، ٢٣/ ١١١، ١١٢.

(٢) ابن خياط، خليفة، تاريخ خليفة، تح، أكرم ضياء العمري، (النجف ١٩٦٧)، ٢/ ٣٧٣.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ٤/ ١٦٦.

الحركة السياسية في اليمن لتصحيح الإنحرافات العديدة التي مارسها الخلفاء الأمويون وولاتهم في اليمن.

وقد أكد البلاذري على سوء الأحوال في اليمن وجعلها من أهم المحفزات لحركة عبدالله بن يحيى (طالب الحق) بعد أن «رأى باليمن جوراً وعسفاً شديداً وسيرة في الناس قبيحة، فقال لأصحابه: لا يحل لنا المقام على ما نرى ولا يسعنا احتماله والضيم عليه»[١]، وقال منشداً عند خروجه:

كوى بالأسى قلبي وأبكى نواظري   بكاء اليتامى وابتسام الجبابر[٢]

ونتيجة للأوضاع السيئة فقد التف الناس حول عبدالله بن يحي الكندي في حضرموت وحثوه على الثورة، فكتب إلى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الإمام الأباضي في البصرة يستأذنه في الخروج وهذا دليل على ارتباط الحركة الأباضية وقائدها عبدالله بن يحي بأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة[٣]، وقد رد التنظيم الأباضي في البصرة على هذه الرسالة، برسالة حبذوا فيها التعجيل بالثورة. «إن استطعت ألا تقيم يوماً واحداً، فافعل فإن المبادرة بالعمل أفضل ولا تدري متى بلغ أجلك، ولله خيرة من عباده يبعثهم إذا شاء لنصر دينه ويخصهم بالشهادة إكراماً لهم بها»[٤]، ولم يكتفوا بهذه الرسالة فقط فأرسلوا القائد أبا حمزة

---

(١) البلاذري، الأنساب ٨/ ورقة ١٠ ب. ـ الأصفهاني الأغاني، ٢٣/ ١١١ -١١٢.

(٢) البرادي، لجواهر المنتقاة. ص ١٧٠. وقد أكد أبرهة بن الصباح الحميري أحد قادة الحركة نفس المبرد الذي أكده البلاذري وطالب الحق فجعل من الظالم التي حلت باليمن وحضرموت السبب الرئيسي الذي أخرجة من بلاده حضرموت لمحاربة الأمويين. ومن شعره قوله:

جوركم جنبني قراري   وجاء بي من وطني وداري

الرقيشي، مصباح الظلام، ورقة ٢٤ أ.

(٣) البلاذري، الأنساب، ٨/ ورقة ١٠ ب، الأغاني، ٢٣/ ١١٢.

(٤) البلاذري، الأنساب، ٨/ ورقة ١٠ ب. الأصفهاني، الأغاني، ٢٣/ ١٢.

المختار بن عوف الأزدي وبلج بن عقبة الأزدي مع مجموعة من الجند الأباضي، وحملوا معهم رسائلاً من أبي عبيدة مسلم وأباضية البصرة إلى عبدالله بن يحي (طالب الحق) يوصونه فيها بالاقتداء بأسلافهم الصالحين[١].

وهكذا غدا تركيب الجيش الذي قاده طالب الحق مؤلفاً من أباضية حضرموت واليمن والبصرة، ويؤكد خليفة بن خياط أن عامة هذا الجيش من أباضية البصرة[٢].

وحالما وصل أبو حمزة المختار بن عوف إلى حضرموت حتى ابتدأت الحركة في سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٦ م واستطاعوا الإستيلاء على حضرموت بدون مقاومة تذكر[٣]. وقد ساعد نجاح الحركة في حضرموت الشخصية الإجتماعية البارزة لعبدالله بن يحي الكندي إذا كان يتولى القضاء فيها لإبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي الوالي على حضرموت من قبل القاسم بن عمر الثقفي[٤]. إن منصب القضاء الذي شغله عبدالله بن يحي الكندي يرتبط بمفهوم العدالة لدى المسلمين، ولذلك اطلقوا عليه لقب (طالب الحق)[٥]. إن دلالة اللقب تمثل رد فعل للظروف السيئة والمظالم الإجتماعية التي كانت سائدة آنذاك في حضرموت واليمن.

وبعد نجاح الحركة في حضرموت أخذ الوالي الأموي على حضرموت

---

(١) الرقيشي، مصباح الظلام، ورقة ٣٢ أ.
وقد جاء في إحدى هذه الرسائل ما يلي:
«إلى عبدالله بن يحيى إذا أخرجتم فلا تغلوا ولا تعتدوا واقتدوا بأسلافكم الصالحين، واستنوا بسنتهم، فقد علمتم إنما أخرجهم على السلطان العيب لأعمالهم.

(٢) ابن خياط، تاريخ خليفة، ق ٢/ ٥٨٢.

(٣) ابن خياط، تاريخ خليفة، ق ٢/ ٥٨٢. المسعودي، مروج الذهب جـ ٣ (بيروت، ١٩٦٦) س ٢٤٢.

(٤) الشماخي، السير ص ٩٩.

(٥) البلاذري، الأنساب، ٨/ ورقة ١٠ ب.

ابراهيم بن جبلة الكندي، وحبس ثم اطلق سراحه، فالتحق بالقاسم بن عمر الثقفي والي مروان بن محمد في صدحاء[١]. وبعدها أقام طالب الحق في حضرموت فتوافدت إليه الأباضية من مناطق عدة، ولا يشير البلاذري إلى الأمصار التي قدموا منها[٢]، ولكننا نعلم أن أبا حمزة المختار بن عوف عماني يتردد على البصرة وكان يسكن في قرية مجز جنوب صحار في عمان[٣]، ويشير الأزكوي إلى انتماء أبي حمزة وبلج بن عقبة إلى عمان[٤].

وبعد أن استقر طالب الحق في حضرموت وتوافدت إليه جموع الأباضية من بقية المناطق، قرر التوجه إلى صنعاء وطرد الوالي الأموي منها، ومهد لذلك فكتب إلى أباضية صنعاء: «أني قادم عليكم»[٥] وأعد لهذا الغرض جيشاً عدته ألف وستمائة أباضي[٦] وانضم إليه الناقمون على الحكم الأموي بعد أن سئموا حكم الولاة الثقفيين الذين أشاعوا الجور والفساد في اليمن فبلغ هذا الجيش المتوجه إلى صنعاء في حدود الأربعة آلاف فرد[٧]، مكون من الميمنة وعليها يحيى بن حرب والمهاجرين الذين انضموا إلى أباضية حضرموت، وميسرة وعليها بلج بن عقبة من أباضية البصرة يعاونه أبرهة بن الصباح الحميري، وفي القلب كان عبدالله بن يحيى قائداً لهذه الحملة، وترك خليفة له في حضرموت عبدالله بن سيد الحضرمي[٨].

---

(١) ابن خياط، تاريخ خليفة، ق ٢/ ٥٨٢.
(٢) البلاذري، الأنساب، ٨/ ورقة ١٠ ب.
(٣) العوتبي، مسلمة بن مسلم، أنساب العرب، ورقة ١٦٢ أ.
(٤) الأزكوي، كشف الغمة، ورقة ٢٧١ أ.
(٥) البلاذري ٨/ ورقة ١٠ ب. الأغاني، ٢٣/ ١١٢.
(٦) الشماخي، السير ص ٩٩.
ذكر خليفة أن عدد الجيش ألفين، تاريخ خليفة، ق ٢ ص ٥٨٢.
(٧) كشف الغمة ٢٧١.
(٨) السير ص ٩٩.

وعندما علم الوالي الأموي بتوجه طالب الحق إلى صنعاء قاد حملة عسكرية قدر المؤرخون عدد أفرادها في حدود الثلاثين ألفاً[1] وسار لملاقاته خارج صنعاء واستخلف عليها الضحاك بن زمل السكسكي، وتم لقاء الجيشين بقرية تسمى (الجانح) وهي قرية من قرى أبين[2] ويشير البلاذري إلى مكان آخر لهذا اللقاء وهي قرية رومي[3] وقيل بقرية (لحج) وهي من قرى أبين[4]، واتخذ القاسم بن عمر الثقفي من أبين معسكراً خلف فيه أثقاله وانطلق بمقاتليه لمواجهة طالب الحق على بعد يومين من معسكره، والتقى الجيشان في بداية الليل وقرر القاسم بن عمر الثقفي أن يقاتلهم في مساء ذلك اليوم، ولم يصغ إلى نداء مشاوريه الذين اقترحوا مواجهتهم صباحاً فقاتلهم ليلاً فأوقعوا به هزيمة فادحة كانت فاتحة لانتصارات الأباضية على الجيش الأموي، فاضطر الانسحاب إلى معسكره في منطقة أبين ونقل معسكره من أبين إلى صنعاء[5] بعد أن ترك أربعمائة قتيلاً في ساحة المعركة وقد وصف الأزكوي هذه المعركة واستعداد كلا الجانبين من الناحية العسكرية والنفسية، الجانب الأموي الذي كان ذا عدة وإعداد غفيرة قدرها ثلاثين ألفاً ولكنه جيش لاه خرج في الدفوف

---

(١) ابن خياط، تاريخ خليفة، ق ٢، ص ٥٨٢. ـ البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة. أب. ـ الأزدي، تاريخ الموصل، ص ١١٠،. ـ الشماخي، السير ص ١٩ ـ الأزكوي كشف الغمة ورقة ٢٧١، أ ـ «ولا شك أن هذا الرقم فيه الشيء الكثير من المبالغة في ضوء الظروف العصيبة في الجناح الشرقي في خراسان، وقد أشار الدكتور فاروق عمر إلى عدد الجيش الذي قاده مروان الثاني في معركة الزاب وهي بلا شك أكثر أهمية من معارك اليمن إذ إنها تقرر مصير الدولة الأموية في البقاء أو عدمه «فكان عدد هذا الجيش تقريباً من ٢٠,٠٠٠ ألفاً ـ ٢٤,٠٠٠ ألف جندي».
د. عمر، فاروق، طبيعة الدعوة العباسية، (بيروت، ١٩٧٠) ص ٢١١.

(٢) تاريخ خليفة، ق ٢، ص ٥٨٣.

(٣) البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١٠ب.

(٤) الأصفهاني. الأغاني، ٢٣، ص ١١٣.

(٥) الأصفهاني، الأغاني ٢٣، ص ١١٣.

والغناء والرقص والمزامير وعلى النقيض نزل الجيش الأباضي وهم يقرأون القرآن ويكبرون الله، وذهب الأزكوي خلافاً لما ذهب إليه الأصفهاني فهو يروي أن أصحاب طالب الحق هم الذين اقترحوا منازلة القاسم بن عمر الثقفي ليلاً بعد أن هالهم كثرة جيشه ودب الضعف إليهم وقالوا لطالب الحق: «اهجم عليهم بالليل فإن يكن لنا أصبحنا وإن تكن علينا نجونا في سواد الليل». وكان رد طالب الحق على أصحاب هذا الرأي أن أمر منادياً هتف في الأربعة آلاف الذين قدموا معه: «من لم يرد القتال فلينصرف الليلة»(١) وقد استجاب لهذا النداء أكثر من نصف الجيش القادم معه وبقي معه ألف وستمائة أباضي، ولعل الذين تركوا طالب الحق ربما كانوا من أهل اليمن الناقمين على الدولة الأموية أو من أصحاب المطامع الباحثين عن الغنيمة وكان من مصلحة طالب الحق أن يتخلى هؤلاء عن جيشه ليقدر قواته الحقيقية لينظم في ضوئها قواته لمواجهة القاسم بن عمر الثقفي، واستطاع طالب الحق من إلحاق الهزيمة في الجيش الأموي عند مطلع صباح المعركة واضطره إلى الهزيمة باتجاه صنعاء بعد أن خلف وراءه أربعمائة قتيل في حين خسر الأباضية في هذه المعركة ستين قتيلاً(٢).

وبعد هذه الهزيمة تقهقر الجيش الأموي باتجاه صنعاء لغرض التموين وإعداد الجيش ورفع معنوياته المنهارة بعد هزيمة غير متوقعة على يد مجموعة صغيرة من الأباضية فيما لو قورنت بالجيش الأموي في اليمن(٣)، وفي نفس الوقت عززت هذه المعركة ثقة الأباضية بأنفسهم، فأخذ عبدالله بن يحيى يزحف باتجاه الشمال للاستيلاء على صنعاء مستفيداً من هذا النصر المعنوي ولم يتوقف زحفه إلا بالقرب من صنعاء في منطقة تدعى (جوين)(٤).

---

(١) الأزكوي، كشف الغمة، ورقة ٢٧١ أ.
(٢) الأزكوي، كشف الغمة، ورقة ٢٧١ أ.
(٣) البلاذري، أنساب، ٨/ورقة ١٠ ب.
(٤) الأصفهاني، الأغاني، ٢٣/ص١١٣.

أما القاسم بن عمر الثقفي فقد أدرك حقيقة الخطر الأباضي بعد أن ذاق مرارة الهزيمة في اللقاء الأول فحفر الخنادق للاحتماء بها من هجمات الجند الأباضي واتخذ معسكره هذا خارج صنعاء[١]، ولم يجرأ على مقابلة طالب الحق بنفسه فأرسل قائده ابن الفيض بجيش مؤلف من أهل الشام واليمن عدده ثلاثة آلاف جندي، فجرت مناوشات عسكرية بين الطرفين لم تؤد إلى نتيجة تذكر رجع على أثرها يزيد بن الفيض إلى القاسم بن عمر الثقفي[٢]، واستأذن منه أن يبيتهم إلى الصباح ولكن القاسم بن عمر رفض وجهة نظر قائده الذي أصر على عدم مقاتلتهم، لئلا تتكرر المأساة نفسها التي حدثت أول مرة عندما واقعوهم في الليل. وبعد المحاجزة بين يزيد بن الفيض وعبدالله بن يحيى لم تجر مناوشات عسكرية لمدة يومين مشوبة بالقلق والخطر وتحفز كلا الجيش للقتال[٣]، وفي الليلة الثالثة زحف عبدالله بن يحيى (طالب الحق) ليكسر حالة اللاحرب، ومع اطلالة اليوم الثالث أطبقت الأباضية على خنادق القاسم بن عمر الثقفي ودافعت الجنود الأموية من أهل الشام وأهل اليمن ولكن دون جدوى فقد دخلوا المعسكر بعد اجتيازهم للخنادق المحفورة[٤]، وبدأت معركة قتل فيها الصلت بن يوسف أحد قواد الجيش الأموي وابن أخ القاسم بن عمر الثقفي، ولم يستطع يزيد بن الفيض الصمود أمام الشراة الأباضية بعد أن دافع في معركة خاسرة حتى منتصف النهار[٥]، ولحق بالقاسم بن عمر الثقفي في صنعاء بعد أن عجز عن الوقوف في وجه الزحف السريع للقوات الأباضية

---

(١) ابن خياط، تاريخ خليفة، ق ٢ ص ٥٨٣. ـ الأغاني، ٢٣/ ص ١١٣.
كشف الغمة، ٢٧١ ب.

(٢) البلاذري، أنساب ٨، ورقة ١٠ ب. ـ الأغاني، ٢٣، ص ١١٣.

(٣) الأغاني، ٢٣ ص ١١٣.

(٤) نفس المصدر، ٢٣، ـ ١١٣.

(٥) البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١٠ ب، الأغاني، ٢٣، . ص ١١٣. اليماني، تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد، بهجة الزمن في تاريخ اليمن، (مخيمر، ١٩٦٥) ص ١٨.

التي قادها عبدالله بن يحيى (طالب الحق)[١]. ويشير خليفة بن خياط والأصفهاني أن القاسم بن عمر قد اشترك في هذه المعركة[٢]، ويظهر أنه هرب إلى صنعاء وتبعه بعد ذلك يزيد بن الفيض، ومن صنعاء هربا إلى بلاد الشام بماتبقى من قواتهم[٣].

وبعد هذا الاستعراض لتقدم الأباضية وزحفها الذي ابتدأ من حضرموت في أقصى الجنوب إلى صنعاء في الشمال بهذا الشكل السريع لا بد لنا من ذكر العوامل التي ساعدت الأباضية في الانتصار على الوالي الأموي.

العامل الأول:

قوة عقيدة الجيش الأباضي واستماتتهم في القتال لوضوح الرؤية والهدف فأما أن يقيموا حكم الله في الأرض وهو أهم الدوافع التي يقاتلون في سبيلها، ومن هذا الهدف استمدوا شعارهم المعروف (لا حكم إلا لله)، أو يبيعوا أنفسهم لله فيفوزوا بالجنة طبقاً للمفهوم القرآني في الآية الكريمة:

«إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة» ولهذا سموا بالشراة)[٤] فالعقائدية أضفت طابع الوحدة والانسجام لدى الشراة الأباضية في حين كان الجيش الأموي مؤلفاً من أهل الشام وبعض أهل اليمن لا توجد بينهم روابط عقائدية كتلك التي ربطت الشراة الأباضية.

---

(١) البلاذري، أنساب ٨/ ورقة ١٠ ب.
(٢) ابن خياط، تاريخ خليفة، ق ٢، ص ٥٨٣، ـ الأغاني، ٢٣/ ١١٣.
(٣) كشف الغمة، ورقة ٢٧٠ ب.
(٤) الجيطالي، شرح قواعد الإسلام، ورقة ٢٥ أ. ـ الشماخي شرح مقدمة التوحيد، ورقة ١٦ أ.

العامل الثاني:

التذمر والاستياء من الحكم الأموي والولاة الثقفيين، الذين حكموا اليمن بصورة متعاقبة بلغت زهاء نصف قرن من الزمان، أشاعوا فيها الفساد والجور ولهذا سأم أهلها الحكم الثقفي فلم يقاتلوا بجد إلى جانب القاسم بن عمر الثقفي[١]، في حين انضمت أعداد كبيرة من أهل اليمن من غير الأباضية إلى طالب الحق في زحفه على صنعاء، لاسيما وأن طلب الحق رفع شعارات تنافي عواطف اليمنيين بصورة عامة، وقد عبر عن دوافع ثورته بأبيات من الشعر قال فيها:

كوى بالأسى قلبي وأبكى نواظري   بكاء اليتامى وابتسام الجبابر
وكلفني حمل القواضب والقنا   وسفك الدما أسراف أهل الكبائر

وواضح في هذه الأبيات الدوافع الإجتماعية للثورة على الظلم والتسلط الأموي[٢].

العامل الثالث:

ومن الأسباب التي عجلت بسقوط صنعاء بيد الأباضية أن الأباضية من أهل صنعاء ساعدوا من الداخل جيش طالب الحق ضد أهل الشام، وكان طالب الحق قد كتب إليهم قبل خروجه من حضرموت:

«إنّي قادم عليكم»[٣]. وبهذا نستطيع تفسير اجتياز الشراة الأباضية للخنادق التي حفرت بالقرب من العاصمة صنعاء بهذه السرعة الخاطفة.

---

(١) ابن خياط، تاريخ خليفة، ج ٢، تح، أكرم ضياء الحمري، (النجف ١٩٦٧) ص ٣٧٣.
(٢) البرادي، الجواهر المنتقاة، ص ١٧٠.
(٣) البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١٠ ب. ـ الأغاني، ٢٣/ ١١٢.

العامل الرابع:

المسافة الشاسعة التي تفصل بين اليمن ودمشق مركز الحكومة الأموية جعلت الجيش الأموي في اليمن بين أمور ثلاث: أما أن يقتل أو يستسلم للأباضية، أو الفرار إلى الشام ولا أمل له في وصول امدادات عسكرية بحكم طول هذه المسافة، في حين كان طالب الحق يستطيع الحصول على امدادات عسكرية من قاعدته في حضرموت، ثم أن العامل الإقليمي ساعد طالب الحق بغض النظر عن أباضيته لكونه من أهل اليمن في الانتصار بهذه السرعة الخاطفة.

إن هذه العوامل مجتمعة ساعدت في انتصار طالب الحق، وبدخوله إلى صنعاء خضعت له اليمن كلها، ولا تشير مصادرنا التاريخية إلى أية مقاومة بعد المعركة التي وقعت على مشارف صنعاء[1].

سياسة عبدالله بن يحيى بعد دخوله صنعاء:

كانت سياسة عبدالله بن يحيى مصداقاً للالتزام بالشريعة الإسلامية في معاملة المخالفين له مذهبياً من السلمين، واستطاع أن يوفق بين النظرية والتطبيق دون أن يسمح لحكم العواطف في اللحظات الحرجة كلحظات ومواقف القتال التي تثور فيها العواطف الجياشة وحب الانتقام، فعندما طلب قائده أبرهة بن الصباح الحميري الإجهاز على الهاربين وقتلهم منعه مع أن طالب الحق كان قد تمكن منهم كما يبدو من رواية البلاذري[2]، لأن الأباضية

(١) البلاذري، أنساب ٨/ ١٠ ب، الأغاني، ٢٣/ ١١٤ فما بعد.
(٢) البلاذري، المصدر نفسه. الأغاني، ٢٣، ١١٣، ١١٤.

لا تجوّز الاجهاز ولحوق المدبر في الحرب[١]. وهذا يدل على الطابع المعتدل لسلوك هذه الفرقة حتى في حالة الحرب. ولو قارنّا بينهم وبين الأمويين لوجدنا بوناً شاسعاً في هذه الناحية فقد ظهرت في حروب الأمويين الوحشية والطابع البدوي والخروج على القيم الإسلامية في حروبهم للأباضية[٢].

ونستطيع أن نتلمس الصدق في هذه السلوكية في الاجراءات التي اتخذها طالب الحق حيال العمال والولاة الأمويين، فعندما دخل صنعاء حبس الضحاك بن زمل الذي تركه القاسم بن عمر والياً على صنعاء بعد خروجه لطالب الحق وإبراهيم بن جهلة الكندي الذي وقع في الأسر للمرة الثانية بعد طرده من حضرموت وحبسهما لمدة قصيرة وأطلق سراحهما وقال: «إنما حبستكما مخافة من العامة عليكما وليس عليكما مكروه فأقما أو أشخصا» فطلبا الخروج من اليمن[٣].

إن هذه الاجراءات التي اتخذها طالب الحق في حضرموت أولاً وفي صنعاء ثانياً أراد أن يبرهن لأعدائه والمسلمين عامة صدق التطبيق ومحو الصورة المشوهة التي رسخت في أذهان المسلمين نتيجة للممارسات السياسية السابقة للحركات الخارجية كالأزارقة والنجدات على سبيل المثال.

وتتضح طبيعة سياسته في خطبته التي ألقاها في صنعاء بعد أن استولى عليها ووضح فيها وجهة نظر الأباضية وأهداف وطبيعة الحركة. جاء فيها: «الحمد لله المتحمد بالآلاء المنان بالنعماء ذي الأمر الغالب والدين الواصب...»[٤] ثم استعرض فيها طبيعة الظروف السيئة التي كانت تحيط

---

(١) الجيطالي، شرح قواعد الإسلام، ورقة ٣٥ ب.
(٢) ينظر: بعثاً عن الحركة الأباضية بعد مقتل طالب الحق.
(٣) البلاذري، أنساب، ٨/ورقة ١ ب. ـ الأغاني، ٢٣/ ١١٤.
(٤) البلاذري، أنساب، ٨/ ١١ أ.

بالناس قبل الرسالة الإسلامية، وبعد هذه الرسالة حيث أصبحت الأمة تعيش العزة والكرامة بفضل هذا الدين.

وقد طرح في خطبته هذه نقاطاً ثلاث تلقى الضوء على السياسة المرنة التي انتهجها في اليمن. وقد خير الناس اتخاذ الموقف الذي يناسبهم في ضوء الاعتبارات التالية:

«أيها الناس إنا نخيركم من ثلاث خصال أيتها شئتم، فخذوا لأنفسكم، رحم الله امرءاً اتخذ الخيار لنفسه»(١).

الاعتبار الأول: أن يوافقهم في خطهم السياسي وفي هذه الحالة عليه أن يكون واحداً منهم عليه ما عليهم من واجبات وله مثل حقوقهم، «على أن يجاهد معنا بنفسه فيكون له من الأجر ما لأفضلنا ومن قسم الفيء ما لبضعنا»(٢).

الاعتبار الثاني: من لا يستطيع أن يجاهد معهم فليلزم الحياد (أو أقام في داره فدعا الناس إليه بقلبه ولسانه فعلّه ألا يكون ذلك أخسر منازله»(٣).

الاعتبار الثالث: وأعطى طالب الحق أماناً للرافضين للسياسة الأباضية «أو كرهنا فليخرج بأمان إلى ماله وأهله ويكف عنا يده ولسانه، فإن ظفرنا لم يكن عرضاً لنا نفسه، ولم يعملنا على سفك دمه، وإن قتلنا كان قد كفى مؤنتنا عسى إلا يعمر بعدنا إلا قليلاً»(٤). ويتضح من خطبته هذه عدة أمور منها: أن الحركة الأباضية تسمح لبقية المسلمين بالانتماء إليها لمجاهدة السلطة الأموية بغض النظر عن اتجاهاتهم المذهبية كما يظهر من الخصلة الأولى وبهذا تختلف

---

(١) المصدر السابق. الرقيشي، مصباح الظلام، ورقة ٣٤ أ.
(٢) البلاذري، أنساب، ٨/ورقة ١١ أ. مصباح الظلام ورقة ٣٤ أ.
(٣) البلاذري، الأنساب، ٨/ورقة ١١ أ. مصباح الظلام ورقة ٣٤ أ.
(٤) البلاذري، الأنساب، ٨/ورقة ٤١ أ. مصباح الظلام ورقة ٣٤ أ. مع اختلاف في التعبير بين البلاذري والرقيشي في بعض النصوص لكن هذه النصوص تتفق في المعنى.

الحركة الأباضية عن الحركات الخارجية التي كانت لا تسمح بانضمام الغير إليها إلا بعد امتحانه[١]. ولو أن الصفرية في حركتها ضد مروان الثاني التي قادها الضحاك بن قيس الخارجي رحبت بانضمام كافة العناصر المعارضة لحكم مروان الثاني بغض النظر عن اتجاهها السياسي[٢].

كما يتضح من هذه الخطبة موقف أهل اليمن من الحركة الأباضية إذ يظهر أن هناك نسبة كبيرة من أهل اليمن كان موقفهم عدائياً من الحركة الأباضية أراد طالب الحق إقناعهم بعدم اعتراض الأباضية لئلا يبتلوا بدمائهم، كما طلب من مجموعة أخرى أن يلزموا ديارهم ويؤيدوا الأباضية تأييداً عاطفياً في الأقل[٣].

وكانت أولى الاجراءات التي قام بها عبدالله بن يحيى (طالب الحق) بعد أن استولى على الخزائن والأموال أمر بتوزيعها بين الناس بالسوية[٤]، ليؤكد لأهل اليمن عهداً جديداً قائماً على أساس العدل والمساواة دون مراعاة للاتجاهات المذهبية. ويذكر الشماخي: أن عبدالله بن مسعود وابن خيران وهما من الأباضية قد أتيا بالأموال والتي استولى عليها (طالب الحق) إلى المسجد فقسمها على فقراء صنعاء، ولم يسمح للأباضية أن يأخذوا منها شيئاً[٥]. ولعل طالب الحق أراد بإصلاحاته المالية أن يكسب عطف الطبقات الفقيرة، باليمن ويحملها على التعاطف مع الحركة الأباضية، وبسبب هذه الإصلاحات والسياسة المرنة مع أعدائه، أجمع المؤرخون كافة على حسن سيرته وسياسته ولم نجد فيهم من يطعن في عدالته[٦].

---

(١) الدجيلي، محمد رضا، فرق الأزراقة، ص ٧٩.
(٢) د. فاروق عمر، العباسيون الأوائل، ج ١، ص ٢٤٦.
(٣) البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١٠ ب.
(٤) الشماخي، السير، ص ٩٩.
(٥) المصدر السابق.
(٦) ابن خياط، تاريخ خليفة، ق ٢، ص ٥٨٣.

كما أحبه المتدينون من أهل اليمن بسبب تمسكه بالشريعة الإسلامية وقد عبر عن وجهة نظره العقائدية عندما ألقى خطبة في صنعاء أظهر فيها بأنه سيسير على الإسلام ولا يسمح بالانحراف عنه، جاء فيها: «الإسلام ديننا، ومحمد نبينا، والكعبة قبلتنا، والقرآن إمامنا ـ ثم قال ـ من زنى فهو كافر، ومن شرب الخمر فهو كافر. . .» واستمر في خطبته واعظاً أهل اليمن مبيناً ضرورة الالتزام بالإسلام والرجوع إليه ومؤازرة العلماء في ثوراتهم المتتابعة في كل وقت على أهل الضلالة والبغي. وباختصار أراد أن يشرح المبادىء التي سيسير عليها النظام الجديد[1].

أما فيما يتعلق بإشارته إلى كفر الزاني وشارب الخمر والسارق فهو لا يعني تكفير مرتكب الكبيرة، كما ذهب إليه الدكتور النعمان القاضي بالكفر المناقض للإيمان[2]، لأن الأباضية تعني بكفر المسلم كفر النعمة[3]، أي العاصي أو التارك لفرض من الفرائض أو الخارج على حد من حدود الله. ولعل طالب الحق أراد من إشارته هذه أنه سيقيم الحد على كل زاني وسارق وشارب خمرة.

ونتيجة لهذه السياسة التي اتبعها (طالب الحق) فقد أعطى البديل المناقض للأوضاع السيئة التي كانت عليها اليمن قبل الحركة فيذكر البلاذري «أنه رأى باليمن جوراً وعسفاً شديداً وسيرة في الناس قبيحة»[4]. ويصف المؤرخ نفسه الحالة بعد استيلاء طالب الحق فيذكر أنه أقام (أشهراً

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ٢٣/ ١١٤ ـ ١١٥.

(٢) د. القاضي، النعمان، الفرق الإسلامية في الشعر الأموي، (القاهرة، ١٩٧٠)، ص ٤٢٨.

(٣) الجيطالي، قناطر الخيرات.

(٤) البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١١ أ.

يحسن السيرة، لين الجانب كافاً عن الناس)[١]. ونتيجة لهذه السياسة توافدت إليه الأباضية من كل مكان فكثرت جموعه في اليمن وأحب الناس سيرته فساد الاستقرار والأمن لم يحدث ما يعكر صفو الأمن في كل أنحاء اليمن، وهذا يظهر مساندة عامة المسلمين في اليمن لهذه الحركة.

الرسائل المتبادلة بين طالب الحق وأباضية الحجاز وعمان:

إستبشر علماء الأباضية في الأمصار بقيام أول كيان سياسي للأباضية في اليمن في سنة ١٢٩ هـ. فجرت مراسلات بين هؤلاء العلماء وطالب الحق، إتسمت بطابع الوعظ والتأكيد على ضرورة الإلتزام بالإسلام والسياسة التي يجب أن يسير عليها الإمام الأباضي في حكمه، وهذه المراسلات تلقي الضوء على طبيعة المجتمع الأباضي وتصوراته للحياة الإسلامية. فقد أرسل أبرز علماء الأباضية في الحجاز أبو الحر علي بن الحصين رسالة إلى الإمام طالب الحق جاء فيها[٢].

(فالله الله يا أخي أن تعمى بعد البصر، وتضل بعد الهدى وبعد معرفة الإسلام، وبعد إخلاص طاعة الله بالتقوى، فإن أولي الألباب والنهي لم يكونوا أهل لهو ولا لعب، ولم يكونوا أهل نسيان ولا غفلة، ولا أهل راحة ولا فترة، ولا أهل تلذذ بالدنيا ومطايب عيشها، ولم يكونوا أصحاب نعيم ولا فخر، ولا أهل ابل ولا بقر، ولا أهل رغبة في مال، ولا أهل ولد إلا ما أعطاهم الله تعالى، فإن كان كثيراً أنقصوه عن أنفسهم وأثروا به أهل النفقة من خلقه، تخوفاً أن يفسدهم ذلك عن الله فيشروا ويبطروا ويمرحوا ويشغلهم ذلك عن الذي وكلوا

(١) المصدر السابق، ابن خياط، تاريخ خليفة، ق ٢/ ٥٨٣.
(٢) الجيطالي، قناطر الخيرات، ج ١ ص ٢١٣.

به والذي هم به معنيون»[1].

وإذا كان أبو الحر علي بن الحصين قد ذكر لطالب الحق سيرة السلف من الأباضية لكي يقتدي بسيرتهم، فإن العالم العماني أبا سفيان محبوب بن الرحيل استعرض في رسالته إلى (طالب الحق) أوجه الانحراف في الحكم الذي سار عليه الأمويون وقد ساعدهم على توطيد انحرافهم مجموعة من العلماء المداهنين، وفيما يلي فقرات من هذه الرسالة جاء فيها «وقديماً اتخذت الجبابرة عباد الله خولاً، ودينه دغلاً، وماله دولاً، واستحل الخمر بالنبيذ، والبخس بالزكاة. والسحت بالهدية. يأخذونها من غضب الله. وينفقونها في معاصي الله. ووجدوا على ذلك من خونة العلم أعواناً. فبهؤلاء الأعوان قامت راية الفسق في العساكر. وبهؤلاء الأعوان مشى المؤمن في طرقات الأرض بالتقية والكتمان. فهو كاليتيم المنفرد يستبد به من لا يتقى الله...»[2].

---

(١) الجيطالي، قناطر الخيرات، ج ١، ص ٢١٣.
(٢) المصدر، نفسه، ج ١، ص ١٢٨ ـ ٢٢٩.

٢ ـ امتداد الحركة الأباضية إلى الحجاز

انتشار الدعوة الأباضية في الحجاز

إنتشرت الدعوة الأباضية في الحجاز في مكة والمدينة في نطاق ضيق جداً ويعزى سبب إنحسار الدعوة في الحجاز إلى طبيعة التركيب الاجتماعي المعادي للحركة الخارجية بصورة عامة. إذ كانت طبقة الأشراف التي يتصل نسبها بقريش صاحبة التأثير الإجتماعي والسياسي والإقتصادي في الحجاز. وكان لبني أمية خاصة مركز القيادة في هذا الوقت بالذات(١). ولعل وجود الدعوة الأباضية في الحجاز يعود لتردد أئمتها على الحجاز لأداء فريضة الحج والدعوة لمبادئهم. وكان الإمام الأباضي جابر بن زيد ممن يكثرون التردد على الحجاز(٢) ويذكر الطبري: أن أبا حمزة المختار بن عوف الأزدي كان يحضر موسم الحج في كل عام مستغلاً هذا التجمع الإسلامي لغرض الدعوة للمذهب الأباضي والخروج على السلطة الأموية(٣). وبسبب نشاطه هذا اعتقله عامل

---

(١) الزبيري، أبو عبدالله مصعب بن عبدالله، نسب قريش ج ٥، (القاهرة ١٩٥٣)، ص ١٦٦.

(٢) الجيطالي، قناطر الخيرات، ج ١، ص ٩١. الدرجيني، طبقات الأباضية ١/ورقة ٩٠ ب.

(٣) الطبري، الرسل والملوك، ٣٤٨/٧. الأزدي تاريخ الموصل، ص ٧٧. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٩٧/٤. معدن بني سليم ذكره: الاصطخري يقع بين مكة والمدينة.

معدن بني سليم[١] كثير بن عبدالله وضربه سبعين سوطاً لتحريضه الناس على مروان الثاني.

وقد ظهر تنظيم سري أباضي في الحجاز برئاسة الفقيه الأباضي أبي الحر علي بن الحصين ويظهر أن الأباضية في مكة يرجحون إليه في أمرهم. كما كان يمارس التدريس بصورة سرية في يوم الإثنين والخميس[٢] وقد حذره بعض أتباعه لئلا يكتشف نشاط الدعوة (فقيل له: خشينا أن يظهر علينا. قال: أما سمعت أن الله يقول: إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون[٣].

وكان أبو الحر علي بن الحصين مثالاً للداعية الأباضي فقد سخر أمواله في خدمة الدعوة الأباضية وكانت هذه الأموال تأتيه من أملاكه في البصرة. واتخذ بيته مركزاً تجتمع فيه الأباضية في موسم الحج[٤]. وما يدرينا فلعلّه حلقة الوصل التي تربط بين مركز الدعوة في البصرة والأقاليم الأخرى في الجزيرة العربية.

وبسبب نشاطه المتزايد في الحجاز فقد أثار غضب السلطة الأموية وقد حمله مروان بن محمد مسؤولية هذا النشاط فاعتقل وقيد بجامعة من حديد[٥] وقصدوا به الشام وقد تبعتهم مجموعة من الأباضية عددهم في حدود الأربعة عشر رجلاً استطاعوا إنقاذه من الجند الأموي ورجعوا به إلى مكة في شهر ذي الحجة سنة ١٢٩ هـ[٦]. وكان أبو الحر علي بن الحصين على اتصال وثيق مع

(١) الاصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، المسالك والممالك، (القاهرة ١٩٦١)، ص ٢٨.

(٢) الشماخي، السير ص ١٠١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٨.

(٤) الدرجيني، طبقات الأباضية، ورقة ١١٥ ب.

(٥) المصدر نفسه، ورقة ١١٣ أ. الجامعة وسيلة من وسائل الاعتقالات مصنوعة من الحديد تمنع الأسير المقيد بها من الفرار.

(٦) الدرجيني، الطبقات ١/ورقة ١١٢ ب ١١٣ أ. ـ الشماخي، السيرة، ص ١٠٠.

الأباضية في اليمن كما كان على علم بقدوم أبي حمزة المختار بن عوف الأزدي للاستيلاء على الحجاز. وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على التنسيق المنظم بين الخلايا السرية في الحركة الأباضية.

الاستيلاء على الحجاز ١٢٩ هـ/٧٤٧ م:

لم تكن الحركة الأباضية التي قادها الإمام عبدالله بن يحيى الكندي (طالب الحق) حركة إقليمية أو قبلية تستهدف الاستيلاء على اليمن[١]. كما أنها لم تكن حركة إصلاحية تستهدف تغيير الأوضاع الاقتصادية والسياسية الفاسدة. وإنما كان هدفها إقامة (الإمامة الكبرى) ثم توحيد العالم الإسلامي تحت سلطة أباضية. ولما كان الطريق الموصل لإقامة هذه الإمامة لا بد أن يمر بالقضاء على الأمويين. فقد وجه الإمام الأباضي في اليمن عبدالله بن يحيى الكندي (طالب الحق) حملة عسكرية في سنة ١١٩ هـ/ ٧٤٧ م. الهدف منها[٢] الاستيلاء على الحجاز وأعطى قيادة هذه الحملة لقائده أبي حمزة المختار بن عوف الأزدي وأمره أن يقيم في الحجاز ويوجه بلج بن عقبة الأزدي إلى الشام لمحاربة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية[٣].

---

(١) الدرجيني، الطبقات ١/ ورقة١١٣ أ.

(٢) البكري، صلاح، تاريخ حضرموت السياسي، (القاهرة ١٩٥٦).
يصور صلاح البكري الحركة الأباضية في اليمن سنة ١٢٩ هـ/٧٤٧ م وكأنها حركة قبلية كقبيلة كندة اليمانية التي بايعت زعيمها عبدالله بن يحيى الكندي بالخلافة، وواقع الحال إن الذين قادوا الثورة كانوا من قبائل شتى ومناطق متعددة ثم إن هذه الحركة كانت نتيجة الجهود التي بذلها الدعاة الأباضية بالتعاون مع أباضية البصرة وقد عبر أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي عن طبيعة الثورة بقوله: «سمعنا منادياً ينادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فأجبنا داعي الله فأقبلنا من قبائل شتى، قليلين مستضعفين في الأرض.
ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، ج ٢، (القاهرة ١٩٥٢) ص ٢٠٠.

(٣) البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١١ ب. ـ الأغاني/٢٣/ ١١٥. ـ ابن منقذ، أسامة بن =

وبهذا الصدد لا بد من الإشارة إلى اختلاف المؤرخين المحدثين وتقييمهم للدور الذي قام به أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي في حركة الحجاز سنة ١٢٩ هـ/ ٧٤٧ م.

فقد أشار المؤلف الحجازي أحمد السباعي أن أبا حمزة المختار بن عوف من شيعة علي(ع) وأصله من حضرموت وعلى هذا تكون هذه الحركة علوية الاتجاه ولا تذكر المصادر التاريخية المتقدمة والمتأخـــرة أو شيء من هـذا القبيل[١].

أما أحمد الشايب فقد أكد على شخصية أبي حمزة المختار بن عوف واعتبره الرائد الأول لهذه الحركة الأباضية في حين أعطى لعبدالله بن يحيى الكندي دوراً ثانوياً فيها، ويرى أن أبا حمزة الخارجي هو الذي ضم إلى حركته عبدالله بن يحيى الكندي (طالب الحق) وذهب به إلى حضرموت وبايعه على الخلافة، وحمله على قتال مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية[٢].

أما الدكتور حسن إبراهيم حسن فمعلوماته مرتبكة عن الحركة الأباضية في سنة ١٢٩ هـ، كما يرى أن سبب الثورة هو اللقاء الذي جمع بين طالب الحق وأبي حمزة المختار بن عوف في الحجاز سنة ١٢٨ هـ، وبخطأ في تفسير رواية موسى بن كثير مولى الساعدين التي أوردها الطبري وأخذها عنه الأزدي في كتابه (التاريخ الموصل)[٣] فيما يتعلق بمبايعة أبي حمزة بالخلافة لطالب الحق فالدكتور حسن إبراهيم حسن يرى أن أبا حمزة قال لطالب الحق: «اسمع كلاماً

= مرشد بن علي» مخطوطة مصورة، نشرها أنس خالدوف (موسكو ١٩٦١) ورقة ٢٤٠ ب.

(١) السباعي، أحمد، تاريخ مكة، ج ١ (مكة ١٣٨٥) ص ٩٨.

(٢) الشايب، أحمد، تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني (القاهرة ١٩٧٠) ص ١٧٥.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ٣٤٨/٧. الأزدي، تاريخ الموصل ص ٧٧.

حسناً، إني أراك تدعو إلى حق، فانطلق معي فإني رجل مطاع في قومي» وهذا النص كما قاله عبدالله بن يحيى لأبي حمزة وليس كما ذهب الأستاذ حسن إبراهيم حسن[١].

ويرى الدكتور إبراهيم حين يتكلم عن الأباضية أن عبدالله بن أباض خرج «في أيام مروان بن محمد بعد أن قضى الأمويون على الخوارج أو كادوا». «وبعد أن كان اليأس يدب إلى الأحزاب»[٢]. وعلى هذا فبعدالله بن أباض الذي تنسب إليه الفرقة الأباضية قد اشترك في الحركة التي قادها أبو حمزة وطالب الحق. وهذا خطأ تاريخي وقع فيه الدكتور حسن لاعتماده على كتب الفرق الإسلامية فقط حيث تشيع فيها مثل هذه الأخطاء[٣] لأن ابن أباض توفي قبل هذا الوقت بكثير في خلافة عبد الملك بن مروان[٤].

ويذهب الدكتور إبراهيم الشريقي إلى القول بأن عبدالله بن يحيى الكندي وجماعته في اليمن قد بايعوا أبا حمزة المختار بن عوف بالخلافة، وهذا يخالف ما ورد في المصادر الإسلامية التي أجمعت على مبايعة أبي حمزة لعبدالله بن يحيى الكندي بالخلافة وكذلك اعتبر صالح الحامد المؤلف الحضرمي أبا حمزة المختار بن عوف عمود الثورة، وجعل هذه الحركة أول تسرب المذهب الأباضي إلى حضرموت[٥].

أما الدكتور النعمان القاضي فيرى «في ارتفاع شأن الأباضية بوجه خاص

---

(١) د. حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي. (القاهرة ١٩٦١) ١/ ٣٨٧.

(٢) المصدر نفسه ١/ ٣٩٢.

(٣) الشهرستاني، الملل والنحل (المكتبة الأنجلو مصرية. لا ت.)، ١/ ١٨٠ المقريزي، الخطط المقريزية ٢/ ٣٥٥.

(٤) الأزكوي، كشف الغمة ورقة ٢٤٤ ب.

(٥) الحامد، صالح، تاريخ حضرموت (بيروت ١٩٦٨) ١/ ٢٠٦ يراجع الجذور التاريخية للدعوة الأباضية في اليمن وحضرموت.

إلى داعيتها وخطيبها وقائد جندها الفذ أبي حمزة الشاري الذي كان في الواقع أهم من عبدالله بن يحيى نفسه. . . »[1].

في حين ذهب الدكتور فاروق عمر إلى القول بتحالف أبي حمزة المختار وعبدالله بن يحيى الكندي (طالب الحق) وتمركز أبي حمزة في اليمن وحضرموت[2].

وبعد هذا الاستعراض الموجز لآراء بعض المؤرخين والكتاب المحدثين يمكن تلخيص آرائهم في قسمين:

القسم الأول: يرى أن أبا حمزة الزعيم الأول للحركة في حين كان عبدالله بن يحيى الكندي موجهاً من قبل أبي حمزة.

القسم الثاني: ممن يرى أن أبا حمزة وعبدالله بن يحيى الكندي قد تحالفا من أجل انجاح الحركة الخارجية ومع ذلك يعطي دوراً رئيساً لأبي حمزة في هذه الحركة.

إن أغلب الدراسات التي كتبت في هذه الصدد تعوزها الدقة والإحاطة لأنها اقتصرت على رواية واحدة لموسى بن كثير مولى الساعديين التي رواها الطبري[3]، وذلك لأن روايات تاريخية أخرى لم يتيسر للباحثين الاطلاع عليها تؤكد أن أبا حمزة المختار بن عوف الأزدي لم يكن إلا قائداً من قواد الحملة التي استولت على الحجاز وكان يتلقى أوامره من عبدالله بن يحيى الكندي (طالب الحق) ويتفق خليفة بن خياط والبلاذري أن طالب الحق وجه أبا حمزة بن المختار بن عوف الأزدي بجيش إلى مكة وأمره أن يقيم

(١) د القاضي، النعمان، الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ص ٤٢٨.
(٢) د عمر فاروق، العباسيون الأوائل (بيروت ١٩٧٠) ١/ ٢٤١ الراوي، ثابت إسماعيل، تاريخ الدولة العربية، خلافة الراشدين والأمويين (بغداد، ١٩٧٠) ٢/ ٢٣٠.
(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣٤٨/٧، ـ الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٧٧.

فيها[١]، كما أمره أن يوجه بلج بن عقبة إلى الشام بعد الاستيلاء على الحجاز[٢]، ويؤكد المسعودي أن أبا حمزة المسعودي أن أبا حمزة المختار بن عوف الأزدي وبلج بن عقبة الأزدي، «وهما فيمن معهما يدعون إلى عبدالله بن يحيى الكندي، وكان قد سمى نفسه بطالب الحق، وخوطب بأمير المؤمنين وكان أباضي المذهب من رؤساء الخوارج[٣]، ويتضح من هذا النص أن أبا حمزة المختار بن عوف الأزدي كان يدعو إلى إمامة عبدالله بن يحيى الكندي في اليمن، كما لا تذكر مصادرنا المتقدمة أن هناك تحالفاً بين طالب الحق وأبي حمزة المختار بن عوف الأزدي لم يكن له دور يذكر في معارك اليمن وحضرموت.

إن الذي أغرى المؤرخين المحدثين في تقييمهم هذا لشخصية أبي حمزة لما تمتع به من إسلوب خطابي فذ ومقدرة على عرض أفكاره في خطبه البليغة التي ألقاها في مكة والمدينة، ولأنه قاد الأباضية التي استولت على الحجاز مع ما للحجاز من قدسية وأهمية من الناحية الروحية في نفوس المؤرخين الرواد الذين سلطوا الأضواء على شخصية أبي حمزة أكثر ما سلطوها على شخصية طالب الحق.

الاستيلاء على مكة:

وصل الشراة الأباضية إلى مكة المكرمة في الثامن من شهر ذي الحجة في سنة ١٢٨ هـ/ ٧٤٦ م، يقودهم أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي في جيش

(١) ابن خياط، تاريخ خليفة، ق ٣ ص ٥٨٣. ـ البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١١ ب.
(٢) البلاذري؛ أنساب، ٨ ورقة ٦١ ب.
(٣) المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب، (القاهرة، ٩٥٨)، ٣/ ٢٥٧.

يتراوح تعداده ما بين سبعمائة[١] إلى ألف ومائة[٢]، وينفرد خليفة بن خياط فيقدر عدد هذا الجيش بعشرة آلاف أباضي[٣]، وقد سلكوا طريق الطائف المؤدي إلى مكة[٤]، ودخلوها من جبل عرفة في الوقت الذي كانت الناس مجتمعة تؤدي الشعائر على جبل عرفات[٥].

وكان اختيارهم لموسم الحج اختياراً موفقاً لدخول مكة، إذ سيمكنهم من ناحية دعائية في عرض أفكار وأهداف الحركة السياسية التي انطلقت من اليمن لتقضي على الخلافة الأموية، لا سيما وأن الحجاج قد اجتمعوا من كافة الأقاليم الإسلامية. ومن ناحية أخرى سوف لا يمكنون عبد الواحد بن سليمان عبد الملك والي الحجاز لمروان بن محمد من الاستعداد لحربهم إلا بعد الاستيلاء على مكة وبذلك سوف يحرم من القوة البشرية والاقتصادية في مدينة مكة وتجنيدها لحرب الأباضية. ولهذا كان موقف عبد الواحد بن سليمان ضعيفاً جداً من الناحية العسكرية، فعقدا اتفاقاً بينه وبين أبي حمزة المختار بن عوف الأزدي، وقد توسط بين الطرفين مجموعة من أحفاد الصحابة ترأسهم عبدالله بن حسن بن علي بن أبي طالب، وأمية بن عبدالله بن عمر بن عثمان، وعبد العزيز بن عبدالله بن عمر بن الخطاب وسألوا أبا حمزة بالكف عن الحرب حتى ينتهي الناس من أداء مناسك الحج[٦]، على أن يترك عبد الواحد بن

---

(١) الطبري التاريخ ٧/ ٣٦٥. الأزدي تاريخ الموصل ص ١٠٢.
(٢) البلاذري أنساب ٨/ ١١ ب ـ الأصفهاني، الأغاني ٢٣/ ١١٥.
(٣) ابن خياط، تاريخ خليفة ق ٢/ ٥٨٣. (وعدد الجيش الذي ذكره خليفة ثمانية أضعاف الجيش الأباضي تقريباً. إذ إن أبا حمزة لم يستطع أن يجند لمعركة وادي القرى ـ كما سنرى ـ إلا ستمائة أباضي. البلاذري. أنساب ٨/ ورقة ١ ب ـ ويظهر صغر عدد الجيش الأباضي أن الناس قالوا لعبد الواحد بن سليمان: «لو حملت عليهم الحاج ما كانوا إلا أكلة رأس». الأغاني، ٢٣/ ١١٧.
(٤) الزبيري، كتاب نسب قريش ٥/ ١٦٦.
(٥) الطبري ٧/ ٣٧٥.
(٦) الزبيري كتاب نسب قريش ٥/ ١٦٦.

سليمان. لأبي حمزة بعد الانتهاء من أداء مناسك الحج فقبل أبو حمزة هذا الاتفاق[١]. فوقف وشيعته معرفة[٢]، في حين تجمع عبد الواحد في منطقة منى ليؤم كل منهما جماعته[٣] وقد تم ذلك فعلاً بعد الحج مباشرة حيث غادر عبد الواحد مكة في العاشر من ذي الحجة ليدخلها أبو حمزة بدون قتال يذكر[٤]. وكان لا بد لأبي حمزة أن يعرض مبادىء الحركة الأباضية ككل الحركات التي تبدأ بدايات جديدة في الحكم ولهذا الغرض ألقى أبو حمزة خطبته البليغة التي خلدت ذكره كواحد من أبرز خطباء العصر.

وقد استعرض أبو حمزة فيها لأهل مكة عقائد الأباضية ونظراتهم في السياسة والحكم الأموي القائم. وقد ابتدأها بحمد الله والثناء عليه ثم قال: «أيها الناس أن رسول الله ﷺ كان لا يتأخر ولا يتقدم إلا بإذن الله وأمره ووحيه، أنزل الله له كتاباً بين له فيه ما يأتي وما يتقي[٥] وبعد ذكره لسيرة الرسول، أعطى تقييماً لحكومة الخلفاء الراشدين مستعرضاً سيرتهم استعراضاً موجزاً فقال بصحة خلافة أبي بكر وعمر بن الخطاب وترحم عليهما كما أكد صحة خلافة عثمان في الست سنوات الأولى من خلافته «ثم سار في الست الأواخر بما أحبط به الأوائل»[٦].

أما تقييمه لحكم الإمام علي «فكان على سداد حتى حكم في كتاب الله

---

(١) البلاذري، أنساب ٨/ ١١ ب.
(٢) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. مخطوطة بمكتبة الإمام الحكيم برقم ٩٦، ٧/ ورقة ١٦ ب.
(٣) الزبيري، نسب قريش ٥/ ١٦٦.
(٤) المصدر السابق نفسه البلاذري ٨/ ١١ ب.
(٥) الجاحظ، البيان والتبيين (القاهرة ١٩٤٨) ٢/ ١٢٢.
(٦) المصدر نفسه ص ١٢٣، البلاذري ٨/ ١١ أ ـ الدينوري أبو محمد، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار، (القاهرة، ١٩٦٣) مج ٥ ص ٢٤٩.

وشك في دينه»(١).

ثم ابتدأ بالحكام الأمويين وأشار إلى معاوية الذي «اتخذ عباد الله خولاً ومال الله دولاً ثم مضى لسبيله ناكباً عن الحق مداهناً في الدين» ثم سلط لعناته على معاوية وابنه يزيد «الذي لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً. . .» وبعد أن سلط أحكامه على آل سفيان انتقل إلى الفرع الثاني من العائلة الأموية وهو الفرع المرواني مبتدءاً بعبد الملك بن مروان الذي اتخذ الحجاج إماماً له في النار وسار على نفس النسق معدداً مثالب بقية الخلفاء الأمويين وانحرافاتهم عن الشريعة الإسلامية ضارباً مثلاً لكل واحد منهم، وخاصة فيما يتعلق بالجانب الاقتصادي وسوء التوزيع، فهم «يأخذون الصدقة من غير موضعها ويجعلونها في غير أهلها)(٢).

وطرق مسامع أبي حمزة سخرية أهل مكة واستهزائهم بجيشه الفتي الذي يتكون أغلبه من العناصر الشابة، فأشار في خطبته هذه إلى سخريتهم فقال: «يا أهل مكة إن تعيروني أصحابي وتزعمون أنهم شباب»(٣)، ولما كان رسول الله ﷺ هو الأسوة والقدوة للمسلمين فردّ أبو حمزة على المكيين متسائلاً: «وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شباباً؟. . .»(٤) ولكنهم «شباب مكتهلون في شبابهم، غضيضة من الشر أعينهم، بطيئة عن الباطل أرجلهم»(٥) واسترسل في خطبته هذه واصفاً جيشه الشباب بأحسن النعوت العقائدية.

(١) البلاذري، الأنساب ٨/ ورقة ١١ أ.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) ابن خياط، تاريخ خليفة ق ٦٢/ ٥٨٤. الجاحظ. البيان والتبيين. ٢/ ١٢٤.
(٤) ابن خياط، تاريخ خليفة، ق ٢/ ٥٨٤ ـ الجاحظ، البيان والتبيين، ٢/ ١٣٥. ـ البلاذري، أنساب، ٨/ ١١ أ.
(٥) البيان والتبيين، ٢/ ١٢٥.

إن للشباب الذين انضموا إلى هذا الجيش وحداثة أعمارهم يظهر أن الدعوة الأباضية جذبت الطاقات الشابة إلى حضيرتها لتحقيق المبادىء والأهداف التي تروم تحقيقها، مستفيدة من حيوية الشباب وعاطفته الوقادة في التحمس للمثل العليا التي يدعون لها.

وقد أكد عمرو بن الحصين في رثائه لشهداء الأباضية طبيعة تكوين الجيش الأباضي من العناصر الشابة فقال: مادحاً ورائياً:

فــي فتيــة صبــروا نفــوسهــم　　للمشــرفيــة والقنــا السمــر[1]

وأنهى أبو حمزة خطبته بالبكاء على شهداء الحركة الأباضية والترحم عليهم[2].

أما الشيء المهم في هذه الخطبة فهو تهديد أبو حمزة لأهل مكة الذين وقفوا منه عدائياً[3]، وهذا الموقف سيضعفه بلا شك من الناحية العسكرية لأن تأييد الأهالي عامل مهم من عوامل الانتصار فأصبح وجود ابو حمزة والأباضية في الحجاز في موضع حرج من الناحية الاقتصادية والعسكرية فمن العسير عليه الحصول على تموين لأتباعه من محيط معادي.

وبرغم الموقف العدائي لأهل مكة فإن السياسة الأباضية اتخذت موقفاً ودياً من أجل التقرب إليهم فقد نادى منادياً لأبي حمزة لمدة أربعة أيام معلناً الأمان لكل الناس باستثناء المحاربين، وهذا الموقف يذكرنا بموقف طالب الحق من أهل صنعاء وتسامحه معهم.

---

(١) الأصفهاني، الأغاني، ٢٣/١٤٨.
(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ٢/ ١٢٥. ـ البلاذري، أنساب، ٨/ ١١ أ.
(٣) ابن خياط وتاريخ خليفة، ق ٢/ ٥٨٤. ـ البلاذري، أنساب ٨/ ١١ ب.

الاستيلاء على الطائف:

بعد أن استقر أبو حمزة في مكة وجه مجموعة من أتباعه للاستيلاء على الطائف، ولما علم أهل الطائف بقدومه تركوها وأخرجوا النسوة لاستقبال الشراة الأباضية، وقد أعطى القائد الذي بعثه أبو حمزة الأمان لنسوة الطائف فرجع إليها الرجال بعد إعطاء الأمان[١]، ولا تشير المصادر التاريخية إلى تفصيلات أخرى فيما يتعلق بموقف الطائف المسالم لأبي حمزة.

ومن المحتمل جداً أن الطائف استسلمت للأباضية، بعد أن أدركت عدم جدوى لمقاومة، بعد هروب والي الحجاز عبد الواحد بن سليمان إلى المدينة[٢]. غير أن القرشيين الذين تجمعوا في المدينة لمقاومة أبي حمزة استنكروا استسلام أهل الطائف له واعتبروا هذا الموقف خيانة لهم، وقال بعضهم: «لو شاء أهل الطائف لكفونا من هذه المقارنة، ولكنهم دهنوا، أما والله لئن ظفرنا لنسبيّن أهل الطائف، من يشتري مني سبي أهل الطائف»[٣].

إن دخول الطائف في حوزة الأباضية ساعد أبا حمزة في أن يوجه قواته القليلة العدد لحرب القرشيين الموالين للسلطة الأموية المجتمعين في المدينة المنورة.

ومن خلال هذا العرض يتضح لنا التمزق وعدم الوحدة في موقف الحجاز تجاه أبي حمزة المختار بن عوف الأزدي، ويوضح لنا السهولة التي استطاع فيها أبو حمزة الاستيلاء على مدن الحجاز الرئيسية.

---

(١) البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١١ ب.
(٢) ابن خياط، تاريخ خليفة، ق ٢/ ٥٨٣. ـ اليعقوبي، تاريخ ص ٨٠.
(٣) البلاذري، ٨/ ١١ ب، ـ مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ٣/ ١٦٧.

معركة قديد والإستيلاء على المدينة ١٣٠ هـ/٧٤٧ م:

بعد استيلاء أبي حمزة على مكة، تركها والي الحجاز عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بعد أن أدرك ضعف قدراته العسكرية عن مواجهة أبي حمزة المختار في مكة، فذهب إلى المدينة ودعا بالديوان الذي يسجل فيه أسماء المقاتلة وزاد في اعطائهم لتشجيعهم على قتال الأباضية في مكة[١]. وجهز لهذا الغرض حملة عسكرية عدد أفرادها حوالي ثمانية آلاف مقاتل وأعطى قيادتها لعبد العزيز بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وسارت هذه الحملة باتجاه مكة لطرد الأباضية عنها[٢].

وحالما علم أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي بمسيرهم إلى مكة فضّل أن يلاقيهم خارج مكة لكي لا يعطى لأهلها مجالاً للتحرك والوقوف إلى جانب القوات القادمة من المدينة.

ولهذا الغرض استخلف أبو حمزة على مكة أبرهة بن شرحبيل بن الصباح الحميري[٣]. وسار لملاقاة الجيش الأموي القادم من المدينة، وكان جيشه مؤلفاً من الأباضية القادمين من اليمن مع أباضية الحجاز من قبيلة خزاعة التي انضم منها نحو أربعمائة أباضي إلى جيش أبي حمزة[٤]، كما اشتركت مجموعة صغيرة من أباضية الموصل في جيشه الزاحف على المدينة[٥]، إضافة إلى

---

(١) الزبيري، نسب قريش، ٧/ ٢٥٠. ـ اليعقوبي، تاريخ، ٣/ ٨٠. ـ الطبري، الرسل والملوك، ٧/ ٢٩٤.

(٢) الطبري، الرسل والملوك، ٧/ ٣٩٥.

(٣) البلاذري، أنساب، ٨ ورقة/ ١١ ب.

(٤) الدرجيني، طبقات الأباضية ١ ورقة/١١٣ ب. (ويؤكد رواية الدرجيني رواية اليعقوبي التي تشير إلى اتهام القرشيين القبيلة خزاعة بالخيانة لهم في معركة قديد. اليعقوبي، التاريخ، ٣/ ٨٠.

(٥) الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٨٠.

مجموعة من القرشيين للمذهب الأباضي، وكان أبو بكر محمد بن عبدالله بن عمر القرشي قائداً من قواد أبي حمزة في معركة قديد، إذ ترأس إحدى الطوائف الثلاث التي تكوّن منها الجيش الأباضي[1]، في حين قاد الطائفة الأخرى أبو حمزة المختار بن عوف وترأس الثالثة بلج بن عقبة الأزدي[2].

لقد أضفت العقيدة الأباضية وحدة من الترابط والانسجام على الجيش الأباضي، الذي اجتمع من عدة قبائل، في حين كان جيش المدينة يتألف من عناصر متنافرة من القرشيين والأنصار ومجموعات أخرى من عدة قبائل[3].

التقى الجيشان في قرية قديد الواقعة بين المدينة ومكة وقد وصلها أهل المدينة ليلاً واستحوذوا على حياض المياه فيها، ولعلهم أرادوا منع الأباضية من الاستفادة منها وقطع المياه عنهم[4]. وفي صباح السابع أو التاسع من صفر يوم الخميس سنة ١٣٠ هـ وصلت قوات أبي حمزة إلى قديد[5].

وكعادة الأباضية في كل معاركهم أرسل أبو حمزة المختار بن عوف بلج بن عقبة الأزدي إلى أهل المدينة وأوضح لهم الغاية من حملتهم العسكرية بأنها لا تستهدف الحرب معهم بقدر ما تؤكد على إزالة السلطة الأموية في الشام[6]، وقال لهم: «لا تجعلوا حدادنا بكم فإننا لا نريد قتالكم»، ولكنهم

---

(١) الزبيري، نسب قريش، ١٠/٣٦٨. ـ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، جمهرة أنساب العرب، (القاهرة، ١٩٧١) ١/ ٥٠.

(٢) البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١١ ب.

(٣) المصدر السابق، ـ الطبري، الرسل والملوك ٧/ ٣٩٣.

(٤) الطبري، الرسل والملوك ٧/ ٣٩٣.

(٥) ابن خياط وتاريخ خليفة، ق ٢/ ٥٩٢. ـ الطبري، الرسل والملوك، ٨/ ٣٩٥. ـ الأزدي، تاريخ الموصل ص ١٠٨. ـ يشير البلاذري وصاحب كتاب العيون والحدائق أن المعركة وقعت في ٢١ ـ ٢٣ صفر يوم الخميس. البلاذري، أنساب ٨/ ورقة ١١ ب. مؤلف مجهول، العيون والحدائق ٣/ ١٦٨.

(٦) البلاذري، أنساب ٨/ ورقة ١١ ب. الطبري، الرسل والملوك، ٧/ ٣٩٥ الأغاني، =

استهانوا بما قدمه القائد الأباضي وأصروا على قتالهم وكالوا لهم الشتائم ووصفوهم بالمفسدين فأثاروا الأباضية، فقالوا للقرشيين: «يا أعداء الله نحن نفسد في الأرض وإنما خرجنا لنكف الفساد ومقاتلة الذين استأثروا بالفيء عليكم»(١). ولم يفلح بلج بن عقبة باقناعهم بالعدول عن الحرب رغم كل الحجج التي قدمها لهم(٢).

ومن سوء طالع أهل المدينة أن حفيد الخليفة عثمان كان قائداً لهم في هذه المعركة، وقد أثار قبيل بداية الحرب مسألة من الأسس التي يبنى عليها الأباضية نظراتهم في الخلافة الإسلامية، فسأل الأباضية عن رأيهم في الخليفة عثمان، فرد عليه بلج بن عقبة: «قد بريء منه المسلمون قبلي وأنا متبع آثارهم...». فقال له عبد العزيز بن عبدالله بن عمر بن عثمان. «فارجع إلى أصحابك فليس بيننا إلا السيف»(٣). وكانت هذه المحاورة إيذاناً ببدء القتال، وأخبر بلج بن عقبة قائده بموقف القائد الأموي وإصراره على الحرب، فأمر أبو حمزة الأباضية بالكف عن القتال حتى يبدأ الجانب الأموي.

ولم ينتظر الأمويون طويلاً فأرسلوا سهامهم إلى معسكر أبي حمزة فأمر أبو حمزة الأباضية فحملوا عليهم وهزموهم حيث تراجعوا في أثرها إلى المدينة بعد أن خلفوا جرحاهم في ميدان المعركة(٤)، وأشار قواد أبي حمزة والفقيه الأباضي علي بن الحصين بالإجهاز على الجرحى ومطاردة الهاربين ولكن أبا حمزة منع الأباضية من مطاردتهم(٥)، لأن الأباضية لا تجوّز الإجهاز على

= ٢٣/ ١٢٣. الدرجيني، طبقات الأباضية، ١/ ورقة ١١٣ ب.

(١) البلاذري: أنساب ٨/ ورقة ١١ ب. الأغاني، ٢٣/ ١٢٣. العيون والحدائق، ٣/ ١٦٨.

(٢) البلاذري، أنساب ٨/ ورقة ١١ ب. الطبري، الرسل والملوك، ٧/ ٣٩٥.

(٣) البلاذري، أنساب ٨/ ورقة ١١ ب. العيون والحدائق، ٣/ ١٦٨ ـ ١٦٩.

(٤) البلاذري، أنساب ٨/ ورقة ١١ ب. الأغاني، ٢٣/ ١٢٣ العيون والحدائق، ٣/ ١٦٩.

(٥) ابن خياط، تاريخ خليفة، ٢/ ٥٩٢ ـ ٥٩٣.

الجريح ومطاردة الهارب من الحرب[1]. وقد أغرى هذا الموقف أهل المدينة فرجعوا لمقاتلة الأباضية فأوقع بهم أبو حمزة وجنده قتلاً وأسراً وانجلت المعركة لصالح الأباضية بعد أن خلف أهل المدينة قائدهم صريعاً في ميدان المعركة[2]، مع ثلاثمائة قرشي وثمانين أنصارياً وألف وسبعمائة قتيل من القبائل والموالي[3]. وفي رواية للطبري أن عدد القتلى في هذه المعركة سبعمائة قتيل[4] ولم يترك أبو حمزة أسراه هذه المرة دون عقاب، ويظهر أنه حمل القرشيين مسؤولية الحرب فقتل كل أسير قرشي وأخلى سبيل الأنصار وغيرهم[5].

وبهذا نفسر كثرة القتلى من القرشيين في هذه المعركة، ومما زاد في قسوته عليهم باعتبارهم ممثلي النظرية التي تقول بحصر الخلافة في قريش المناقضة تماماً لرأي الأباضية في الخلافة.

وعند دراسة قوائم القتلى التي ذكرها المؤرخون في موقعة قديد يتضح أن القوة والنفوذ في المدينة آنذاك كانت بيد الأمويين والزبيريين بالدرجة الأولى[6].

---

(١) الجيطالي، شرح قواعد الإسلام، ورقة ٣٥ ب.

(٢) الزبيري، نسب قريش، ٤/ ١١٤. اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ٨٠. الطبري، الرسل والملوك، ٧/ ٣٩٥. ويشير خليفة بن خياط والبلاذري إلى هروب عبد العزيز بن عبدالله بن عمر بن عثمان من المعركة. تاريخ خليفة ق ٢/ ٥٩٤ البلاذري، أنساب ٨/ ورقة ١١ ب.

(٣) البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١١ ب. الأغاني، ٢٣/ ١٢٥.

(٤) الطبري، الرسل والملوك، ٧/٣٩٨.

(٥) البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١١ب.

(٦) انظر، الزبيري، نسب قريش، ج ٤/ ١١٤، ج ١٠/ ٣٩٧، ج ٧/ ٢١٧، ٢٥٠. ـ ابن خياط، تاريخ خليفة، ق ٢/ ٥٩٤. ـ ابن بكار، الزبير، جمهرة نسب قريش وأخبارها، ج ١٥، (القاهرة، ١٣٨١ هـ)، ص ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٦٠، ٤٦١. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ج ١، ص ٧٢، ٨٥، ١١٦، ١١٧.
الأزدي، تاريخ الموصل، ص ١٠٩.

ولم يشترك العلويون أو العباسيون مع القوات الأموية في هذه المعركة، لأنهم كانوا يمثلون الحركة المعارضة للحكم الأموي إلى جانب الحركة الخارجية. ولكل من العلويين والعباسيين تنظيماتهم الخاصة في هذه الحقبة، ومن مصلحتهم أن تنهك الأباضية قوى الخلافة الأموية، لا سيما وإن الثورة العباسية في خراسان كانت قد بدأت بعملياتها العسكرية في ٢٥ رمضان سنة ١٢٩ هـ/ ٧٤٧ م، وبدأت في عام ١٣٠ هـ وهو عام معركة قديد تفرض سيطرتها على خراسان[١]. ولهذا خلت قوائم القتلى في قديد من أسماء العلويين والعباسيين.

وتشير الرواية الأباضية عن أبي سفيان محبوب بن الرحيل إلى وجود اتصالات سرية بين عبدالله بن الحسن المحض وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة. مسألة فيها مساعدة الأباضية إلا أن أبا عبيدة مسلم لم يوافق على هذا العرض وقال لمشاوريه: «فإن أراد الدين كما يزعم فليحلق بصاحبنا بحضرموت عبدالله بن يحيى فليقاتل بين يديه حتى يموت»[٢].

ونستطيع القول إن طبيعة الصراع في هذه المعركة كان بالدرجة الأولى بين السلطة الأموية في الحجاز ومن يواليها من القرشيين والرافضين لسيطرة الأباضية على الحجاز جمعتهم المصلحة السياسية والخوف من انتشار تعاليم ومبادىء الخوارج التي تهدد نفوذهم بصورة عامة.

أما الأسباب التي أدت إلى انتصار الأباضية في قديد، فقد استطاع أبو حمزة المختار بن عوف الانتصار على الوالي الأموي عبد العزيز عمر بن عثمان رغم قلة الجيش الذي كان معه ولم يكن يتجاوز الألف مقاتل[٣] من الانتصار

---

(١) د. عمر فاروق، طبيعة الدعوة العباسية، ص ١٧٤، ١٨٨.
(٢) الشماخي، السير، ٨٣، ٨٤.
(٣) الدرجيني، طبقات الأباضية، ١/ ورقة ١١٣ ب.

على الوالي الأموي وقتل ما يقارب ما بين السبعمائة إلى الألفين[١] رجل، وقد ساعدت أبا حمزة عوامل عديدة على انتصاره منها.

العامل الأول: كان لتركيب الجيش الذي قاده القرشيون له أبلغ الأثر في انتصار الأباضية في قديد، فلم يكونوا أهل حرب وخبرة[٢] عسكرية، ومن جهة جمعتهم المصالح الاقتصادية وخاصة التجار القرشيين وغيرهم الذين كونوا نسبة كبيرة من هذا الجيش المتفكك الأوصال، وكان للغرور والغطرسة والترف والشعور بالاستعلاء المتوارث[٣]، والإحساس بالانتماء إلى طبقة الأشراف القرشية التي استحكمت في حياة المدينة السياسية في هذه المدة، أثراً في هزيمتهم في هذه المعركة. في حين كان أغلب جيش أبي حمزة ممن قد مارس القتال في معارك اليمن.

وكانت الفرقة والتحاسد بين القرشيين في هذا الجيش على أشدها وخاصة بين الأمويين وآل الزبير[٤]، كما كان هناك صراعاً بين اليمانيين والقرشيين[٥] وصراعاً بين الأنصار والقرشيين، ويتضح من خلال هذا العرض أن جيش المدينة البالغ ثمانية آلاف، واجه الأباضية بمعدويات ضئيلة ولم تكن هناك رابطة تربط بين هذه الجيش الممزق قلبياً، وكانت مصالحه متضاربة وليس له هدف واضح يقاتل من أجله ولهذا حلت به الهزيمة، وعلى النقيض من ذلك كان الجيش الأباضي يقاتل من أجل إمامة إسلامية[٦] ويدعو إلى إمامة طالب الحق في اليمن[٧].

---

(١) البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١١ ب. الطبري، الرسل والملوك، ٧/ ٣٩٨.
(٢) الطبري، ٧/ ٣٩٣.
(٣) الأغاني، ٢٣/ ١٢١.
(٤) البلاذري، أنساب، ٨/ورقة ١١ ب.
(٥) الطبري، الرسل والملوك، ٧/ ٣٩٣. مؤلف مجهول، العيون والحدائق ٣/ ١٦٩.
(٦) البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١١ ب.
(٧) الدرجيني، طبقات الأباضية، ١/ ورقة ١١٣ ب.

ومن العوامل التي ساعدت أبا حمزة في الانتصار على الأمويين في قديد انضمام الدعاة الأباضية في الحجاز إلى قواته التي اشتركت في معركة قديد فقد انضم من خزاعة وحدها ما يقارب الأربعمائة رجلاً[1]، كما نصب أبو حمزة مسؤولاً على شرطته أحد القرشيين وهو أبو بكر محمد بن عبدالله بن قرط مع بني عدي بن كعب[2]، ولعل أبا حمزة قد اختاره لهذا المركز لخبرته باعتباره أحد أبناء الحجاز كما يستطيع فهم المشاكل الداخلية للمجتمع الحجازي وليشجع العديد من أهل الحجاز بالانضمام إلى الحركة الأباضية.

ومن جهة أخرى كان لظهور أبي حمزة المفاجىء في موسم الحج عاملاً مهماً في استيلائه على الحجاز، فلا تستطيع السلطة المركزية أن ترسل قواتها إلا بعد مضي مدة طويلة لطول المسافة بين الحجاز والشام.

كان العامل الأساسي في انتصار الأباضية حبهم الاستشهاد في سبيل المبادىء التي يعتنقونها وقد امتازوا بصلابتهم وصمودهم في مسرح القتال ويشير الشماخي أنه لا يمكن للأباضي أن يفر من ساحة المعركة إلا أن يكون متحيزاً إلى فئة، لأن الفرار من الزحف كبيرة لا تغتفر لدى الشراة الأباضية[3].

ومهما يكن الأمر فقد قرر معركة قديد مصير الحجاز لصالح الحركة الأباضية، وبانهيار الجيش الأموي في هذه المعركة سيطرت الأباضية على الحجاز سيطرة تامة.

كما أن هذه المعركة طبعت حياة المدينة بطابع الحزن والأسى لكثرة القتلى فيها، ويصور المؤرخون هذه المأساة وكأنها عمت كل بيت في

---

(١) الدرجيني، طبقات الأباضية، ١/ ورقة ١١٣ ب.
(٢) البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١١ ب. الطبري، الرسل والملوك، ٧/ ٣٩٨. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ١/ ١٥٠. العيون والحدائق، ٣/ ١٢٥.
(٣) الشماخي، شرح مقدمة التوحيد ورقة/ ١٦ ب.

المدينة «ما سمع الناس بواكي أوجع للقلوب من بواكي قديد، ما بقي أهل بيت إلا وفيهم بكى»[١] وقد تركت آثارها واضحة في شعر المدينة الحزين، فقالت نائحة تبكيهم:

ما للزمان وماليه أفدت قديد رجاليه
فلأبكين سريرة ولأبكين علانية[٢]

ومما هو جدير بالذكر أن أبا جعفر المنصور قد اتخذ من واقعة قديد ذريعة للانتقام من أهل اليمن فعين معن بن زائدة الشيباني والياً على اليمن سنة ١٤٢ هـ فقام بارتكاب مجازر وحشية ذهب ضحيتها حوالي خمسة عشر ألف من أهل حضرموت، وقد بارك أبو جعفر المنصور أعماله[٣] «فاستصوب فعله، لأنهم بقية الخوارج الذين قتلوا أهل قديد من أهل المدينة»[٤]. فانتقم الأباضية من معن بن زائدة فقتلوه في إقليم سجستان.

دخول الأباضية إلى المدينة:

بعد انتهاء معركة قديد تحطمت قوات الأمويين في الحجاز فاضطر عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك الهروب إلى الشام[٥]، قبل وصول القوات الأباضية إلى المدينة بقيادة بلج بن عقبة الأزدي في الثالث عشر من شهر صفر

(١) ابن خياط، تاريخ خليفة، ق ٢/ ٥٩٥. البلاذري، أنساب، ٨/ ١ ب.
(٢) البلاذري، أنساب. ٨/ ١١ ب. ـ الطبري، الرسل والملوك، ٧/ ٣٩٧.
(٣) اليماني، تاج الدين عبد الباقي، بهجة الزمن في تاريخ اليمن، ص ٢٠.
(٤) ابن حماد الموصلي، محمد بن أبي بكر، روضة الأعيان في أخبار مشاهير الزمان، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٨٣ تاريخ، ورقة/ ٢٦٠ أ القرشي، حسين بن أحمد القاضي، بلوغ المرام في شرح مسك الختام (القاهرة، ١٩٣٩) ص ١١.
(٥) اليعقوبي، التاريخ، ٣/ ٨٠.

سنة ١٣٠ هـ/ ٧٤٧ م[١] وتبعه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي فبايع أهل المدينة للإمام الأباضي عبدالله بن يحيى الكندي وأظهروا الطاعة كرهاً[٢]، كما كانوا يصلون خلف أبي حمزة المختار بن عوف ويعيدون بعد ذلك صلاتهم.

وكانت أولى الخطوات التي اتخذها أبو حمزة عندما دخل المدينة ألقى خطبة بيّن فيها أهداف وطبيعة الحركة الأباضية نقتطف منها الفقرات التي تلقي الضوء على طبيعة وتركيب الجند الأباضي المقاتل ونظرتهم للحياة الإسلامية ابتدأها فقال: «أوصيكم بتقوى الله والعمل بكتابه وسنة نبيه وصلة الرحم. . .» ثم أشار إلى الانحرافات التي عليها الخلفاء الأمويون ولهذا طالب بالخروج عليهم جرياً على القاعدة الإسلامية التي تقول: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق». كما أكد لأهل المدينة أن هدف حركتهم تطبيق المساواة في الجوانب الاقتصادية التي أوصى بها الإسلام والحكم بالعدل بين المسلمين، ثم بيّن السبب من وراء هذه الحركة التي لم تكن تستهدف إقامة دولة استبدادية غرضها التسلط على رقاب الناس، كما أنها ليست بحركة قبلية تستهدف الثأر لدم سابق ولكن الانحراف وتعطيل الأحكام الإسلامية هي الدوافع الحقيقية لتحركهم هذا، كما أن حركتهم هذه لا تتسم بسمة قبلية معينة «أقبلنا من قبائل شتى قليلون، مستضعفين في الأرض فآوانا الله وأيدنا بنصره، فأصبحنا بنعمته

(١) ابن خياط، تاريخ خليفة، ق ١/ ٥٩٢. الأزدي، تاريخ الموصل ص ١٠٨.

(٢) البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١١ب. ويذكر الأصفهاني: «أنه بايعه بالمدينة ناس منهم إنسان هذلي وإنسان سراقي، وبشكست، الذي كان معلم النحو»، وهذاالنص يظهر لنا قلة الذين بايعوه بيعة حقيقية الأغاني، ٢٣/ ١٣٩ أما بالنسبة لعبد العزيز القارىء الملقب ببشكست فقد كان من علماء النحو كما كان شاعراً أخذ عنه النحو أهل المدينة، قتل بعد خروج أبو حمزة من المدينة لأنه كان أباضي على ما يظهر. انظر: القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف، أنباء الرواة على أنباء النحات، (القاهرة ١٩٥٢)، ٢/ ١٨٣.

إخواناً»[١]. ونلاحظ هنا أنه أكد على الإخوة الإسلامية ضارباً عرضاً بعنصريات الدم الضيقة التي أكد عليها الأمويون في حكمهم. ثم عنف أهل المدينة لوقوفهم بوجه الأباضية رغم الحجج الدامغة التي عرضها عليهم للوقوف بجانب الحركة الأباضية: (وقلنا لكم تعالوا إلى هؤلاء الذين ظلمونا وظلموكم، وجاروا في الحكم فقلتم: لا نقوى على ذلك فوددنا أنا أصبنا من يكفينا، فقلنا نحن نكفيكم، ثم الله راع علينا وعليكم، أنا ظفرنا لنعطي كل ذي حق حقه، فجئنا فاتقينا الرماح بوجوهنا، فعرضتم لنا دونهم، فقاتلتمونا، فأبعدكم الله، فوالله لو قلتم لا نعرف الذي تقول ولا نعلمه لكان أعذر مع أنه لا عذر للجاهل. . .». ثم قال: «الناس منا ونحن منهم، إلا ثلاثة حاكماً جاء بغير ما أنزل الله، أو متبعاً له، أو راضياً بعلمه»[٢].

ويتضح لنا من خلال خطبته هذه الأسلوب العنيف الذي استعمله في مخاطبة أهل المدينة لتبرير كثرة القتلى الذين خسروهم يوم قديد. إذ كانت سياسة أبي حمزة الإحسان إلى سكان المدن المفتوحة ومحاولة ضمهم إلى الحركة الأباضية بإقناعهم بالبقاء على الحياد على أن لا يقفوا إلى جانب السلطة الأموية، ومحاولة الاحتفاظ بقواه كاملة لمواجهة الجيوش الأموية في بلاد الشام، وهذه السياسة عين السياسة التي اتبعها إمامه طالب الحق في معاملته لأهل صنعاء.

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤/ ٢٠٠. ـ أورد الطبري مقاطع من الخطبة بصورة متقطعة، الطبري، الرسل والملوك، ٧/ ٣٩٥، ٣٩٦.

(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤/ ٢٠٠، ٢٠١. الطبري، الرسل والملوك ٧/ ٣٩٥، ٣٩٦. الأغاني. ٢٣/ ١٣٠ فيما بعد.

موقف السلطة الأموية ومعركة وادي القرى ١٣٠ هـ/٧٤٧ م:

حفزت معركة قديد مروان بن محمد على إعداد قوة عسكرية اعتنى في إعدادها واختيارها ضمت خيرة فرسان الشام وألف من رابطة الجزيرة[١] وزود هذا الجيش بعدة تلائم المناطق الصحراوية والجبلية في اليمن، وأعطى كل واحد منهم مائة دينار وفرساً عربية وبغلاً لنقله، بلغ تعداد هذه الحملة أربعة آلاف فارس، من القبائل القيسية[٢]، وأعطى قيادة هذه الحملة العسكرية لعبد الملك بن محمد بن عطية السعدي من القبائل القيسية، وسارت هذه الحملة العسكرية باتجاه الحجاز، وكان أبو حمزة المختار بن عوف قد وجه قائده بلج بن عقبة الأزدي على رأس ستمائة أباضي[٣]، وأمره بالتوجه إلى الشام فالتقى الفريقان في منطقة وادي القرى في جمادي الأولى سنة ١٣٠ هـ[٤]، وكما هي العادة وقبل أن تبدأ المعركة جرت مناقشات بين الأباضية والأمويين دعاهم فيها بلج بن عقبة إلى العمل بكتاب الله وسنة الرسول ورد عليهم أهل الشام بالشتائم، فما كان من القائد الأباضي إلا أن أمر جنوده بالهجوم على جند الشام فهزم الجند الشامي وصمد لهم عبد الملك بن عطية السعدي فآب إليه المنهزمون، وجرت معركة استمرت حتى المساء طلب الأباضية فيها إيقاف القتال، فرفض القائد الأموي حتى انتهت المعركة بهزيمة الأباضية وقتل قائدهم بلج بن عقبة الأزدي[٥]، وفرّ أبرهة بن عبدالله بن الصباح الحميري، واعتصم بجبل من جبال المدينة في ثلاثمائة أباضي فحاصرهم

---

(١) ابن خياط، تاريخ، ق ٢/ ٥٩٥.
(٢) الطبري، ٧/ ٣٩٩. الأغاني، ٢٣/ ١٣٩.
(٣) البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١٢ أ. الأغاني، ٢٣/ ١٤١.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق. مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ٣/ ١٧٢. الأغاني، ٢٣/ ١٤١.

عبد الملك وقاتلهم ثلاثة أيام متالية[١]، واستغل أبرهة ظلام الليل فعبر هذا الجبل ولحق بأبي حمزة المختار بن عوف الأزدي الذي توجه إلى مكة بعد أن علم بهزيمة بلج بن عقبة الأزدي بوادي القرى، وقد ارتكب أبو حمزة المختار خطأً كبيراً فترك قسماً من قواته بقيادة أحد أعوانه المسمى بالمفضل في قوة صغيرة وهو يعلم بتوجه عبد الملك بن عطية إلى المدينة[٢] وقد شجع هذا الموقف أهل المدينة على الانتقام لقتلاهم يوم قديد، فقاد عمر بن الرحمن بن أسيد بن زيد بن الخطاب السوقة والبربر والعبيد مساء يوم الاثنين من شهر جمادي الأولى فقتلوا المفضل ومجموعة من أصحابه وفرّ الباقون إلى مكة، وافتخر أهل المدينة بهذا النصر، فقال شاعرهم مفتخراً:

ليست مروان رآنا يوم الاثنين عشية
إذ غسلنا العار عنا وانتضينا المشرفية[٣]

وبقتل المفضل انتهت سيطرة الأباضية على المدينة التي دامت زهاء ثلاثة أشهر تقريباً[٤]، ويدخلها عبد الملك بن عطية السعدي، وقد كفاه أهل المدينة مؤونة قتال البقية الباقية من الأباضية فيها فاستراح شهراً كاملاً، ثم أخذ بالاستعداد في التوجه إلى مكة المكرمة لمحاربة أبي حمزة المختار بن عوف.

ويظهر أن الإمام الأباضي في اليمن لما علم بهزيمة وادي القرى قرر التوجه إلى الحجاز وكتب رسالة إلى أبي حمزة المختار بن عوف يأمره فيها بالتوجه إلى مكة ـ ويظهر أن الرسالة وصلت لأبي حمزة وهو في المدينة ـ ليوحدا قواتهما الصغيرة العدد لمواجهة التفوق العددي الذي امتاز به الجيش

---

(١) ابن خياط، تاريخ خليفة، ق ٢/ ٥٩٥.
(٢) البلاذري، أنساب ٨/ ورقة ١٢ أ. الأغاني، ٢٣/ ١٤١.
(٣) البلاذري، المصدر السابق. ـ مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ٣/ ١٧٣.
(٤) الطبري، الرسل والملوك، ٧/ ٣٩٨.

الأموي[1]، بعد أن خسر الأباضية الكثير من رجالهم في معركتي قديد ووادي القرى التي قتل فيها ما يقارب الثلاثمائة أباضي. وبهذا يمكن تعليل انسحاب أبي حمزة المختار بن عوف وتركه المدينة إلى مكة، ومن ناحية أخرى سيمكنه هذا الانسحاب من أن يقاتل في محيط وبيئة أهل عداء من عداء أهل المدينة الذين قتل الكثير من رجالهم في معركة قديد[2].

معركة مكة ١٣٠ هـ/٧٤٧ م:

أشرع عبد الملك بن عطية إلى مكة حين علم بتحرك الإمام الأباضي طالب الحق من اليمن إلى الحجاز ليسهل له القضاء على القوات الأباضية الواحدة تلو الأخرى وملاقاتها منفردة.

واستعداداً لهذا اللقاء، أشار علي بن الحصين الذي كان خبيراً بنفسيات أهل مكة وعدائهم للأباضية بالقضاء على قوى المعارضة فيها، وقال لأبي حمزة: «إني قد أشرت عليك يوم قديد وقبله أن تقتل هؤلاء الأسرى كلهم، فلم تفعل، وعرّفتك أنهم سيغدرون، فلم تقبل، حتى قتلوا المفضل وأصحابنا المقيمين بالمدينة، وأنا أشير عليك اليوم أن تضع السيف في هؤلاء، فإنهم كفرة فجرة ولو قدم عليك ابن عطية لكانوا أشد عليك منه..»[3].

ولكن أبا حمزة رفض الخوض بدمائهم لمجرد إعطائهم البيعة بألسنتهم وإقرارهم بصحة الحكم الأباضي، وأوجب لهم حق الحماية[4]، وطلب من أهل مكة ألا يقفوا إلى جانب عبد الملك بن عطية قائلاً لهم: «هؤلاء الذين

---

(١) الأزدي، تاريخ الموصل، ص ١١٢.
(٢) ابن خياط، تاريخ خليفة، ق ٢/ ٥٩٥.
(٣) الأغاني، ٢٣/١٤٣.
(٤) المصدر نفسه.

سألناكم عنهم فقلتم يجورون ويظلمون فلا تعينوهم علينا»[١].

ومن هذا العرض يتضح لنا أن الجبهة الداخلية في مكة لم تكن لصالح الأباضية فأصبح موقف أبي حمزة في وضع سيء بعد وصول عبد الملك بن عطية إلى مكة وتأخر وصول الإمام الأباضي عبد الله بن يحيى (طالب الحق)، إلى حمزة المختار بن عوف الأزدي.

وفي سنة ١٣٠ هـ/ ٧٤٧ م، جرت معركة ضارية ظهرت فيها البراعة العسكرية للقائد الأموي عبد الملك بن عطية، فقد وزع قواته بشكل أربك القوات الأباضية القليلة العدد والتي لا تتجاوز الألف رجل، على قطاعات ثلاث دخلت إحداها من أسفل مكة، والأخرى دخلتها من منطقة منى وأتى هو من أعلى الثنية، وجرت معركة انهزم في بدايتها أهل الشام حتى انتهوا إلى عقبة منى، إلا أن أهل الشام رجعوا لهم فقتلوا أبرز قواد أبي حمزة، أبرهة بن الصباح الحميري، وتفرق الأباضية الذين كان يقودهم هذا القائد، والتقى عبد الملك بن عطية وأبو حمزة في أسفل مكة[٢]، ويذكر المدائني أن أبا حمزة طلب مبارزة عبد الملك بن عطية السعدي وكان عليلاً وهو يرتجز ويقول:

أحمل رأساً قد مللت حمله　　وقد مللت دهنه وغسله

ألا فتى يطرح عليّ ثقله[٣]

فالتقى أبو حمزة وعبد الملك بن عطية السعدي، وتفوق في هذه المعركة السلاح الجديد الذي استخدمه أهل الشام لأول مرة، فكان عاملاً مفاجئاً في هذه الحرب[٤]، فعند ما ضرب أبو حمزة المختار بن عوف عبد الملك بن عطية

---

(١) البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١٢ أ.

(٢) ابن خياط، تاريخ خليفة، ق/ ٥٩٦. ـ البلاذري، ٧ ورقة ١٢ أ.

(٣) الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٨٠. ـ مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ٣/ ١٧٤.

(٤) الطبري، الرسل والملوك، ٧/ ٣٩٩ تكشف لنا رواية الطبري التي أخذها عن الواقدي =

بسيفه لم يعمل السيف في جسمه ولكن سلاح عبد الملك أودى بحياة أبي حمزة المختار بن عوف[1]، وشاركت زوجة أبي حمزة زوجها في هذه المعركة وقتلت بجنبه وكانت ترتجز وتقول:

من سأل عن اسمي فإني مريم　　بعت بسواري بسيف مخذم[2]

كما قتل الفقيه الأباضي علي بن الحصين بعد أن حاصره جنود الشام في أحد بيوت مكة، وأضرموا النار فيما حوله فاضطر إلى النزول فقاتلهم فأسر وصلب مع أبي حمزة المختار بن عوف وأبرهة بن الصباح الحميري على فم شعب الخيف لمدة سنتين كاملتين ولم تنزل بقايا هياكلهما حتى مجيء الدولة العباسية، ١٣٢ هـ/ ٧٤٩[3] وأسر في هذه المعركة أربعمائة أباضي، أمر عبد الملك بن عطية بقتلهم جميعاً، والتحق المنهزمون بالإمام الأباضي عبدالله بن يحيى الكندي في اليمن[4]، كما التحق البعض الآخر كأباضية الموصل بالبصرة، واشتهر جابر بن جهلة السليمي الذي اشترك مع أبي حمزة في معارك قديد ووادي القرى، وكان من شيوخ القبائل الأزدية اليمانية في الموصل[5]، ويرتبط بالعمومة مع أبي حمزة المختار بن عوف بن عبدالله بن مازن السليمي الأزدي[6].

= المتوفي ٢٠٧ هـ عاملاً من عوامل التفوق في المعارك ألا وهو ظهور سلاح جديد استعمله أهل الشام لأول مرة «ومنهم من عليه درعان أو درع وسلور، وتجافيف وعدة لم ير مثلها في ذلك الزمان».

(١) الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٨٠. العيون والحدائق، ٣/ ١٧٣.
(٢) الأغاني، ٢٣/ ١٤٤.
(٣) الأغاني، ١٢/ ١٤٤.
(٤) البلاذري، أنساب ٨/ ورقة ١٢ أ. العيون والحدائق، ٣/ ١٧٣. الأغاني، ٢٣/ ١٤٤.
(٥) الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٧٨.
(٦) ابن دريد، أبي بكر محمد بن الحسن، الاشتقاق، (القاهرة، ١٩٥٨)، ٢/ ١٩٨.

ونتيجة لهذه المعركة الحاسمة، فقد الأباضية الحجاز، بعد أن سيطروا زهاء السبعة أشهر ابتداءً من دخولهم في شهر ذي الحجة سنة ١٢٩ هـ/ ٧٤٦ م. حتى اندحارهم في معركة مكة التي وقعت في نهاية جمادي الثاني أو بداية شهر رجب سنة ١٣٠ هـ/ ٧٤٧ م.

٣ ـ انتكاس الحركة الأباضية:

أصيبت الحركة الأباضية بضعف شديد بعد فشلها في الحجاز في سلسلة الهزائم المتلاحقة التي ابتدأت بمعركة وادي القرى ثم معركة مكة التي انتهت بمقتل أبي حمزة المختار بن عوف الأزدي إذ فقدت الكثير من رجالها.

القضاء على الإمام الأباضي (طالب الحق):

وقد مهد اندحار الأباضية في الحجاز لعبد الملك بن عطية القضاء على عبدالله بن يحيى الكندي، بعد أن أمره مروان بن محمد بالتوجه إلى اليمن للقضاء على الأباضية فيها[١].

وفي الوقت نفسه الذي توجه به عبد الملك إلى صنعاء، كان الإمام الأباضي عبدالله بن يحيى الكندي قد قرر المسير إلى الحجاز لقتال عبد الملك بن عطية، فالتقى الطرفان إلى الشمال من صناء في منطقة صعدة[٢]، التي تبعد حوالي ستين فرسخاً عنها[٣]، فعسكر عبدالله بن يحيى الكندي في منطقة صعدة، ونزل القائد الأموي عبد الله بن عطية في منطقة

---

(١) الطهري، الرسل والملوك، ٧/ ٣٩١. الأغاني، ٢٣/ ١٥٥.
(٢) ابن خياط، تاريخ خليفة، ق ٢/ ٥٩٦.
(٣) الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان، (القاهرة، لات) ٣/ ٣٨٩.

قبالة[1]، وجرت معركة بين الطرفين انسحب على أثرها عبدالله بن يحيى الكندي إلى منطقة جرش[2]، وجرت بعد ذلك معركة استمرت منذ الصباح حتى المساء لم تنته بنتيجة لكلا الطرفين، فعاودوا القتال في صباح اليوم التالي، وترجل طالب الحق في ألف رجل من الشراة الأباضية، ودارت معركة عنيفة استطاعت القوات الأموية فيها من قتل الإمام الأباضي (طالب الحق)، وقتل الكثير من أتباعه وانسحب المنهزمون إلى صنعاء حيث لا زال الأباضية يسيطرون عليها[3]، وبعث عبد الملك بن عطية برأس عبدالله بن يحيى الكندي مع ابنه يزيد بن عبد الملك، ليزف البشرى إلى مروان بسقوط إمامة الظهور الأباضية[4]، التي دامت ما يقارب الستة عشرة شهراً[5].

وبمقتل طالب الحق دخلت الحركة الأباضية مرحلة جديدة انحسرت فيها إلى جنوب الجزيرة العربية، واتسمت بالدفاع عن مراكز وجودها في اليمن.

الحركة الأباضية بعد مقتل طالب الحق:

لم تنته الحركة الأباضية التي قادها طالب الحق بعد مقتله في معركة صعدة، فقد كتب لها الاستمرار على يد ولاته الذين خلفهم في صنعاء وحضرموت إذ قاموا بمهمة الدفاع عن مراكز وجودهم، والاستمرار بالثورة أملا في قيام إمامة الظهور والحفاظ عليها، لا سيما أن الخلافة الأموية تعيش

---

(١) جرش: وهي إحدى مدن اليمن، وصفها أبو الفداء بكثرة نخيلها ـ تبعد عن مدينة نجوان نحو ستة مراحل. أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر تقويم البلدان. (باريس، ١٨٤٠)، ص ٩٥.

(٢) ابن خياط، تاريخ، ق ٢/٥٩٦. الأزدي، تاريخ الموصل ص ١١٣.

(٣) البلاذري، أنساب ٨/ ورقة ١٢ب.

(٤) الأغاني، ٢٣/١٤٧.

(٥) ابن الحسين، يحيى، غاية الأماني في أخبار الفطر اليماني، ق ١/ ١٢٤.

الاحتضار الأخير، بعد اشتداد الثورة العباسية في خراسان، وسيطرتها التي بدأت ترسخ فيها، واتخذت هذه الحركات من حضرموت وجنوب اليمن الغربي مسرحاً لنشاطها العسكري والسياسي، ويعود ذلك لرسوخ الدعوة في هاتين المنطقتين، لهذا أصبح ولاءها للأباضية ولاءً عقائدياً[١] في حين كانت صنعاء على النقيض تماماً مذبذبة الولاء لا اتجاه سياسي لها تؤيد الغالب على المغلوب، لأن الدعوة الأباضية لم تكن راسخة الجذور فيها وخضعت ردحاً طويلاً من الزمن لولاة بني أمية الثقفيين من أقرباء الحجاج بن يوسف الثقفي[٢]. لهذا شارك أهل صنعاء في قتال خليفة طالب الحق في صنعاء بقيادة جمهور بن شهاب الخولاني، وانتزعوا منه أثقالاً وحملين من المال كان يروم الخروج بها إلى حضرموت، وقد سلموها إلى عبد الملك بن عطية السعدي بعد دخوله صنعاء دليل ولائهم للوالي الأموي الجديد[٣] وبعد دخول عبد الملك صنعاء أقام مجزرة ذهب ضحيتها ثلاثمائة أباضي[٤]. وقد كان لانتمائه لقبيلة قيس[٥] عاملاً محفزاً في قسوته على أباضية اليمن الذين ينتمون لقبائل اليمن الجنوبية، ونتيجة لهذه السياسة القاسية شهدت صنعاء وما حولها من الاستقرار الذي لم يدم طويلاً، إذ أن الأباضية بدأت تتجمع لمقاومة عبد الملك بن عطية في عدة حركات أهمها:

حركة يحيى بن عبدالله الحميري ١٣٠ هـ/٧٤٧ م:

يظهر من رواية خليفة بن خياط أن حركة يحيى بن عبدالله بن عمر بن

(١) الدرجيني، طبقات الأباضية، ١/ ورقة ١٠٨ أ.
(٢) ابن خياط، تاريخ خليفة، ٢/ ٣٧٣.
(٣) البلاذري، أنساب، /٨ ورقة ١٢ ب.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) الطهري، الرسل والملوك ٧/ ٣٩٩.

السباق الحميري وقعت خارج صنعاء إذ بعث عبد الملك بن عطية من صنعاء جيشاً بقيادة ابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطية، الذي استطاع أن يهزم يحيى بن عبدالله بن عمر بن سباق الحميري واضطره إلى الانسحاب بعد أن قتل عدداً من أصحابه إلى منطقة (عدن أبين)[١] وفي هذه المنطقة تجمع حوالي ألفا أباضي إلى يحيى بن عبدالله الحميري لمواصلة الثورة ومقاومة عبد الملك بن عطية استفحال الحركة وانضمام هذا العدد الكبير من الأباضية، سار إليه بنفسه وواقعه في إحدى أودية عدن في معركة قتل فيها يحيى بن عبد الله بن السباق الحميري وعدد كبير من أصحابه. وتفرق الباقون[٢] في انتظار من يقودهم في ثورة جديدة.

حركة يحيى بن حرب الحميري ١٣٠ هـ/٧٤٧ م:

إن الفشل المتكرر لحركات الأباضية في عام ١٣٠ هـ/ ٧٤٧ م ابتداء من معركة وادي القرى ومقتل أبي حمزة في معارك مكة ومقتل طالب الحق والاستيلاء على صنعاء ومقتل يحيى بن عبدالله بن عمر الحميري، رغم هذه النكسات لم يتطرق اليأس والملل ليفت في عضد الحركة الأباضية ويقعدها عن مقاومة الدولة الأموية ويظهر من سير المعارك الماضية أن الأباضية ما أن ينهزموا في واقعة حتى يلتحقوا بالمناطق التي لا زالت تحت سيطرتهم، فعندما فشلت حركة يحيى بن عبدالله بن عمر السباق الحميري في منطقة عدن التحقت البقية المنهزمة على ما يظهر بحركة يحيى بن حرب في أقصى الجنوب على ساحل

---

(١) ابن خياط، تاريخ خليفة، ق ٢/ ٥٩٦. يذكر أبو الفدا أن مدينة عدن هي نفسها عدن بين «وهي على ساحل البحر، وهي بلدة حط وإقلاع لمراكب الهند»، أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ٩٣.

(٢) البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١٢ ب. مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ٣/ ١٧٦.

البحر[1]، وكان يحيى بن حرب أحد الشخصيات المعروفة لدى الأباضية، فقد كان على ميمنة الجيش الذي استولى على صنعاء بقيادة الإمام الأباضي عبدالله بن يحيى (طالب الحق)[2]. وقد وجه إليه عبد الملك بن عطية كتيبة عسكرية تسمى بالوضاحية بقيادة أبي أمية الكندي فالتقوا في معركة على ساحل البحر، اختلف المؤرخون في نتائجها فقد أشار خليفة إلى مقتل يحيى بن حرب الحميري من قبل أبي أمية الكندي[3]، ولكن البلاذري يرى أن يحيى بن حرب التحق بحضرموت بعد معركة دامت حتى المساء قتل فيها العديد من الأباضية[4]، وذكر الأصفهاني في رواية عن المدائن أن عدد القتلى من الأباضية مائة رجل[5]، ونتيجة لهذه الهزيمة التحق الأباضية بحضرموت القاعدة التي انطلقت منها الثورة في البداية ليوحدوا جهودهم العسكرية لمواجهة عبد الملك بن عطية بعد فشل جميع حركاتهم التي اتسمت بطابع الدفاع وبطء الحركة والمناورة، ورجع أبو أميرة الكندي إلى صنعاء بعد انتصاره على يحيى ابن حرب الحميري الذي اضطر إلى الانسحاب إلى الشرق باتجاه حضرموت.

وهكذا فشلت هذه الحركة كما فشلت الحركة التي سبقتها، نتيجة لسوء التخطيط وانعدام التعاون بين هذه الحركات وتوحيد الجهد البشري، لمواجهة التفوق العددي الذي كان عليه جيش عبد الملك بن عطية، وكان من النتائج

---

(١) ابن خياط، تاريخ خليفة، ق/ ٥٩٧. البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١٢ ب. الأغاني، ٢٣/ ١٥٥. العيون والحدائق ٣/ ١٧٧.

(٢) الشماخي، السير، ص ٩٩.

(٣) ابن خياط، تاريخ خليفة، ق ٢/ ٥٩٨.

(٤) البلاذري، الأنساب، ٨/ ورقة ١٢ ب. مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ٣/ ١٧٧. ورد في رواية البلاذري أعلاه اسم قائد الحركة يحيى بن كرب، وأخذها عنه مؤلف كتاب العيون والحدائق. والصحيح ما ورد في رواية خليفة أعلاه يحيى بن حرب، وكذلك ورد في كتاب الشماخي، السير بهذا الاسم، السير، ص ٧٧.

(٥) الأغاني، ٢٣/ ١٥٥.

الإيجابية لهزيمة يحيى بن حرب أنها وحدت جهود الأباضية في حضرموت واليمن لمواجهة عبد الملك بن عطية في آخر حركاتهم في العصر الأموي.

نهاية الحركة الأباضية في اليمن وحضرموت:

المعروف أن حضرموت أضحت آخر معاقل الأباضية والمركز العقائدي الذي انطلقت منه الدعوة الأباضية في حضرموت واليمن ثم الحجاز، وقد غدت الآن القاعدة التي لجأ إليها المنهزمون بعد فشل حركاتهم[1]، وقد بويع عبدالله بن سعيد الحضرمي الوالي الذي نصبه طالب الحق عند خروجه إلى صنعاء إماماً للدفاع[2]، ولمواجهة الظروف الصعبة التي مرت بها الحركة الأباضية بعد مقتل طالب الحق، وكان لا يزال يسيطر على حضرموت وما حولها لذلك التأمت إليه جموع الأباضية للقتال تحت رايته، فبعد اندحار يحيى بن حرب ومن معه من الأباضية، التحق بحضرموت فغدا اليمن باستثناء حضرموت تقريباً خاضعاً للأمويين، وكان لا بد له تصفية آخر معاقل الحركة الأباضية بالقضاء على عبدالله بن سعيد الحضرمي بعد أن أصبح «في جيش كثير، واستفحل أمره»[3]، فقرر عبد الملك بن عطية أن يسير بنفسه لقتاله وترك صنعاء تحت امرة ابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد، وكان لمسير عبد الملك على رأس هذه الحملة آثارها المعنوية الحسنة، فقد عود جدوده على الانتصار في كل معاركه التي خاضها لاسيما وأنه قد أظهر مهارة عسكرية بارعة في معارك الحجاز وصعدة التي قتل فيها أبو حمزة وطالب الحق، ومن بعدهم يحيى عبدالله بن عمر بن السباق الحميري كل هذه الانتصارات تركت أثراً إيجابياً وثقة

---

(١) البلاذري، أنساب، ٧/ ورقة ١٢ ب.
(٢) الشماخي، السير، ص ٩٩.
(٣) الأغاني، ٢٣/١٥٥.

بالانتصار لدى عبد الملك وجنوده، ولكن الأباضية بعد أن تجمع لهم هذا العدد الكبير من الجيش قرروا مواجهة الزحف الأموي[1]، وزحف عبد الملك بن عطية إلى حضرموت للقضاء على عبدالله بن سعيد الحضرمي الذي أمر بأن يجمع الطعام وما يحتاجون إليه من مؤونة وسلاح لمقاومة حصار محتمل، وبعد أن جمعوا عدتهم في مدينة شبام[2] حصن حضرموت وعاصمتها الإدارية، وغيروا أخيراً رأيهم وقرروا أن يلقوا عبد الملك في فلاة من الأرض تمكنهم من الكر والفر والانسحاب عند الاضطرار باتجاه الشرق إلى إقليم ظفار المحاذي لحضرموت[3] وقد أدركوا خطورة البقاء وراء حصون شبام إذ سيتمكن عبد الملك بن عطية من ضرب الحصار على المقاتلة وأهالي المدينة، ويقطع المؤونة عنهم، مما يضطرهم إلى الاستسلام طائعين وعندها سيعمل السيف في رقابهم بدون رحمة، كما عمل في أربعمائة أسير في معارك مكة من قبل.

وقد اختار عبدالله بن سعيد أرض المعركة فخرجوا إلى الغرب من حصن حضرموت على بعد أربعة مراحل وتركوا مدينتهم خلف ظهورهم في منطقة يظهر أنها كثيرة الأودية، وجرت معركة بين الطرفين استغرقت نهاراً كاملاً لم تنته نهاية حاسمة، وفي مساء اليوم الأول للمعركة بلغت عبد الملك الأخبار التي تتعلق بالمؤونة التي جمعها الأباضية في حصن شبام، فعمد إلى مكيدة عسكرية استهدفت الاستيلاء على الحصن وما فيه، فحدر مجموعة من جيشه في

---

(١) البلاذري، أنساب ٨/ ورقة ١٢ ب. ـ العيون والحدائق ٣/ ٧٧.

(٢) شبام حصن حضرموت وأبرز مدينة فيها مع مدينة تريم، وسميت هذه المدينة بشبام نسبة إلى قبيلة شبام التي تنتمي إلى قبيلة همدان. تقع بقرب البحر إلى الشرق من عدن. الحموي، المشترك وصفاً والمفترق صقعاً، الناشر مكتبة المثنى (بغداد، لات)، ص ٢٦٧. ـ القزويني ذكريا بن محمد بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد (بيروت، ١٩٦٠). ص ٨٢.

(٣) البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١٢ ب. ـ الأغاني، ٢٣/ ١٥٦.

بطن إحدى الأودية التي تؤدي إلى شبام مستغلاً ظلام الليل وبقي هو في مجموعة كبيرة من جيشه ليشاغل عبدالله بن سعيد ومن معه من الأباضية ريثما تصل قوته إلى شبام، ولم يدرك الأباضية هذه المكيدة[1]، وكما أراد عبد الملك جرت معركة ابتدأت منذ الصباح حتى منتصف النهار، إذ تحاجز الفريقان، ومن المحتمل أن عبد الملك بن عطية طلب المهادنة ليستريح من عناء المعركة التي دخلت يومها الثاني، ويأخذ باللحاق بجيشه الذي توجه إلى حصن شبام في مساء اليوم الأول للمعركة، وعند حلول ظلام مساء اليوم الثاني شرع عبد الملك بالزحف تحت جنح الظلام ليدعم قواته التي وصلت قبله إلى شبام، ونتيجة لهذه المكيدة العسكرية البارعة سقطت شبام بدون مقاومة تذكر، وبسقوطها فقد الأباضية مركزاً عسكرياً حصيناً وإدارياً مهماً من مراكزهم التموينية[2].

ولم يدركوا الأباضية سقوط مدينتهم إلا بعد أن فتحوا عيونهم صباح اليوم الثالث على ميدان المعركة وهو خال من المقاتلة الشاميين، فتبشرهم في الأثرولكن بعد فوات الأوان[3].

وبعد أن سيطر عبد الملك على مدينة شبام مارس عمليات السلب والنهب والسبي وقطع المياه والمؤونة، ووضع الحراسات على الطرق ليمنع الجيش الأباضي من التزود بالمؤونة بعد أن سيطر على أهم مراكزهم المهمة[4].

---

(١) البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١٢ ب. ـ االأغاني، ٢٣/١٥٦. العيون والحدائق، ٣/ ١٧٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١٢ ب. الأغاني، ٢٣/١٥٦ ـ العيون والحدائق، ٣/ ١٧٧.

(٤) الشماخي، السير، ص ١٠٥.

ولكن استيلاء عبد الملك على شبام لم يمنع الأباضية من محاصرة عبد الملك بن عطية والضغط على قواته، ولم يستطع عبد الملك من القضاء على عبدالله بن سعيد الحضرمي وأباضية حضرموت، كما تعود أن يكسب المعارك السابقة بصور سريعة. بل استطاع عبدالله بن سعيد ومن معه من الأباضية، أن يحاصروا عبد الملك بن عطية لمدة أربعة وعشرين يوماً في إحدى القرى الحصينة في حضرموت(١)، فطلب الصلح من الأباضية فصالحوه(٢)، على أن يرد الأموال التي نهبها من أهل حضرموت، وتشير رواية البلاذري أن عبد الملك بن عطية عقد الصلح مع الأباضية على أن يعين والياً من أهل حضرموت تابعاً له من الناحية الإدارية(٣)، يختاره أهل حضرموت. . . . . جمانة من بني مراد وهي بطن من بطون قبيلة همدان إحدى قبائل اليمن الكبرى آنذاك، وتتفق رواية أبي أيوب وائل بن أيوب الحضرمي الذي عاصر الحركة الأباضية في حضرموت مع رواية الطبري بأن ابني جمانة الأباضيين قتلاه اعتقاداً منهم بفراره وهزيمته من أباضية حضرموت(٤). أي أنهم لم يعملوا بالصلح الذي بينه وبين أباضية حضرموت.

أما المدائني فيشير أن جمانة وسيد أبناء الأخنس من قبيلة كندة قتلا عبد الملك بن عطية مع جماعة من قبيلة مراد وصور لنا السبب الذي قتل فيه سعيد وأخوه عبد الملك بن عطية فعندما قعد سعيد على صدر عبد الملك بن عطية، طلب ابن عطية منه العفو، وقال له «هل لك يا سعيد في أن تكون أكرم العرب أسيراً»، فرد عليه سعيد مستخفاً. «يا عدو الله، أترى الله كان يمهلك؟ أو تطمع في الحياة، وقد قتلت طالب الحق، وأبا حمزة وبلجا وأبرهة؟»، فقتله

(١) ابن خياط، تاريخ خليفة، ق ٢/ ٥٩٧.
(٢) البلاذري، أنساب، ٨/ورقة ١٢ ب.
(٣) الأغاني، ٢٣/ ١٥٦.
(٤) العابري، الرسل والملوك، ٧/ ٤٠. ـ الشماخي، السير، ص ١٠٥.

سعيد وأصحابه وبعثوا برأسه إلى حضرموت[١].

ويظهر من هذه الروايات مجتمعة، أن الأباضية قتلته انتقاماً لقضائه على الحركة وقادتها ولما أبداه من سوء معاملة لأسراهم الذين كان مصيرهم القتل على الدوام[٢].

إن قتل عبد الملك بن عطية وبعث رأسه إلى حضرموت تركت آثاراً سلبية على الحركة الأباضية في حضرموت خاصة اليمن بصورة عامة عجلت بسقوط الكيان السياسي للحركة في حضرموت، فقد حمل الوليد بن عروة بن عطية سعيد بن عبدالله ويحيى بن حرب قائدي الحركة في حضرموت مسؤولية قتل عبد الملك بن عطية، فقام الوليد بحرب مروعة انتقاماً لمقتل عمه بعد أن ولاه مروان بن محمد ولاية اليمن «قتل فيها البريء والنطف، وقتل فيها يحيى بن حرب وعبدالله بن سعيد الحضرمي، وبهذا قضى على آخر كيان سياسي للحركة الأباضية في اليمن وحضرموت»[٣].

ويرجح أن القضاء على آخر كيان سياسي للحركة الأباضية في حضرموت تم في مطلع عام ١٣٢ هـ/ ٧٤٩ م في محرم أو صفر من هذا العام ذلك لأن يوسف بن عروة والي الحجاز من قبل مروان بن محمد قام بالإشراف على موسم الحج في عام ١٣١ هـ/ ٧٤٨ م[٤] ثم أرسل بعدها أخاه الوليد بن عروة لليمن. ثم أن الكتاب الذي كتبه مروان بن محمد لعبد الملك بن عطية وهو يحاصر حضرموت كتب في شوال ١٣١ هـ/ ٨٤٧[٥]. أي في نهاية هذا العام تقريباً. ومن المحتمل أن الكتاب وصله في بداية ذي الحجة. ولذلك خرج

---

(١) الأغاني، ٢٣/ ١٥٧.

(٢) البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١٢ أ.

(٣) البلاذري، ٨/ورقة ١٢ أ.

(٤) ابن خياط، تاريخ خليفة، ق ٢/ ٦١٨.

(٥) البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١٢ ب. ـ مجهول العيون والحدائق، ٣/ ١٧٨.

مخفاً مسرعاً مع حفنة من جيشه ولقى حتفه في طريق الحج في شهر ذي الحجة من نفس العام.

ولعل من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى انحسار الأباضية ثم فشلها، لا بد من الإشارة إلى الأسباب التي أدت إلى فشلها:

كانت أهم العوامل التي عجلت بسقوط الدولة الأباضية القصيرة العمر وضعف الطاقات البشرية والاقتصادية، فلم تكن جيوشهم التي أرسلوها للحجاز تتجاوز الألفين أباضياً[١]، كما أن الإمكانيات الإقتصادية كانت بسيطة جداً انعكس أثرها في العدة العسكرية بجيش أبي حمزة الذي استولى على الحجاز عبر عنها أبو حمزة بقوله: «أقبلنا من قبائل شتى، النفر منا على بعير واحد عليه زادهم وأنفسهم..»[٢].

في حين تفوقت القوة الأموية في العدة والعدد فقد أشار الطبري إشارة مهمة إلى عدد الجيش الأموي البالغ عدده حوالي أربعة آلاف وعدته المتفوقة والتي كانت عاملاً حاسماً في تفوق الأمويين واكتساح الحركة الأباضية، فيقول: «إن عبدالله بن محمد بن عطية قدم المدينة في أربعة آلاف فارس عربي، مع كل واحد منهم بغل، ومنهم من عليه درعان ودرع وتنسور وتجافيف وعدة لم ير مثلها في ذلك الزمان..»[٣].

ثم إن الحركة الأباضية أقامت كيانها السياسي في بيئة ومحيط معادي من ناحية سياسية وخاصة أهل الحجاز الذين كانوا يسخرون من جيش أبي حمزة ويصفونهم بالأعراب الحفاة[٤]، بسبب التناقض الواسع بين الأباضية، ومجتمع

(١) البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١١ ب.
(٢) الطبري، الرسل والملوك، ٧/ ٣٩٧.
(٣) المصدر السابق، ٧/ ٣٩٩.
(٤) قال أبو حمزة المختار بن عوف (يا أهل المدينة بلغني أنكم تنتقصون أصحابي قلتم: هم=

الحجاز اللاهي آنذاك، ومن الصعوبة التوفيق بين التزام الأباضية الشديد بالتعاليم الإسلامية، ووهن نظر غالبية الفئة المنقذة المترفة من الناحية السياسية والاجتماعية والتي يتألف أغلبها من التجار القرشيين وغيرهم المنغمسين في الملذات والترف الدنيوي كطبيعة أي مجتمع تجاري.

ومن ناحية أخرى لم تلق الحركة الأباضية تأييداً كاملاً من أهل اليمن بسبب اتجاهها المذهبي باستثناء حضرموت القلعة الحصينة للمذهب الأباضي التي قاومت ما يقارب السنتين بعد مقتل الإمام الأباضي عبد الله بن يحيى الكندي. ولذا من الصعوبة بمكان اعتبار هذه الحركة ممثلة لوجهة نظر أهل اليمن في الدولة الأموية.

وبهذه الأسباب مجتمعة فشلت أول تجربة سياسية للحركة الأباضية في اليمن وحضرموت والحجاز.

= شباب أحداث، وأعراق جفاة، ويحكم يا أهل المدينة وهل كان أصحاب رسول الله (ص) إلا شباباً أحداثاً، شباب والله مكتهلون في شبابهم غضيضة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم قد باعوا أنفساً يموت غداً غداً بأنفس لا تموت أبداً. . . .) الأغاني ٢٣/ ١٣٢.

الفصل الرابع

بداية الدعوة الأباضية بعمان وقيام الإمامة الأباضية الأولى فيها

(١٣٢ ـ ١٣٤ هـ/٧٤٧ ـ ٧٥١ م)

بدايات الحركة الخارجية في عمان

لم يكن للخوارج أثر سياسي ملحوظ في عمان، في الوقت الذي قامت فيه حركة للخوارج النجدات في البحرين واليمامة، بل أن عمان قاومت محاولات النجدات ورفضت الخضوع لسلطتهم، فعندما أرسل نجدة بن عامر الحنفي (٦٦ هـ - ٧٢ هـ)[١] حملة بقيادة عطية بن الأسود الحنفي للإستيلاء على عمان تصدى العمانيون لطردهم بقيادة عباد بن عبدالله بن الجلدي وابنيه سعيد وسليمان - وكانوا يحكمون عمان ويجبون البلاد ويأخذون العشر من السفن - فالتقوا في معركة قتل فيها عباد بن عبدالله وهرب أبناه سعيد وسليمان[٢]، إلى داخل عمان للتحصن بجبالها المنيعة، واستطاع عطية السيطرة على عمان إلا أن سيطرته كما يبدو لم تكن شاملة لكل أجزاء عمان إذ

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، مخطوطة مصورة في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب تحت رقم ١٦٣٩ ج ٦ ورقة ١٥ ب - ١٦ ب.

(٢) المصدر السابق، ٦/ ورقة ١٦ أ. ابن الأثير الكامل، ٣/ ٣٥٢. ابن خلدون، العبر ٣/ ٣١٤. ومما هو جديد بالذكر أن سعيد وسليمان ابنى عباد بن الجلدي استطاعا بعد ذلك مقاومة الحجاج بن يوسف الثقفي إلا أنه استطاع أن يتغلب عليهما ويطردهما إلى الجبل الأخضر بواسطة عمان دفاعاً عن ملكهما. الأزكوى، كشف الغمة ورقة ٣٢٦ ب، ٣٢٧ أ.

وقد ذهب الدكتور جمال قاسم زكريا إلى القول بأنهما قد انهزما من الحجاج إلى شرق أفريقيا إلى بلاد الزنج «وكان لذلك أثر في انتقال المذهب الأباضي إلى شرق أفريقيا»، قاسم، جمال زكريا، دولة بور سعيد في عمان وشرق أفريقيا، القاهرة، ١٩٦٧)، ص ٩. غير أن المصادر الأباضية وغيرهما من المصادر الأخرى لا تشير إلى اعتناق عباد وسليمان المذهب الأباضي ومن جهة أخرى يشير الأزكوى أن سيد بن عباد قد اعتزل إلى الجبل الأخضر للاحتماء به: - الأزكوى، كشف الغمة ورقة ٣٢٧ أ.

استمرت أشهراً قليلة فما أن خرج منها عطية بن الأسود حتى نهض سعيد وسليمان حاكما عمان الأزديين وقتلا أبا القاسم الوالي الذي نصبه عطية بن الأسود خليفة له على عمان مما يدل على ضعف سيطرة النجدات ورفض العمانيين للسيطرة الخارجية في هذه الحقبة، فعندما حاول عطية بن الأسود الحنفي بعد خلافه مع نجدة الاستيلاء على عمان مرة ثانية استطاع العماديون بقيادة سعيد وسليمان من طرده ولم يسمحا له بالمكوث في عمان فاضطر ركوب البحر إلى منطقة كرمان[١] المقابلة للساحل العماني.

ولا تشير المصادر التاريخية «بصورة دقيقة متى أصبحت الأباضية العقيدة الواسعة الانتشار في عمان، ويرى الدكتور باثيرست أنه ربما كان هناك أئمة خوارج قبل الأباضية[٢].

ويبدو أن الدعوة الخارجية في عمان انتشرت في نطاق ضيق قبل خلافة عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٦٦ هـ/ ٦٨٤ ـ ٧٠٦ م) إذ يذكر العوتبي أن عمران بن حطان الشاعر الخارجي المشهور ـ الصفري المذهب[٣] ـ عند فراره من الحجاج بن يوسف الثقفي التجأ إلى عمان في الأزد فوجد قوماً منهم «ينشدون أشعاره ولا يعلمون أنه عمران فدعاهم إلى رأيه وأقام بين أظهرهم وظهر أمره، ووجد قوماً مسارعين له يبكون على مرداس بن أدية، ويذكرون فضله ويظهرون أمره شاهراً حتى بلغ الحجاج أمره فكتب إلى أهل عمان في قتله[٤]. ويتبين لنا من هذا النص أن الحركة الخارجية دخلت إلى عمان بشكلها المعتدل المتمثل بآراء أبي بلال مرداس، الذي يعتبره الأباضية

---

(١) البلاذري، أنساب، ٦/ ورقة ١٦ أ ـ ابن الأثير الكامل، ٣/ ٣٥٣.

(٢) د: عمر فاروق، ملامح من تاريخ الحركة الخارجية بعمان، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثاني و (بغداد، ١٩٧٥) ص ١٧٤.

(٣) البغدادي، الفرق بين الفرق، بيروت، (بيروت، ١٩٧٣)، ص ٧٢.

(٤) العوتبي، أنساب العرب، ١١ ب.

إماماً من أئمتهم الأوائل[1]، وقد مهدت مثل هذه الآراء المعتدلة للدعاة الأباضية بعمان، في الدعوة لمذهبهم الأباضي ونشره بين القبائل الأزدية بصورة خاصة.

تعقيب:

عمران بن الحطان الدوسي كان محدثاً وخطيباً مصقعاً، وأديباً لبيبا وهو من أئمة الأباضية وعلمائهم وليس صفري المذهب وقد تولى مهمة الدفاع عن الأفكار الأباضية بالحجة بعد وفاة الإمام عبدالله بن أباض وقد توفي عمران بن حطان رضي الله عنه سنة ٨٩ هجرية.

ومن الصعوبة بمكان معرفة التاريخ الذي بدأت فيه الدعوة الأباضية في الانتشار بعمان، ويشك الأستاذ فيلبيس فيما إذا كان الإمام الأباضي جابر بن زيد هو الذي أدخل العقيدة الخارجية إلى عمان[2]، ولكن المصادر الأباضية تؤكد أن الجذور التاريخية الأولى لدخول الدعوة الأباضية إلى عمان يرجع إلى الوقت الذي حكم فيه الحجاج بن يوسف الثقفي العراق (٧٥ ـ ٩٥هـ/ ٦٩٤ ـ ٧١٤ م)، إذ بدأ التنظيم الأباضي السري يشكل خطراً على سلطة الحجاج التي كانت تشمل عمان، ومن المحتمل أن الحجاج أدرك أن جابر بن زيد هو المسؤول عن نشاط الأباضية المعادي للخلافة الأموية، ومن أجل شل الدعوة الأباضية في البصرة والحد من نشاطها عمد الحجاج إلى نفي جابر بن زيد إلى عمان مع أحد الدعاة النشطين المسمى هبيرة[3].

---

(١) الدرجيني، طبقات الأباضية ١/ورقة ١٦ ب. ـ الشماخي، السير ص ٩٠... ـ شرح مقدمة التوحيد، ورقة ١٦ أ، ٢٦ أ. ـ البسيوي الحجة على من أبطل السؤال في الحدث الواقع بعمان، ورقة ١٠.
انظر: الفصل الثاني من الرسالة، أبو مرداس وأثره بالدعوة الأباضية.

(٢) Phillips, W: Oman. A History, (London, 1967) P 20.

(٣) الدرجيني، طبقات الأباضية، ١/ ٩٣ ب. ـ الشماخي، السير، ص ٨٣.

وقد خدم الحجاج الدعوة الأباضية بنفيه جابر بن زيد إلى عمان دون أن يعلم، فقد بذر البذور الأولى للعقيدة الأباضية في عمان وقد ساعد على إجابة العمانيين للأباضية عوامل ثلاثة:

العامل الأول: وجود أفكار خارجية معتدلة مهدت لآراء الزعيم الأباضي جابر بن زيد في نشر أفكاره المعتدلة تمثلت بآراء أبي بلال مرداس[١].

العامل الثاني: تعد الرابطة القبلية من العوامل المهمة التي ساعدت جابر بن زيد في نشر أفكاره الأباضية، فالغالب على عمان بصورة خاصة القبائل الأزدية[٢] ولما كان جابر بن زيد يحمدي[٣] من الأزد[٤]، لهذا فإنه لم يكن غريباً عن هذه القبائل.

العامل الثالث: ومن العوامل التي يسرت لجابر بن زيد نشر الدعوة الأباضية كونه من أهل عمان[٥]: وكان يسكن قرية فرق[٦] التابعة للزوي[٧]، قبل هجرته إلى البصرة[٨] وربما كان يتردد إلى عمان بعد هجرته منها. وعلى

---

(١) العوتبي، أنساب، ورقة ١٠١ ب.
(٢) الأزكوى، كشف الغمة، ورقة ٢٢٣ أ.
(٣) ابن خياط، كتاب الطبقات، ص ٢١٠.
(٤) الرازي، عبد الرحمن بن محمد، كتاب الجرح والتعديل، القسم الأول من المجلد الأول، ص ٤٩٤ ـ ٤٩٥.
(٥) ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، (بيروت، ١٩٥٨) ٧/ ١٧٩.
(٦) الأزكوى، كشف الغمة، ورقة ٢٦٦ أ.
(٧) الرقيش، مصباح الظلام، ورقة ٢٠ ب.
(٨) شاركت القبائل الأزدية في الفتوح الإسلامية بعد اعتناقها الإسلام فانتقلت من عمان، واستقرت في كثير من الأمصار الإسلامية وخاصة بمدينة البصرة، فقد ذكر العوتبي معلومات قيمة تتعلق بدور القبائل الأزدية في تمصيرها والخطط التي استقرت بها. العوتبي، الأنساب، ورقة ١٣٠ أ فما بعد.
فمن المحتمل جداً أن جابر بن زيد قد جاء إلى البصرة واستقر بها حيث تقطن القبائل الأزدية وفي نص للأزكوي يكشف لنا العلاقات الوثيقة بين أزد البصرة وعمان، فعندما =

هذا فهو يستطيع معرفة المناطق والتجمعات القبلية التي يمكن بذر الدعوة الأباضية فيها، كما أنه يعرف العادات والتقاليد السائدة في المنطقة وهذا بلا شك عامل من عوامل نجاحه بين هذه القبائل. وغني عن القول المستوى الفكري الذي يتمتع به جابر بن زيد من الناحية العقائدية، فقد كان من أكبر فقهاء البصرة[1] ومرجعاً من مراجع الفتيا المعدودين[2]. ولا شك أن مثل هذا المركز العلمي المرموق يساعد في استقطاب المسلمين واستجابتهم لمذهبه الأباضي. ثم أن التحرك في بيئة عمان أكثر يسراً وسهولة فيما لو قورنت بجو البصرة الفكري المتلاطم الذي يعكس اتجاهات الشيع المختلفة، وتركيبها الاجتماعي وانتماءاتها القبلية المتعددة ومركزية الإدارة فيها[3]، إن هذه العوامل مجتمعة ساعدت الفقيه الأباضي جابر بن زيد في نشر الدعوة الأباضية بعمان في هذه الحقبة المتأخرة من القرن الأول الهجري.

إن التنظيم الأباضي في البصرة بعد وفاة جابر بن زيد عام ٩٣ هـ/ ٧١٣ م وتولى خلفه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة زعامة الأباضية، بدأ يتخذ شكلاً دقيقاً من التنظيم المبني على أسس مدروسة تمثلت بالحملات السليمة المتوجهة من البصرة إلى الأمصار الإسلامية المختلفة. وكان تخطيط أبي عبيدة مسلم قائماً على أساس اختيار مجموعة من الأباضية من كل مصر انتشرت في

= أراد الحجاج بن يوسف الثقفي أن يستعيد عمان إلى حضيرة الخلافة الأموية أدرك أنه لا يستطيع أن ينتصر على سليمان وسعيد بن عباد إلا بالسيطرة على أزد البصرة الذين كانوا سنداً لاخوانهم الحمادنيين وإن بعدت المسافة، يقول الأزكوي: «وأظهر الحجاج من نفسه غضباً وحمئة وأنفه، وأقعد وجوه الأزد الذين كانوا بالبصرة عن النصرة لسليمان بن عباد.» ـ الأزكوي، كشف الغمة، ورقة ٣٢٧ أ. وبهذا نستطيع أن نوفق بين سكناه في البصرة وكونه من أهل عمان سابقاً.

(١) البستي، محمد بن حيان، مشاهير علماء الأمصار، ص ٨٩.
(٢) ابن سعد، الطبقات، ٧/ ١٧٩، ١٨٠ ـ الدرجيني، طبقات الأباضية، ١/ ورقة ٩٠ ب.
(٣) انظر: العلي، صالح أحمد، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، (بيروت، ١٩٦٩).

الدعوة وتدريسهم في البصرة وتعبئتهم فكرياً وسياسياً وتنظيمياً وإرسالهم بعد اكتمال إعدادهم إلى الأمصار التي قدموا منها ليقوموا بمواصلة نشر الدعوة الأباضية فيها[١]، على أن هذه القاعدة لا تنطبق على كل «حملة العلم» فقد كان بعض هؤلاء الدعاة ينتمون إلى غير الأمصار التي توجهوا إليها فقد كان في مجموعة (حملة العلم) التي توجهت إلى المغرب أبي الخطاب عبد الأفلي بن السمح المعافري اليماني الموطن[٢] غير أن الصفة الغالبة عليهم انتماءاتهم المغربية[٣]، إلا أن هذه القاعدة تنطبق تماماً بالنسبة لحملة العلم الذين وجههم أبو عبيدة مسلم إلى عمان فهم من حيث الموطن عمانيون ينتمون إلى قبائل الأزد اليمانية والمغربية[٤]، وكان لهذا الاختيار الموفق أثر كبير ساعد في نجاح مساعي الدعاة الأباضية في عمان.

ولا يستطيع الباحث تحديد تاريخ معين للنجاح الذي اكتسبته الدعوة الأباضية بعمان، ويرجح أن هذا النجاح لحملة العلم تحقق في مطلع العقد الأول من القرن الثاني الهجري، لأن أبا عبيدة مسلم تزعم قيادة الدعوة الأباضية في نهاية القرن الأول الهجري بعد وفاة جابر بن زيد عام ٩٣ هـ/ ٧١٣ م ثم أن هذا المصطلح ـ حملة العلم[٥] ـ يرد ذكره بصورة خاصة بعد تولي أبي عبيدة مسلم زعامة الأباضية ولا يعرف في عهد الإمام جابر بن زيد حملة العلم بهذه

(١) انظر، أبو زكريا، السيرة وأخبار الأمة، ورقة ٢ أ الدرجيني، طبقات الأباضية، ١/ ورقة ١٠ أ.

(٢) أطفيش، محمد بن يوسف بن عيسى، الامكان فيما جاز أن يكون أو كان. (الجزائر. ١٣٠٤ هـ) طبعة حجرية بدار الكتب المصرية برقم ح ٩٠٣٢، ص ١١٢.

(٣) أبو زكريا، السيرة وأخبار الأئمة، ورقة ٦ أ ـ الشماخي، شرح على عقيدة الشيخ تبغورين، ورقة/ ٢١ ب.

(٤) العوتبي: الأنساب، ورقة/ ١٠٢ ب.

(٥) أبو زكريا، السيرة وأخبار الأمة، ورقة ٢ أ ـ ٥ ب. ـ الدرجيني طبقات الأباضية، ١/ ورقة ٩ ب، أطفيش، الامكان فيما جاز أن يكون أو كان ص ٩، ١١.

الصورة المنظمة، التي أرسى قواعدها كمدرسة فكرية وسياسية لتخريج الدعاة الأباضية في مدينة البصرة أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، واستمرت بنشاطها في عهد خلفه الربيع بن حبيب بن عمر الفرهودي والأزدي(١)، تؤدي الدور والغرض الذي أنشأت من أجله أبان إمامته للدعوة الأباضية في البصرة، إلا أنها بدأت أقل فعالية ونشاطاً على ما كانت عليه أيام أبي عبيدة مسلم الذي كان يملك مؤهلات قيادية يفتقر إليها خلفه الربيع بن حبيب.

وقد اختلف المؤرخون الرواد في عدد حملة العلم الذين دخلوا عمان في عهد أبي عبيدة مسلم بن كريمة في مطلع القرن الثاني حتى منتصفه، فالعوتبي يشير إلى أسماء أربعة من هؤلاء الدعاة ويرى أن محمد بن المعلا الفشحي هو أول من قام بالدعوة إلى تأسيس الإمامة الأباضية بعمان(٢)، وقد تبعه بعد ذلك الربيع بن حبيب بن عمر الفرهودي، المنير بن النير الريامي وبشير بن المنذر النزواني(٣)، ومن المحتمل أن هؤلاء الدعاة كانوا الحملة الأولى التي بشرت بالمذهب الأباضي في عمان، ومن الصعوبة بمكان الفصل بين حملة العلم الذين تلقوا العلم عند أبي عبيدة مسلم وأولئك الذين تلقوا العلم عند الربيع بن حبيب الذي تولى إمامة الأباضية في البصرة بعد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ويشير المجتهد الأباضي أطفيش أن حملة العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة إلى عمان هم محبوب بن الرحيل، وموسى بن أبي جابر الأزكوي، والمنير بن الدير(٤) وهاشم بن فيلان(٥). أن تأثير أبي عبيدة مسلم وإعداده لهؤلاء الدعاة تجلى واضحاً في دورهم السياسي الذي لعبوه في الحياة

---

(١) العوتبي، الأنساب، ورقة ١٠ ب.
(٢) العوتبي، أنساب، ورقة ٩٣ أ.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) أطفيش، الامكان فيما جاز أن يكون أو كان، ص ١٠٩.
(٥) مصباح الظلام، ورقة ٣١ ب.

العمانية، فلم يكن حملة العلم مجرد فقهاء وأصحاب فتيا أو مثقفين ثقافة مذهبية تؤهلهم للتبشير بمذهبهم، فبعد مضي أقل من نصف قرون من إرسالهم إلى عمان أصبحوا سادة الموقف السياسي بعمان فلا يعين إمام إلا باختيارهم[١]، وربما أصبح بعضهم ولاة لبعض ولايات الإمامة الأباضية كما حدث لمحمد بن المعلا الكندي[٢]. وبعبارة موجزة أنهم كانوا رجال فكر ودولة في آن واحد.

إن نجاح حملة العلم الأباضية في عمان بتغيير العقلية العمانية واعتناق الكثير من أهلها للمذهب الأباضي كان نتيجة للجهود الكبيرة التي بذلها الدعاة الأباضية (حملة العلم). ويعزى نجاحهم لانتمائهم لقبائل الأزد العمانية وفروعها المختلفة[٣]، وقد مكنتهم هذه الرابطة القبلية من معرفة عادات وتقاليد السكان العمانيين ويسرت لهم النجاح في نشر أفكارهم، والحصول على حماية قبائلهم، وكان العالم القبلي أثره في انتشار الدعوة الأباضية بعمان وتأثيرها الكبير في سير الأحداث في هذا العصر الإسلامي وزادها قوة اعتناق آل الجلندي[٤] لهذه الدعوة، ففي مطلع العقد الرابع من القرن الثاني الهجري أصبحت العقيدة السائدة التي اعتنقها السكان العمانيون، ومن خلال الصراع بين القبائل التي اعتنقت المذهب الأباضي في عمان والخلافة العباسية أصبح هذا المذهب العقيدة والهدف الذي يقاتلون في سبيله من أجل المحافظة على إمامة الظهور الأباضية وإقامتها بين الحين والآخر، وبهذا يمكن تحليل ظاهرة الانفصال المبكرة في عمان قبل غيرها من الأقاليم الإسلامية الأخرى، بسبب

---

(١) مصباح الظلام، ٣١ ب.
(٢) السالمي، تحفة الأعيان، ١/١١١.
(٣) العوتبي، الأنساب، ورقة، ١٧٠ ب. ـ أطفيش، الأمكان فيما جاز أن يكون أو كان، ص ٩ ـ ١١.
(٤) الأزكوي، كشف الغمة، ورق ٣٢٨ ب.

الوحدة القبلية المتميزة ثم ركزت ذلك وعمقته الوحدة المذهبية لهذا العصر الإسلامي باعتناقه المذهب الأباضي الذي لا يعترف بشرعية الخلافة العباسية.

إضافة العامل الجغرافي الذي ميز هذا الاقليم وأعطاه خصائص تساعد على الانفصال(١) فموقع عمان في جنوب شرقي الجزيرة العربية جعلها تطل على الخليج العربي من جهة الغرب والبحر العربي من جهة الجنوب أعطاها أهمية تجارية وبحرية مهمة وأصبحت في بعض الأوقات المعبر التجاري الذي يربط بين جنوب وشرقي آسيا وبلاد الخلافة العباسية ومركزها في العراق وهذا يعزز الاقتصاد العماني ويعطيه القابلية على الاعتماد على نفسه بالإضافة إلى التنوع في التضارس، فمن الشريط الساحلي المطل على الخليج العربي في الغرب إلى الجبال المتوغلة في وسط عمان والتي تمتاز بخصوبتها(٢) وارتفاعها الشاهق، إلى الصحراء الرملية المجدبة التي تحيط بعمان كقوس يمتد من الشمال ثم ينحني في الغرب باتجاه الجنوب حيث الصخور والجبال الحجرية الشديدة الوعورة. إن هذه التضاريس واختلافها المتباين يسرّت للحركات الأباضية الحرية في الحركة والاحتماء بها وخاصة وإن السلطة المعنية العلاقة بعمان كالخلافة الأموية والسياسية تركز في الاستحواذ على المنطقة الساحلية (الباطنة) لأهميتها التجارية والعسكرية، فيلتجأ العمانيون على العموم إلى الداخل للاحتماء بالجبال والصحراء في أوقات الأزمات ثم يدفعون إلى الساحل متى ما أحسوا بضعف الوالي ممثل السلطة المركزية أو بقوة أنفسهم.

---

(١) انظر: عمر فاروق، ملامح من تاريخ الحركة الخارجية في عمان، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثاني، ص ١٧٥ ـ عمان تاريخ يتكلم ص ٢٣ الدباغ، مصطفى مراد، جزيرة العرب، ص ١٣١ ـ ١٣٢.
قاسم، جمال زكريا، دولة بورسعيد في عمان وشرق أفريقيا، ١٧٤ ـ ١٨٦١ (القاهرة، ١٩٦٧) ص ٦.

(٢) زلوم، عبد القادر، عمان والامارات السبع، دراسة جغرافية إنسانية و (بيروت، ١٣٨٣)، ص ٣٤ ـ ١٣٩.

الإمامة الأباضية الأولى بعمان

١٣٢ هـ/٧٤٨ م

نتيجة للجهود التي بذلها الأباضية في عمان والتي أدت إلى اعتناق قسم كبير لا يستهان به من أهلها للدعوة الأباضية، توفرت الشروط اللازمة والظروف المناسبة في عام ١٣٢ هـ/ ٧٤٨ م لإقامة إمامة أباضية حاكمة[١]، تسمى بإمامة الظهور في اصطلاح العلماء الأباضية[٢]، وتعتبر هذه الحركة المحاولة الثانية

---

(١) الأزكوي، كشف الغمة، ورقة ٣٢٨ ب، ٣٢٩ أ، إن من أحسن عن الإمامة الأباضية في عمان بحث L. V. Vaglieri الموسوم Limakato Ibadita de el Oman على أنه بحث عام ويقتصر على الخطوط الرئيسية دون تفصيل.

(٢) الشماخي، شرح مقدمة التوحيد، ورقة ٢٦ أ. اضطرب المؤرخون المحدثون في تاريخ هذه الإمامة فقد ذهب مؤلفا كتاب عمان تاريخ يتكلم، إلى القول بنشوء الإمامة في عمان عام ١٢٩ هـ «أو قبيل سقوط الدولة الأموية بقليل عندما انتخب الأباضيون أول إمام لهم في عمان...» السالمي، محمد بن عبد الله، وناجي عساف، عمان تاريخ يتكلم، (دمشق، ١٢٨٣ هـ)، ص ١٣١. ولا يوجد في المصادر التي أطلعنا عليها أي ذكر لإمامة أباضية بعمان عام ١٢٩ هـ/٧٤٦ م وقد أوضحنا في الفصل الثالث من الرسالة أن أول حركة للدعوة الأباضية كان في سنة ١٢٩ هـ في اليمن وحضرموت ولا علاقة للعمانيين فيها سوى اشتراك بعض العمانيين بقيادتها. وقد وقع في الخطأ نفسه عبد القادر زلوم في كتاب عمان والإمارات السبع (بيروت ١٣٧٣ هـ) ص ٧٠ وتبعهم ذلك مصطفى مراد الدباغ، في كتابه، جزيرة العرب موطن العرب ومهد الإسلام، (بيروت، ١٩٦٣)، ٢/ ١٣٤ ـ ١٣٥.

أما الدكتور فاروق عمر فقد أشار إلى بداية هذه الإمامة بعد مجيىء العباسيين حيث انتخب خوارج عمان الجلدي بن مسعود إماماً لهم حوالي سنة ١٣٥ هـ/ ٧٥٢ م أو قبل =

للدعوة الأباضية في المشرق العربي، بعد فشل محاولتهم الأولى في اليمن وحضرموت بإقامة دولة أباضية فيها عام ١٢٩ هـ[١]/ ٧٤٦ م، انتهت بنهاية الدولة الأموية عام ١٣٢ هـ/ ٧٤٨ م. وكان أباضية عمان قد شاركوا بشكل فعال بقيادة هذه الحركة، وبعد فشلها يظهر أن الكثير من الأباضية قد التحقوا بعمان وتجمعوا فيها ويشير السالمي إلى أن الجلندي بن مسعود بن جيفر بن جلندي والذي ينتمي إلى بني الجلندي بن مسعود بن الحرار بن عبد عز بن معولة بن شمس، ملوك عمان بعد أولاد مالك بن فهم، قد حضر بيعة عبدالله بن يحيى (طالب الحق)[٢] ومن المحتمل أنه قد شارك بهذه الحركة وانسحب إلى عمان بعد فشلها.

لقد تهيأت الظروف السياسية في عمان من الناحيتين الداخلية والخارجية لإقامة الإمامة الأباضية، فقد ولي عمان في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، عمر بن عبدالله الأنصاري[٣]، وكان موقفه من الدعوة الأباضية موقف المسالم، ويظهر أنه أدرك أن لا مقاومة له. للقبائل الأزدية فتنازل بعد وفاة عمر بن عبد العزيز إلى زياد بن المهلب الذي تولى حكم عمان حتى قيام الخلافة العباسية عام، ١٣٢ هـ/ ٧٤٨ م، ويظهر أنه لم يتعرض للدعوة الأباضية، ربما بسبب الرابطة القبلية، فالدعوة الأباضية احتضنتها القبائل الأزدية بصورة خاصة، وأصبحت بمرور الزمن حركة واسعة النطاق لها من يؤيدها من وجهاء الأزد فالتعرض لها قد يكلفه فقد ولايته على عمان أولاً

= هذا التاريخ بقليل. د عمر، فاروق مجلة المؤرخ العربي، العدد الثاني، ١٩٧٥، ص ١٧٥، وكما سنرى أن هذه الإمامة قضى عليها حوالي ١٣٤ هـ/ ٧٥١ م.

(١) انظر الفصل الثالث من الرسالة.

(٢) السالمي، عبدالله بن حميد السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، (الكويت، ١٩٧٤) ١/ ٨٨.

(٣) ابن خياط، تاريخ خليفة، تح د. أكرم ضياء العمري، (النجف، ١٩٦٧)، ١/ ٣٢٩. ـ كشف الغمة ورقة ٣٢٨ أ.

ويجعله يصطدم بأهله وعشيرته من قبائل اليمن ثانياً، فلما جاءت الخلافة العباسية اعتزل زياد بن المهلب ولاية عمان، وعين أبو العباس السفاح جناح بن عبادة بن قيس الهنائي وولاه على عمان «وهو الذي جاهر الأباضية وأعانهم حتى صارت الولاية للأباضية بعمان»[١] ثم عين مكانه ابنه محمد بن جناح الذي كان كأبيه عديم الميل للدولة العباسية، ثم أن الأباضية أصبحت أقوى حركة سياسية بعمان، وقد أدرك ذلك محمد بن جناح بن عبادة، فلم يتخذ أي اجراء ضدهم بل مال إليهم وعهد السبيل لإقامة إمامة أباضية بعمان في سنة ١٣٢ هـ، ويشير الأزكوي إلى أن المنصور ولّى على عمان محمد بن جناح، فداهن الأباضية حتى صارت ولاية عمان لهم «فعند ذلك عقدوا الإمامة للجلندي بن مسعود فكان سبباً لقوة المذهب. . . . »[٢].

ومن خلال هذا العرض الموجز للأوضاع السياسية بعمان يتضح أن الظروف الداخلية ساهمت بدرجة كبيرة في نمو الدعوة الأباضية في عمان وانتهت أخيراً بمبايعة الجلندي بن مسعود[٣] أول إمام للدعوة الجديدة «وقام الجلندي بن مسعود بعمان وأجمعوا على إمامته وولايته والمجاهدة معه أعداء الإسلام وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأظهروا الحق والدعوة بعمان»، وبهذا أضاف قوة سياسية جديدة للحركة الأباضية لأنه يمثل واجهة اجتماعية ذات تأثير كبير على قطاع واسع من القبائل الأزدية باعتباره حفيد الملوك السابقين لعمان من بني الجلندي وهذا بلا شك عامل مهم مساعد في

---

(١) العوتبي، أنساب، ورقة ١٦٨ ب. (أن اختيار المنصور لبني هناءة لتولي ولاية عمان لأنهم كانوا من أشرف الأزد «ورأس الأزد منهم بالبصرة وعمان وخراسان رؤساء عدة». العوتبي، ورقة ١٦٨ ب.

(٢) الأزكوي، كشف الغمة، ورقة ٣٢٨ ب، ـ السالمي، تحفة الأعيان ١/ ٨٨.

(٣) البسيوي، أبو الحسن على بن محمد، الحجة على من أبطل السؤال في الحدث الواقع بعمان، ورقة ١١ ضمن كتاب جامع السير في تراجم العلماء. مكتبة الإمام غالب بن علي بالدمام المملكة العربية السعودية.

رواج المذهب الأباضي بعمان والذي أصبح مذهباً رسمياً في ظروف سيادة الإمامة الأباضية في فترة «الظهورة».

كما أن الظروف الخارجية المحيطة بعمان المتمثلة بعدم وجود سلطة مركزية نتيجة الصراع بين الدولة الأموية والحركة السياسية المعارضة كحركة المعارضة الخارجية التي أنهكت قوى الدولة الأموية وحركة المعارضة العباسية التي استطاعت أن تقضي على الدولة الأموية وتحل محلها عام ١٣٢ هـ/ ٧٤٨ م[(١)] جعلت عمان بمنأى عن ميدان الصراع الذي شمل بلاد خراسان والعراق وبلاد الشام خاصة. إن مثل هذه الظروف لا تسمح للسياسيين في التفكير بالأقاليم البعيدة عن مراكز السلطة، وكان هدفهم الأول في مرحلة التأسيس توطيد أركان الدولة. ثم بدأوا بعد الاستقرار السياسي التفكير بعد سلطتهم على أطراف الدولة الإسلامية، ولما كادت الخلافة العباسية هي الوريث للدولة الأموية في حكم العالم الإسلامي آنذاك فإن إقامة إمامة إسلامية في عمان من قبل الأباضية هي الممثلة الشرعية للإمامة الإسلامية في العالم الإسلامي[(٢)]، ومثل هذه الإمامة تتصادم وطموحات العائلة العباسية الهادفة لحكم العالم الإسلامي، وهذا العامل المهم حفز السلطة العباسية للقضاء على الإمامة الأباضية الأولى عام ١٣٤ هـ/ ٧٥٠ م[(٣)] وعاملتهم كما عاملهم الأمويون من قبل كثوار على السلطة المركزية يستدعي إرجاعهم إلى حضيرة الخلافة العباسية، ومن ناحية أخرى أن العراق أصبح بقيام الخلافة العباسية حاضرة العالم الإسلامي ومركز التبادل التجاري، ولذا تضاعفت أهمية الطرق

(١) راجع: السالمي وعساف، عمان تاريخ يتكلم، ص ١٣١.
F. Omér The Abbasid Caliphate, 1969, 290.

(٢) الشماخي، شرح مقدمة التوحيد، ورقة ١٦ أ.

(٣) الطبري، الرسل والملوك ٧/ ٤٦٢.

البحرية والبرية المارة بعمان[1] بانتقال الخلافة من الشام إلى العراق. وهذا العامل يستدعي السيطرة على عمان للمحافظة على الخط التجاري الذي يربط بين البلدان الواقعة جنوب البحر العربي وشماله من ناحية تجارية، ولذلك جندت الدولة العباسية حملة عسكرية بقيادة خازم بن خزيمة التميمي في سنة ١٣٤ هـ/ ٧٥٠[2]، إن اختيار خازم بن خزيمة لقيادة هذه الحملة كان الغرض منه التخلص من خازم لقتله أخوال الخليفة العباسي أبي العباس السفاح، وبناء على مشاورة ونصيحة موسى بن كعب وأبي الجهم بن عطية عدل أبو العباس عن قتل خازم بن خزيمة واستجاب لمشاوريه الذين: «أشاروا عليه بتوجيهه إلى من بعمان من الخوارج إلى الجلندي وأصحابه وإلى الخوارج الذين بجزيرة ابن كاوان مع شيبان بن عبد العزيز اليشكري. . .»[3]، ولهذا الغرض أعد الوالي العباسي على البصرة سليمان بن علي سفناً لحمل خازم وجنده إلى جزيرة بن كاوان بناء على الأوامر التي صدرت له من الخليفة أبي العباس السفاح، كان عدد جنود هذه الحملة حوالي السبعمائة جندي، إضافة إلى الذين ضمهم خازم من أهل بيته ورجال من أهل مرو الروذ، وبني تميم من أهل البصرة[4]، وسارت هذه الحملة البحرية بقيادة خازم باتجاه جزيرة بن كاوان للقضاء على الخوارج الصفرية فيها الذين يقودهم شيبان بن عبد العزيز اليشكري الذي كان قد انسحب بالخوارج الصفرية من العراق إلى جزيرة بن كاوان عام ١٢٩ هـ بعد أن ضايقه

---

(١) الاصطخري، المسالك والممالك، تح محمد جابر عبد العال (القاهرة ١٩٦١) ص ٢٧.
ـ الدباغ، جزيرة العرب، ١١٥.
عمان تاريخ يتكلم، ص ٢٣.

(٢) الطبري، الرسل والمملوك، ٧/ ٤٦٢. ـ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٤/ ٣٤٣. ابن كثير، البداية والنهاية ١٠/ ٥٧.

(٣) المصدر السابق ٧/ ٤٦٢.

(٤) المصدر السابق. ـ ابن الأثير والكامل، ٤/ ٣٤٣. ـ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠/ ٥٧.

القائد الأموي عامر بن صنبارة واضطره على الانسحاب إلى جزيرة بن كاوان[١] الواقعة في البحرين. ، ويظهر أن الصفرية. بلغوا درجة من الضعف في سنة ١٣٤ هـ/ ٧٥٠ م لدرجة أن خازن بن خزيمة بعد أن أرسى سفنه في جزيرة بن كاوان وجه خمسمائة رجل من جنوده بقيادة نضلة بن نعيم النهشلي حيث استطاعوا أن يفضوا جموع الصفرية من هذه الجزيرة بعد قتال شديد[٢]، اضطروا فيه أن يركبوا السفن إلى منطقة جلفار[٣] الواقعة في شمال شرقي عمان، وفي هذه المنطقة التقت الأباضية بالصفرية ورفضوا أن يحل الصفرية في بلادهم، وقد أرسل الإمام الأباضي الجلندي بن مسعود قوة أباضية قادها الداعية الأباضي البصري يحيى بن نجيح وقد أرسله التنظيم الأباضي في البصرة إلى عمان مع هلال بن عطية الخرساني[٤] ولما كان يحيى بن نجيح مختصاً بجمع المال في البصرة[٥]، فمن المحتمل أنه حمل مساعدات الأباضية في البصرة لدعم الإمامة الأباضية بعمان وهذا يدل دلالة واضحة على ارتباط

---

(١) جزيرة كاوان: ويقال بن كاوان وهي جزيرة عامرة بالسكان، فيها مزارع وقرى تطل على ضفة الخليج العربي الغربية وتقع بين عمان والبحرين، ياقوت، معجم البلدان، ٢/ ٧٩.

(٢) الطبري، الرسل والملوك ٧/ ٤٦٣. ـ ابن الأثير كامل ٤/ ٣٤٣. وذكر العيون والحدائق خلافاً لما ذكره الطبري بأن أبا العباس أرسل إليه المسبح الحوري، فقاتله بجزيرة ابن كاوان فهزمهم شيبان، فذهب إلى عمان بعد هذه المعركة. وهذا خلاف ما ذكرته المصادر الأباضية أيضاً ـ. مؤلف مجهول، العيون والحدائق ٣/ ١٦٣. الرقيشي، مصباح الظلام، ورقة ٢٤ ب.

(٣) جلفار إحدى بلدان عمان وصفها ياقوت بأنها عامرة كثيرة الغدم والجبن والسمن تصدر منتوجاتها الحيوانية إلى المناطق المجاورة لها.
ياقوت، معجم البلدان ٢/ ١٠٤.

(٤) الرقيشي، مصباح الظلام، ورقة ٢٤ ب.

(٥) قال الشماخي: كان يحيى بن نجيح وديال «سعيهما أن يجمعا من الأغنياء للفقراء، أما يحيى فيخرج بجراب فيطوف على أغنياء المسلمين فمن حضر عنده الخبز أو التمر أو الرمان أو الدراهم وما حضر. ثم يطوف بما جمع على الفقراء ويفرق عليهم، ومات مع الجلند بن مسعود بعمان. .» السير، ص ١١٣ ـ ١١٤.

الجماعات الأباضية في كل مصر انتشرت فيه الدعوة سواء في عمان[1]، أو في خراسان والتي اشترك فيها الداعية الأباضي هلال بن عطية الخراساني[2]، في معاونة الجلندي بن مسعود في قيادة الجند الأباضي ضد الجيش العباسي الذي قاده خازن بن خزيمة.

معركة جلفار ١٣٤ هـ/ ٧٥٠ م:

وفي منطقة جلفار التقى الصفرية والأباضية يقودهم يحيى بن نجيح على رواية محجوب[3]، وفي رواية للأزكوي أن هلال بن عطية ويحيى بن نجيح قاضي الجيش الأباضي معاً في هذه المعركة[4]، وقبل بدأ المعركة التي وقف فيها الفريقان على شكل صفين قام القائد الأباضي يحيى بن نجيح على ما يرجح بدعوة الصفرية إلى المذهب الأباضي، وربما طلب إليهم الرجوع إلى النزوح عن عمان إلى منطقة أخرى، وكما يفهم من الرواية الأباضية أن يحيى بن نجيح «دعا بدعوة أنصف فيها الفريقين»[5] دون الإفصاح عما تضمنته هذ الدعوة ولكن المتبع في العادة لدى الأباضية عدم البدأ بالقتال، دون عرض المبادىء الأباضية على الخصم[6]، ويبدو أن الصفرية رفضوا العروض الأباضية، أو الاتفاق معهم لمواجهة الجيش العباسي وبهذا غدا الصفرية في موقف حرج جداً من الناحية العسكرية فهم غرباء على البيئة العمانية من ناحية ومن ناحية أخرى أصبحوا بين عدوين خازم بن خزيمة في جزيرة بن كاوان

---

(١) مصباح الظلام، ورقة ٢٤ ب.

(٢) البهلوي، عبدالله بن عمر الشقصي، قصيدة مخمسة في أمر الخلاف بين الصحابة، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٠٥٤٩ ب). ورقة ٧١ أ.

(٣) مصباح الظلام، ورقة ٢٤ ب.

(٤) الأزكوي، كشف الغمة، ورقة ٣٢٨. السالمي تحفة الأعيان ١/ ٩٤.

(٥) مصباح الظلام، ورقة ٢٤ ب.

(٦) الجيطالي، شرح قواعد الإسلام، ورقة ٢٦ أ.

بالبحرين وقوات الإمامة الأباضية في عمان والتي عسكرت في منطقة جلفار شمال شرقي عمان وفي هذه المنطقة وقعت معركة كانت خاتمة الرحلة الطويلة للخوارج الصفرية الذين جابوا المنطقة الشرقية للدولة الأموية وشرق الجزيرة العربية والتي ابتدأت منذ عام ١٢٧ هـ بقيادة الضحاك بن قيس الخارجي وانتهت بمقتل خليفته شيبان بن عبد العزيز اليشكري عام ١٣٤ هـ/ ٧٥٠ وانتصار الأباضية الذين فقدوا قائدهم يحيى بن نجيح في هذه المعركة(١)، وقد انتصر الأباضية في هذه المعركة لأنهم كانوا يقاتلون في أرض خبروها في حين كان الصفرية غرباء على هذه البيئة ثم أن الصفرية أصبحت قوة صغيرة منهكة بعد مطاردة الأمويين وأخيراً العباسيين الذين طردوهم من البحرين.

معركة جلفار الثانية:

وقعت معركة جلفار الثانية بعد هزيمة الصفرية مباشرة، إذ يظهر أن القائد العباسي خازم بن خزيمة كان متابعاً للصفرية(٢)، وقد خدمته ظروف العداء بين الأباضية والصفرية وكفاه الجلندي وأصحابه مؤونة قتال الصفرية والقضاء عليهم، ويبدو أن الأباضية كانوا في انتظار القوة العباسية التي أرست سفنها على ساحل عمان(٣)، إذ تشير الرواية الأباضية أن خازم لما وصل إلى عمان قال

---

(١) مصباح الظلام، ورقة ٢٥ أ ـ ويذكر الأستاذ أحمد عطية الله خطأ: أن الخليفة السفاح وجه قائده بن عبد العزيز اليشكري إلى عمان لاخضاع الجلندي بن مسعود (فقضى عليه الجلندي عام ١٢٩ هـ/ ٧٤٦ م) ثم أرسل إليه خازم بن خزيمة بعد ذلك:
عطية الله، أحمد، القاموس الإسلامي، مج ١ (القاهرة، ١٩٦٣)، ص ٦ كما وقع في نفس الخطأ الأستاذ محمد عبدالله عنان، إذ قال أن المنصور أرسل إليهم حملة بقيادة شيبان بن عبد العزيز. محمد عبدالله عنان، تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة (القاهرة، ١٩٥٤)، ص ١٩.

(٢) مصباح الظلام، ورقة ٣٠ الأزكوي، كشف الغمة، ورقة ٣٢٨ ب.

(٣) الرسل والملوك، ٧/ ٤٦٣.

للجلندي: «إنا كنا على أثر هؤلاء القوم وقد كفانا الله قتالهم على أيديكم أو نحو هذا، ولكني أريد أن أخرج من عندك إلى الخليفة وأخبره أنك له سامع مطيع»[1].

ويتضح من الرواية الأباضية أن خازم بن خزيمة طلب من الأباضية الاعتراف بالسلطة العباسية وعدم الخروج عنها. وأبدى مقابل ذلك استعداده للرجوع عن عمان، إلا أن روايات الطبري وغيره من المؤرخين الرواد تؤكد أن هدف الحملة كان غرضه القضاء على الخوارج الأباضية بعمان[2]، وربما أدرك خازم نوايا الخلافة العباسية للتخلص منه بإرساله إلى عمان فحاول أخذ السمع والطاعة من الأباضية دون قتال. كما أنه طلب من الإمام الأباضي الجلندي بن مسعود تسليمه «خاتم شيبان وسيفه ليكونا له حجة عند الخليفة»[3] فاستشار الجلندي بن مسعود علماء الأباضية[4] في تحديد موقفه من العروض التي قدمها

---

(١) مصباح الظلام، ورقة ٣٠ أ. ـ كشف الغمة، ورقة ٣٢٨ ب ـ ٣٢٩ أ.

(٢) الطبري الرسل والملوك، ٧/ ٤٦٢.

(٣) مصباح الظلام، ورقة ٣١ أ ـ كشف الغمة، ورقة ٣٢٩ أ.

(٤) ومن هؤلاء العلماء هلال بن عطية العماني وخلف بن زياد البحراني، وقد شاركوا بقتال العباسيين وعاصروا الجندي بن مسعود). تحفة الأعيان، ١/ ٩٥. ـ أما بالنسبة لخلف بن زياد البحراني، قال أبو المؤثر «كان خلف بن زياد مع الإمام الجندي في حرب خازم إلا أن مرضه حال دون اشتراكه في القتال فتخلف بمدينة أزكى ومات بها بعد الجلندي وكان منشأه بالبحرين وسافر إلى البصرة واعتنق الأباضية بعد لقائه بأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الإمام الأباضي الذي يرجع إليه الأباضية بأمورهم».
السالمي، تحفة الأعيان ١/ ١٠٣.
وقال البسيوي: «وقد عرفت من بعض المسلمين أن خلف بن زياد رحمه الله لما نشأ فوجد الناس مختلفين وقال أن لله ديناً تعبد به عباده لا يعذرهم بجهله والشك فيه فخرج يطلب ما كلف به كلما لقى فقيهاً أو منسوباً إليه سأله عن اعتقاده، فإذا أخبره قال له ديني خير من دينك حتى لقي أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة فكلما سأله عن شيء أخبره وعرف أن الحق ما قال أبو عبيدة وقال هذا دين الذي تعبد به عباده». الحجة على من أبطل السؤال. ورقة ٤.

خازم بن خزيمة، ولما كانت الخلافة العباسية حكومة ظالمة في نظر الأباضية فأشار عليه العلماء بعدم الركون إلى الظلمة(١)، ويشير السالمي أن خازم بين خزيمة كان مصراً على إخضاع عمان وإقامة الخطبة فيها للخليفة العباسي، ونتيجة لرفض الجلندي وأصحابه الخضوع للخلافة العباسية في العراق، فقد جرت معركة شديدة بمنطقة جلفار على ضفة الخليج العربي الغربية(٢)، انتصر في بدايتها الأباضية وأكثروا القتل في الجند العباسي وكان فيمن قتل أخو القائد العباسي خازم بن خزيمة مسلم الأرغدي أخيه لأمه، وكان على طلائع الجند العباسي نظلة بن نعيم النهشلي مساعداً لخازم بن خزيمة في هذه الحملة، ويشير الطبري أن عدد قتلى الأباضية في هذه المعركة تسعمائة قتيلاً، كما أحرقوا منهم تسعين رجلاً(٣)، وبعد سبعة أيام من هذه المعركة استعمل العباسيون أسلوباً جديداً في معاركهم للأباضية بعد أن استعصى عليهم الانتصار على الأباضية بسرعة وذلك بإحراقهم بيوت الأباضية المصنوعة من الخشب والخلاف، بعد أن وضعوا على رؤوس الرماح المشاقة وهي مادة مصنوعة من الكتان والقطن والشعر مشبعة بالنفط أضرموا فيها النار وحرقوا بها بيوت أصحاب الجلندي بن مسعود(٤) ففقدوا توازنهم العسكري وأصبح شغلهم الشاغل في هذه الحالة إنقاذ بيوتهم وعوائلهم فتمكن العباسيون من الانتصار عليهم بسهولة فقتل الجلندي بن مسعود(٥)، وهلال بن عطية الخرساني القائد

(١) مصباح الظلام، ورقة ٣١ ب. كشف الغمة، ٣٢٩ أ.
(٢) المصدر السابق، ٣١ أ.
(٣) الرسل والملوك، ٧/ ٤٦٣.
(٤) الرسل والملوك، ٧/ ٤٦٣. ابن خلدون، العبر مج ٣، ص ٣٨١. أمين أحمد، ضحى الإسلام، ط ١٠ (بيروت، لات) م ص ٣٣٧، ٣٣٨.
(٥) الطبري، ٧/ ٤٦٣. ابن الأثير الكامل في التاريخ، ٤/ ٣٤٣.
ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠/ ٥٧. ويشير ابن كثير خطأ إلى أن الجلندي إماماً للصفرية إذ يقول: «وقتل أمير الخوارج الصفرية وهو الجلندي» ص ٥٧.

الأباضي الذي أرسله أبو عبيدة مسلم لمعاونة الأباضية في عمان[١] وتشير الرواية الأباضية أن آخر من قتل في هذه المعارك الجلندي بن مسعود وهلال بن عطية الخراساني[٢]. وقد قتل من الأباضية في هذه المعارك زهاء العشرة آلاف أباضي كما ورد في رواية الطبري[٣]، إلا أن هذه الرواية فيها الشيء الكثير من المبالغة، لأن الحركة الأباضية كانت في بداية التأسيس ولو اجتمع لها هذا العدد من المقاتلة لما استطاعت الحملة العباسية المحمولة بالبحر من القضاء عليهم، وتصدق هذه الرواية فيما لو أضفنا عدد القتلى الذين أحرقت عليهم بيوتهم بما في ذلك الأطفال والنساء.

ثم أن الدعوة الأباضية في عمان بعد هذه المعركة استمرت تمارس نشاطها بحيوية كبيرة فازدهرت العقيدة الأباضية في عمان واعتنقها سواد الأمة وهنا يظهر الأثر العميق لسيطرة العقيدة الأباضية وتمكنها من نفوس العمانيين، وعلى هذا فإن السيطرة العباسية على عمان سيطرة عسكرية لم تجد التأييد من أهل المنطقة والراجح أنها عاشت كقوة معزولة في المنطقة الساحلية ذات الأهمية التجارية، ولم تتمكن من فرض سيطرتها على عمان سيطرة كاملة وبأمر من الخليفة أبي العباس السفاح رجعت القوة العباسية بعد أن أقامت عدة أشهر في عمان، وبعد أن أزالت الإمامة الأباضية في سنة ١٣٤ هـ[٤].

وخلافاً لما أورده لويكي (T. Lewicki) عندما ذكر في مقالته القيمة عن

---

(١) مصباح الظلام، ورقة ٣١ ب.

(٢) ابن رزيق، حميد بن محمد الدخلي، الفتح المبين في سير سادة البوسعيد ترجمة د. بادجر، نشر من قبل جمعية هكليت، ١٨٧٠، ص ٧.

(٣) الطبري، ٧/ ٤٦٣. الكتبي، صلاح بن محمد، عيون التواريخ، مخطوطة بمكتبة الإمام الحكيم تحت رقم ٧٩، ٣/ورقة ٧ أ. ابن الأثير الكامل ٤/ ٣٤٣. ابن خلدون، العبر، مج ٣/ ٣٨١.

(٤) الطبري، ٧/ ٤٦٣.

الأباضية بأن الإمامة الأباضية قد امتدت إلى حضرموت واليمن(١)، ووقع في الخطأ نفسه الدكتور إسماعيل محمود عندما يتكلم عن نجاح الدعاة الأباضية في إقامة دولة أباضية في عمان فيشير بأنهم «تمكنوا من فتح اليمن ثم زحفوا على الحجاز»(٢) إن الذي أوقع في الخطأ المستشرق (Lewiciki) ومن بعده الدكتور إسماعيل محمود لاعتمادهما على نص مقتضب أورده المؤرخ الأباضي البرادي أشار فيه إلى الأئمة الأباضية الذين ثاروا على الدولتين الأموية والعباسية يقول فيه: «ثم ثار قبل الوارث أيضاً الكلندا بن الجلند فاستولى على اليمن حتى استشهد رحمه الله»(٣). كما أن الدكتورإسماعيل محمود يقع في خطأ آخر حين يجعل من القائد الأباضي أبي حمزة المختار بن عوف قائداً لحملة عمانية توجهت إلى اليمن والحجاز ولكنه «انسحب من الحجاز واليمن وعاد إلى عمان وحضرموت» نتيجة لحملة أموية توجهت إليه من الشام(٤).

والواقع أن الحركة الأباضية الأولى قامت في حضرموت سنة ١٢٩ هـ، وامتدت إلى اليمن وبعدها قاد أبو حمزة المختار بن عرف حملة استولت على الحجاز وقد قتل في مكة سنة ١٣٠ هـ بعد أن توجهت إليه حملة أموية من الشام استطاعت القضاء على أول إمامة أباضية في اليمن في سنة ١٣٢ هـ(٥)، ثم أن المصادر التاريخية لا تذكر أن أبا حمزة المختار بن عوف ثار في عمان، ويبدو أن الدكتور إسماعيل محمود قد خلط بين حركة الأباضية في اليمن ١٢٩ هـ

---

(١) Enc. Of Islam, Leiden, 1971, Vol. 3, P. 652.

(٢) إسماعيل محمود، الحركات السرية في الإسلام، ص ٣٣.

(٣) البرادي، الجواهر المنتقاة، ص ١٧٠. ويلاحظ في النص أعلاه أن البرادي يسمى الجلندي ابن مسعود بالكلندا بن الجلند، وقد انفرد البرادي بهذه التسمية، كما أن البرادي يقع في خطأ آخر حين يقرن بين خروج عبدالله بن يحيى (طالب الحق) وخروج خوارج الجور نجدة بن عامر وأصحابه باليمامة» ص ١٧٠.

(٤) د. إسماعيل، محمود، الحركات السرية، ص ٣٣.

(٥) راجع الفصل الثالث من الرسالة (الحركة الأباضية في اليمن والحجاز).

والحركة التي قامت بعمان في سنة ١٣٢ هـ. ولكن الذي يحتمل حدوثه هو أن أباضية عمان بعد فشل الحركة في اليمن وحضرموت انسحبوا باتجاه المشرق عن طريق ظفار إلى عمان، ذلك أن الجلندي بن مسعود كان قد اشترك في بيعة عبدالله بن يحيى الكندي (طالب الحق[١]) وأخيراً فالدعوة الأباضية في عمان اقتصرت سيطرتها السياسية على عمان فقط دون غيرها من البلدان وانتهت هذه السيادة في سنة ١٣٤ هـ، لتظهر مرة ثانية، كما سنرى في فصل قادم.

بدايات التنظيمات الإدارية والإجتماعية للإمامة الأباضية الأولى:

بالرغم من أن العقيدة الأباضية أصبح لها تأثيراً كبيراً في مجرى حياة عمان السياسية، إلا أن قوى المعارضة القبلية التي تمثلت ببني الجلندي لا زالت محتفظة ببقايا تأثيراتها السياسية ويظهر أنها عارضت إمامة الجلندي بن مسعود فقد رفض البيعة جعفر بن سعيد الجلنداني وابنيه النظر بن جعفر وزائدة بن جعفر ونتيجة لهذا النقض، فقد ضربت أعناقهم برغم الصلات القبلية التي تربطهم بالإمام الأباضي[٢]، وعندما أبدى الجلندي بن مسعود حزنه على أقربائه، استنكر الأباضية عليه هذا الحزن «وقالوا: أعصبية يا جلندي؟ فقال لا ولكن الرحمة»[٣] ولهذا السبب طلب الأباضية منه اعتزال الإمامة إلا أنهم بعد ذلك رجعوا إليه وبإلحاح ليستمر بإمامتهم، وهنا نلاحظ أن العقيدة الأباضية كانت بطبيعتها الإسلامية المعتدلة عاملاً مهما من عوامل تفتيت الروح القبلية ومحاولة لتطبيق التعاليم الإسلامية في شؤون الحكم الإداري في عمان.

إتخذت التنظيمات الإدارية طابعاً إسلامياً ملتزماً بالمذهب الأباضي

---

(١) السالمي، تحفة الأعيان، ١/١٨٨.
(٢) كشف الغمة، ورقة ٣٢٩ ب. ـ السالمي، تحفة الأعيان، ١/ ٩٣.
(٣) تحفة الأعيان، ١/ ٩٣.

يعكس الاتجاه السياسي لهذه الإمامة وأهدافها في صبغ عمان صبغة أباضية ويلاحظ هذا واضحاً في تنظيم (الشراة)[١] من الناحية العسكرية، فقد قسموا على شكل مجموعات ولكل مجموعة تتكون من مائتين إلى أربعمائة عين لها قائد من أهل العلم والمعرفة والفقه والحزم وعلى كل عشرة مؤدب يعلمهم الدين ويؤدبهم على المعروف[٢]، وكان يمنح لهم عطاء شهرياً قدره سبعة دراهم في فترة ارتفعت فيها أسعار البضائع، إذ استحال على الكثير من الشراة الزواج لضعف قدراتهم المالية، كما أن النساء رفضن المهور القليلة والتي قدرها عشرة دراهم التي اقترحها فقهاء العراق الأباضية لمعالجة حالة العزوبة التي عاشها الشراة في عمان فبقي أغلب الشراة بدون عوائل[٣]، وهذه الظاهرة الاجتماعية ما هي إلا إنعكاس للإمكانيات الإقتصادية البسيطة للدولة الأباضية الوليدة وتكمن خلف هذه الحقائق ضعف السيطرة السياسية على عمان بصورة كاملة، ولهذا السبب علاقة مباشرة في جباية الضرائب، فالأباضية لا يأخذون الضرائب الشرعية إلا إذا ضمنوا حماية السكان فلهذه لم يأخذوا صدقات البحر (العشر) في هذا الوقت لأن الإمامة الأباضية غير قادرة على حماية التجار في البحر لهذا فقد تركت لهم حرية إعطاء هذه الضريبة[٤].

أما الموارد الإقتصادية التي اعتمدت عليها هذه الدولة، فالمعروف أن العمانيين أهل مراس وخبرة بالتجارة[٥]، بحكم موقع بلادهم التجاري على طرق المواصلات التجارية على البحر العربي من جهة الجنوب ومدخل الخليج العربي الذي يقع إلى الشرق من عمان، ثم إن عمان اشتهرت بجودة حاصلاتها

(١) السالمي، تحفة الأعيان، ١/ ٩١.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق أيضاً.
(٤) السالمي، المصدر السابق ١/ ٩١.
(٥) المسعودي، مروج الذهب، ١/ ١٢٨، ٣/ ٢٢٨.

الزراعية حيث تكثر العيون والينابيع في بعض جبالها مكونة الأنهار الصغيرة التي تسقي السهول الزراعية المتناثرة[١]، إضافة إلى المساعدات التي كانت ترد إلى عمان من مركز الدعوة الأباضية في البصرة لإسناد الإمامة الناشئة فيها.

ويبدو أن الجلندي بن مسعود وضع الولاة على المدن العمانية، فيذكر السالمي نقلاً عن أبي الحواري[٢]، أن أبا صالح الوضاح كان والياً للجلندي على مدينة أبرى، كما أنه استعمل القضاة وجباة الصدقة، كموسى بن أبي جابر الأزكوي والحسن بن عقبة، وجعفر بن بشير، وغيرهم[٣]. واشتهر من هؤلاء العمال على رواية أبي الحسن البسيوي شبيب بن عطية العماني الذي كان يجبي القرى ويسمى بالمحتسب.

كما أن الجلندي بن مسعود عمل على إدخال تنظيمات اجتماعية وخاصة فيما يتعلق بالمرأة العمانية، إذ فرض عليها اللباس الشرعي الذي أمرت به الشريعة الإسلامية، كما نهى النساء عن الجلوس في الطرقات العامة والخروج في بعض الأيام، وشمل هذا التغيير الرجال أيضاً إذ أمر بتقصير شعورهم وتقصير ملابسهم، ويبدو أن المجتمع العماني في تلك الحقبة قد ضم عدداً من أهل الذمة الذين أمروا بعدم تقليد الأزياء الإسلامية، كما منع الجلندي المسلمين التشبه بزي أهل الذمة[٤].

---

(١) المقدسي، أبو عبدالله محمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (ليدن، ١٩٠٦)، ص ٩٣. ـ ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم، رحلة ابن بطوطة، (بيروت، ١٩٦٠) ٢٧١.

(٢) تحفة الأعيان، ١/ ٨٩، ٩٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٩١.

(٤) تحفة الأعيان، ١/ ٩١.

عمان بعد زوال الإمامة الأباضية:

تحكمت بتاريخ عمان السياسي في هذه الفترة ثلاث قوى سياسية وهذه القوى بعضها غريب عن إقليم عمان، كالقوة العباسية التي تركزت في المنطقة الساحلية على ما يظهر باعتبارها قوى غريبة على القبائل الأزدية التي تشكل معظم السكان العمانيين أنذاك.

أما القوى الداخلية من الناحية السياسية فيمكن تقسيمها إلى قسمين:

القسم الأول: ويتمثل بقوى الدعوة الأباضية التي بدأت تفرض نفسها كمذهب إسلامي لهذا الإقليم.

القسم الثاني: القوى القبلية الموزعة على إقليم عمان، وكانت أقوى الكتل والجماعات القبلية آل الجلندي لأنها أعرق الجماعات القبلية التي حكمت عمان حتى عهد قريب[(١)]، إضافة إن قبائل أخرى مثل بني هناءة وغيرهم[(٢)] وعلى ضوء هذه الاعتبارات جرت الأحداث السياسية في هذه الفترة، فبعد زوال الإمامة الأباضية وانتقال السلطة بعمان إلى يد بني الجلندي الذين انقادوا للعباسيين حتى سنة ١٧٧ هـ[(٣)]، وكان أبرز هؤلاء محمد بن زائدة، وراشد بن النظر ويحتمل أنهما أولاد النظر بن جعفر وزائدة بن جعفر اللذان قتلهما الجلندي بن مسعود مع والدهما ـ كما ذكرنا سابقاً ـ وقد استطاعا أن يسيطرا على عمان، فعلى هذا تكون هذه العائلة الممثلة لقوى المعارضة للإمامة الأباضية قبل وبعد الجلند، وتظهر سيطرتهم بتعيين العمل على مدن وقصبات عمان[(٤)]. وفي نفس الوقت تشير المصادر الأباضية إلى قيام شبيب بن

---

(١) كشف الغمة، ورقة ٣٢٨ أ.

(٢) العوتبي، أنساب، ورقة ١٦٩، ١٦٥ ب.

(٣) تحفة الأعيان، ١/ ٩٧.

(٤) العوتبي، أنساب، ورقة ١٦٩ أ.

عطية بدور سياسي فعال بأمر الدعوة الأباضية بعد مقتل الجلندي بن مسعود إذ كان يجبي القرى في حالة غياب السلطة العباسية، أما إذا فرضت السلطة العباسية سيطرتها وجبت الضرائب، فإنه يكف يده ويعتزل الأمر، وهذا يدل دلالة واضحة على ضعف السيطرة العباسية ومن يواليها بعمان.

وقد اختلف الفقهاء ـ من حملة العلم ـ في تحديد مركزه السياسي ويظهر أنه لم يكن إماماً منصوباً متفق عليه من قبل علماء الأباضية لذلك حصل اختلاف في تحديد مركزه، فبعضهم تولاه كموسى بن أبي جابر الأزكوي، وبعضهم تبرأ من إمامته، ويظهر أن نشاط شبيب بن عطية السياسي وقع في فترة إمامة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة.

ويتضح من هذا الاستعراض لسيرة الدعوة الأباضية بعمان أن فشل الأباضية في إقامة كيان سياسي لم يفت في عضد دعاتها، واستطاعوا أن يمهدوا لقيام إمامة أباضية فيما بعد امتدت من سنة ١٧٧ هـ حتى سنة ٢٨٠ هـ.

بداية ظهور الدولة الجديدة

كان من أبرز السمات التي سادت عمان قبل قيام الدولة الأباضية الفوضى القبلية[١] ونشوب صراع بين بعض القبائل الأزدية، ففي عام ١٤٥ هـ/ ٧٦٢ م حيث احتدم النزاع بين بني هناة بزعامة «سعد بن غسان بن سعيد الهنائي من بني محارب وهو الذي وقع بنزوى ونهبها وهزم بني نافع وكانت الدايرة على بني نافع وبني هميم بعد أن قتل منهم خلق كثير»[٢] وبنو نافع وهميم ينتمون لبني الحارث الأزديين[٣].

وقد أغضبت هذه الإعتداءات بني الحارث القاطنين في منطقة أبرا[٤]

---

(١) يؤكد المستشرق ولكنسون بأن القبيلة تعتبر المظهر الأول الذي تحكم في تاريخ عمان ـ راجع.
Wilkinson, The Origins Of The Omani State (In The Arabian Peninsula) P. 67.

(٢) العوتبي أنساب العرب ورقة ١٦٩ ب ـ كشف الغمة ورقة ٣٢٩ ب ـ السالمي، تحفة الأعيان ١/ ١٠٧.

(٣) السالمي تحفة الأعيان ١/ ١٠٧.

(٤) أبرا: تقع أبرا في المنطقة الشرقية بعمان جنوب شرقي مدينة نزوى وهي من أكبر المدن في هذه المنطقة في يومنا هذا د. السعدي، فاضل عباس عمان ـ مجلة رسالة الإسلام العدد ٧ و ٨ بغداد، ١٣٩٠ هـ ص ١٩٥.
لوريمر دليل الخليج الجغرافي ١/ ١١٣٤.

وقرروا الثأر لبني قبيلتهم المستقرين في نزوى[(١)] وقادهم زياد بن سعيد البكري فأجمع مع بني «الحارث على الفتك بغسان فوجدوه وقد وصل لرجل من بني هنأة. . وكان مريضاً فجلسوا له. . بموضع يقال له الخور فمر بهم وهو لا يشعر بمكانهم فقتلوه عند المقصرة»[(٢)] ونتيجة لمقتل سعد بن غسان الهنائي قد قام منازل بن خبش العابري الهنائي وكان عاملاً لمحمد بن زائدة وراشد بن النظر الجلندانيين بالإغارة على بني الحارث في منطقة أبرا وقتل أربعين رجلاً منهم[(٣)].

إن دراسة الصراع والتكتلات بين هذه القبائل سيلقى الضوء على موقف القبائل من الدعوة الأباضية وقد تركت هذه النزاعات آثارها في مجرى الحياة السياسية بعمان حوالي قرن من الزمان حتى سقوط الدولة الأباضية في ٢٨٠ هـ ـ ٨٩٣ م قد تكتلت في ضوء هذه الأحداث قوى المعارضة للدولة الأباضية فوقف بنو هنأة إلى جانب بني الجلندي الذين يهدف الأباضية لإزالتهم عن السلطة لموقفهم المعارض للدعوة الأباضية ولمعاونتهم للعباسيين من ناحية أخرى[(٤)].

---

(١) مدينة نزوى: من أهم المدن الداخلية بعمان تقع جنوب الأخضر وتعتبر من أهم المراكز الإدارية قديماً وحديثاً، انظر السعدي المصدر السابق ص ١٨٩ ـ ١٩٤، وقد وصفها الجغرافيون والرحالة، فقال عنها المقدسي: «في حد الجبال كبيرة، بنيانهم طين والجامع وسط السوق». المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٩٣ وخير وصف لهذه المدينة للرحالة ابن بطوطة إذ وصفها بأنها «قاعدة هذه البلاد، وهي مدينة نزوى، مدينة تقع في سفح جبل» ابن بطوطة أبو عبدالله محمد بن إبراهيم، رحلة ابن بطوطة، (بيروت، ١٩٦٠) ص ٢٧١.

(٢) العوتبي، أنساب، ورقة ١٦٩ ب ـ الأزكوي، كشف الغمة ورقة ٣٢٩ ب. السالمي، التحفة، ١/١٠٧ ـ ١٠٨.

(٣) العوتبي، م، ن الأزكوي، م ن. السالمي التحفة ١/١٠٨.

(٤) السالمي، التحفة ١/٩٧.

إعلان الإمامة الأباضية:

لم يستطع بنو الجلندي بزعامة محمد بن زائدة، وراشد بن النظر، توطيد الأمن لحكمهم نتيجة للاضطرابات القبلية التي ذكرناها سابقاً، وكانت آخر هذه الاضطرابات خروج غسان بن عبد الملك إحدى الشخصيات المعارضة لحكم راشد بن النظر الجلندي، وقد استثمر فقهاء الأباضية وحملة العلم هذه الاضطرابات لصالح الدعوة، محاولين إزالة آل الجلندي عن حكم عمان ولهذا وقف الفقيه الأباضي موسى بن أبي جابر الأزكوي ومحمد بن عبدالله بن حساس مساندين لغسان بن عبد الملك رغم أنه «ممن لم تحمد سيرته»[1] كما أن الأباضية وشيوخهم كانوا على علم بظلمه ومع ذلك وقفوا إلى جانبه، ولا يمثل هذا الموقف من الناحية النظرية المبادىء الأباضية التي تقضي بعدم معاونة الظالم[2] ثم إن الخروج على الباغي أو جهاد المشرك لا بد أن يتم مع إمام ملتزم بآداب الحرب من الوجهة النظرية لدى الفقهاء الأباضية[3]، إلا أن هذا الموقف من الناحية العملية مهد لنجاح الدعوة الأباضية، ويدل هذا الأسلوب على نضج سياسي وعدم الجمود على أفكار السلف في الوقوف والتبري من الظالم، وهنا نلاحظ أن الأباضية استفادت من هذه المواقف إلى أبعد حد ممكن فعللوا مساندتهم لغسان بن عبد الملك لصالح الدعوة وقالوا «في جواز الخروج مع الظالم على من هو أظلم منه»[4] مستغلين القوى الأخرى لضرب أعدائهم على الرغم من اختلاف المبادىء والأهداف السياسية.

---

(١) السالمي، التحفة، ١/١٠٨.
(٢) أبو المؤثر، كتاب الأحداث والصفات، ورقة (٢).
(٣) البسيوي، مختصر البسيوي، (زنجار، ١٣٠٤).
الباب الثامن في الجهاد ص ٦ فما بعد.
(٤) السالمي التحفة ـ ١/١٠٨.

ومثل هذه المواقف المرحلية التي تراعي ظروف الحركة من حيث القوة والضعف لم نألفها في حركات الخوارج كالأزارقة الذين امتازوا بمواقفهم المتزمتة وأوجبوا «امتحان كل من التحق بهم، ليتأكدوا من مطابقة أرائه لعقائدهم وأفكارهم»[1]، فإذا اجتاز الإمتحان سمحوا له بالقتال في صفوفهم وإلا قتلوه[2].

وعلى أثر حملات التبشير الواسعة للدعاة من حملة العلم الأباضية واستغلالهم للصراع القبلي تهيأت الظروف المناسبة لإزالة آل الجلندي وإعلان الإمامة الأباضية ويشير الأزكون إلى ذلك فيقول «ثم إن الله منّ على أهل عمان بالألفة على الحق فخرجت عصابة من المسلمين ـ الأباضية ـ فقاموا بحق الله وأزالوا ملك الجبابرة»[3] وكانوا قبل بدأ حركاتهم في حالة من الضعف والفرقة ويشير البسيوي موضحاً طبيعة الحركة بقوله «فإن المسلمين كانوا مستضعفين متفرقين لا يوالون أحد من أصحاب راشد ولا من ولاته، خرجوا عليه من قرى شتى من قبائل شتى حتى جمعهم الله بعد الفرقة وكثرهم بعد القلة، لا يطلبون ملك الدنيا، وإنما يطلبون نصر دين الله وإظهار سنن العدل»[4] ويتضح لنا من هذا النص أن الحركة الأباضية لم تكن لتتسم بطابع قبلي معين، كما أنها لم تكن حركة منطقة معينة لخروج الدعاة من مختلف القرى العمانية وهذا الأمر طبيعي بالنسبة للحركة الأباضية التي دخلت إلى عمان كدعوة فكرية لا تقر بالأفكار القبلية والإقليمية.

---

(١) الدجيلي، محمد رضا، فرقة الأزارقة، ص ٨٠ ـ ٨١.
(٢) المصدر نفسه، ص ٨١.
(٣) الأزكوي، كشف الغمة، ورقة ٣٢٩ ب ـ ابن رزيق، سادة وأئمة عمان ص ٩ ـ السالمي، التحفة ١/١٠٨.
(٤) البسيوي، أبي الحسن علي بن محمد، الحجة على من أبطل السؤال في الحدث الواقع بعمان، ورقة ٧.

وقد تجلى في هذه الحركة الدور القيادي لمدرسة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة فقام طلابه من حملة العلم[١] بالتهيؤ والإعداد للثورة وجمعوا الأباضية من شتى القرى العمانية وقد تمت عملية جمعهم بعد أن جرت مكاتبات بينهم «فتكاتبوا وهم يومئذٍ أهل ضعف فاجتمعوا وتآلفوا على إقامة الحق»[٢] وقام محمد بن المعلى الكندي «وهو أول من قام في دولة الأباضية بعمان»[٣] بقيادة الأباضية في حربهم لراشد بن النظر الجلندي ورفع شعارهم المعروف (لا حكم إلا لله) إيذاناً ببدأ الحركة الأباضية[٤]. ويظهر أن الأباضية تجمعوا في منطقة الظاهرية[٥].

في حين حشد راشد بن النظر أتباعه في منطقة قبائل مهرة الواقعة جنوب عمان ثم اتجه شمالاً إلى منطقة الظاهرة[٦] «إلى أن صار بالمجازة من ناحية الغابة فأتى إليه المسلمون فألفوه بالمجازة من أرض الظاهرة شرقي الوادي منها»[٧] واستطاع الأباضية أن يهزموا راشد بن النظر في واقعة المجازة الحاسمة في شهر رمضان عام ١٧٧ هـ/ ٢٩٣ م وعلى أثرها ترك راشد بن النظر مدينة نزوى وكان من نتائج هذه المعركة زوال سلطة العباسيين وحلفائهم من آل الجلندي عن غسان. وبهذا تعتبر واقعة المجازة البداية الحقيقية للدولة

---

(١) أطفيش، الإمكان فيما جاز أن يكون أو كان ص ٩ ـ ١١.
(٢) السالمي، التحفة، ١/ ١٠٩.
(٣) العوتبي، الأنساب، ورقة ٩٣ م.
(٤) السالمي، التحفة، ١/ ١٠٩.
(٥) تقع الظاهرة شمال غربي مدينة نزوى وتقع فيها جبال الحجر الغربي، السعدي المصدر السابق، ص ١٩٥.
ويقول عنها العبري «حوزة الأرض التي فيها بلد عبرى والسليف والعراقي والعينين والدريز تسمى الظاهرة لظهورها عن الجبال التي تكشف أرض الجوف» انظر الملحق الجغرافي بكتاب العقود الفضية في أصول الأباضية لإبراهيم بن سعيد العبري، ص ٢.
(٦) السالمي ـ المصدر نفسه.
(٧) السالمي ـ المصدر نفسه، ١/ ١٠١.

الأباضية في عمان فعلى أثر هذه المعركة بدأ الأباضية يعينون عمالاً منهم على ولاياتها وقاموا بجمع الصدقات الشرعية من أهلها[١].

ويشير السالمي أن الأباضية رجعوا إلى منطقة منح بعد واقعة المجازة وأرسلوا إلى مدينة أزكى رسلهم تدعو الفقيه الأباضي موسى بن أبي جابر الأزكوى للحضور لتقرير مستقبل الإمامة الجديدة ويظهر أن منح هي إحدى نواحي نزوى التي حمل إليها موسى بن أبي جابر الأزكوي[٢] وكان آنذاك مريضاً، وعن هذا الاجتماع يقول الأزكوي «أن المشايخ والعلماء من أهل عمان اجتمعوا في نزوى، وكان رئيسهم وعميدهم موسى بن أبي جابر الأزكالي». وقد حضر هذا الاجتماع بشير بن المنذر ومحمد بن المعلى[٣]. وهما من طلاب أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وكانوا قد تلقوا دروسهم في الفقه والسياسة في مدينة البصرة مركز إشعاع الفكر الأباضي آنذاك[٤].

وقد تمخض هذا الاجتماع عن نتائج هامة تجلب فيها الشخصية الحكيمة والسياسة الرشيدة والإدراك العميق لطبيعة الأمور لدى عميد الدعوة الأباضية موسى بن أبي جابر، فقد أدرك أن بعض الرؤساء الحاضرين يطمعون في رئاسة الدولة «وقد حضر معهم رؤساء لا يؤمنون على الدولة فخاف الشيخ موسى أن لا يكون المسلمون يداً إن تقع الفتنة»[٥] فاتخذ اجراء مناسباً يجنب الكيان الجديد من الانشقاق والخصومات التي تحدث عادة بعد نجاح الثوار في الاستيلاء على مقاليد الأمور فقرر بعد مشاورة مشايخ الأباضية بتعيين قيادتي

(١) م.
(٢) الأزكوي، كشف الغمة، ورقة ٣٣٩ ب ـ ابن رزيق، سادة وأئمة عمان ص ١٠.
(٣) السالمي ـ التحفة ١/ ١١٠.
(٤) العوتبي، الأنساب، ورقة ١٧٠ ب ـ اطفيش، الإمكان فيما جاز أن يكون أو كان ص ٩.
(٥) الأزكوي، كشف الغمة ورقة ٣٢٩ ب ـ الرقيشي مصباح الظلام، ورقة ٣٢ أ.

الدعوة على الأقسام الإدارية المهمة بعمان فقال موسى بن أبي جابر لمحمد بن المعلى الكندي «وقد ولناك صحار[1] وما يليها فأكفنا أمرها»[2] وبهذا تولى الأقسام الساحلية الواقعة شرق عمان أو ما تسمى بمنطقة الباطنة.

أما المنطقة الداخلية التي تركزت فيها الدعوة الأباضية فقال موسى بن أبي جابر «قد ولينا بن أبي عفان نزوى وقرى الجوف»[3].

ويظهر أن محمد بن أبي عفان قد شارك في قتال راشد بن النظر وكان قائداً من قواد الدعوة الأباضية، ويشير السالمي أن «محمد بن عبدالله بن أبي عفان كان رجلاً من اليحمد إلا أنه نشأ في العراق وكان من أهل العراق فقدموا به إلى عمان»[4] ويتضح من خلال هذا النص الصلة الوثيقة بين أباضية البصرة وعمان، وكما يؤكد مرة أخرى أن جذور الدعوة الأباضية بدأت في العراق ويظهر أن بعض (حملة العلم) من علماء الأباضية اتجهت أنظارهم لموسى بن أبي جابر الأزكوي لتولي إمامة الدولة الأباضية، باعتباره أبرز الشخصيات العقائدية والسياسية أو لخدماته الكبيرة التي قدمها للدعوة الأباضية إلا أن

---

(١) مدينة صحار تقع إلى الشمال الغربي من مسقط على مسافة ١٢٥ ميلاً وهي ذات مرفأ ذو خليج صالح للملاحة، السعدي، رسالة الإسلام العدد نفسه، ص ١٩٠ وقد وصفها الجغرافيون الساعون فقال الاصطخري «وهي على البحر وبها متاجر البحر وقصد المراكب، وهي أعمر مدينة وأكثرها مالاً، ولا تكاد تعرف على بحر فارس، بجميع بلاد الإسلام مدينة أكثر عمارة وما لا من صحار».
وبهذا تظهر الأهمية الاقتصادية لمدينة صحار ويظهر أنها كانت المركز الإداري المهم بعد مدينة نزوى في هذه الفترة كما يبدو ـ الاصطخري، أبو إسحق إبراهيم بن محمد، المسالك والممالك (ليدن، ١٩٢٧) ص ٢٥ ـ ووصفها المقدسي فقال «صحار قصبة عمان ليس على بحر الصين بلد أجل منه. . . وهم في سعة من كل شيء دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق» المقدسي، أحسن التقاسيم ص ٩٢.
(٢) السالمي، التحفة ١: ١١٠.
(٣) كشف الغمة، ورقة ٣٢٩ ب.
(٤) السالمي، التحفة ١: ١١١.

موسى بن أبي جابر فضل المصلحة العامة للدعوة الأباضية على مصلحته الشخصية آخذاً بنظر الاعتبار طموح كل من دعاتها الكبار لتولي شؤون الإمامة فعندما طلب موسى بن أبي جابر من محمد بن عبدالله ليتولى نزوى وقرى الجوف «فقال الشيخ أبو المنذر بشير بن المنذر قد كنا نرجو أن نرى ما نحب والآن قد رأينا ما نكره»[١] ثم قال له: «قد كنا رجوناك يا أبا علي أن تسير بهذه الدولة فرددتها إلى هؤلاء الذين يخافون على الدولة، فقال موسى بن أبي جابر إنما كان نظري يا أبا الحكم للدولة»[٢]، «واعلمه إنما أراد أن يفرقهم لئلا تقع الفتنة»[٣] ويتضح لنا من خلال هذه النصوص أن هناك اتجاه سائد يدعو موسى ابن أبي جابر لتولي الإمامة.

إمامة محمد بن عبدالله بن أبي عفان:

هو محمد بن عبدالله بن عفان، ينتمي لقبيلة اليحمد الأزدية، نشأ وترعرع في العراق، وعلى هذا فهو من أباضية العراق، قدم به أباضية عمان إلى بلدهم عندما فكروا بإقامة الإمامة الأباضية فيهم[٤]. ويظهر أنه كان قائداً من قواد الدعوة الأباضية[٥] الذين اشتركوا في قتال راشد بن النظر الجلندي. وفي رواية للسالمي أن موسى بن أبي جابر أراد أن يبايع محمد بن المعلى كإمام شاري لخدماته التي بذلها في مرحلتي الكتمان والظهور.

إلا أنه لم يبد استعداداً لقطع الشرى فبويع بدله محمد بن عبد الله بن أبي عفان بعد أن أبدى موافقته لقطع الشرى، فلما استتبت له الأمور عين ولاة جدد

---

(١) كشف الغمة، ورقة ٣٢٩ ب.
(٢) السالمي، التحفة ١: ١١٠.
(٣) كشفة الغمة ورقة ٣٣٠ م.،
(٤) السالمي، التحفة ١/١١١.
(٥) البسيوي، الحجة على من أبطل السؤال في الحدث الواقع بعمان ورقة ١٧.

غير أولئك الذين عينوهم بعد واقعة المجازة، وبمبايعته ابتدأت هذه الدولة في شهر رجب عام ١٧٧ هـ/ ٧٩٣ م(١). ويظهر أن إمامته كانت إمامة دفاع حتى تضع الحرب أوزارها وقد انفرد السالمي بالقول بأن إمامته إمامة شرى(٢).

فقد أكدت روايات موثقة للشيخ الفقيه أبي الحسن البسياني(٣) ما ينقض رواية السالمي يقول البسيوي «فإن ادعى مدعي أن قد تقدم في هذا عزل إمام على إمام دافع إلى أن تضع الحرب أوزارها بشرط، وقال آخرون: كان أمير جيش وليس بإمام ولم يجتمعوا على إمامته ولا وجدنا أحداً يتولاه من أهل الدعوة»(٤).

وفي هذه الرواية أمور ثلاث:

الأمر الأول: الطعن في عدالة ابن أبي عفان وهذا ما أجمع عليه جميع المؤرخين والفقهاء والأباضية.

الأمر الثاني: أنه إمام دفاع ولو أن البسيوي يشكك في هذا الاحتمال، أما قوله كونه إمام جيش وليس بإمام فهو يخالف للواقع لأنه حكم عمان أكثر من عامين وبايعه موسى بن أبي جابر الأزكوي(٥).

الأمر الثالث: أما عدم توليه من قبل أهل الدعوة لسوء سيرته ولأنه لم يكن

---

(١) السالمي، التحفة ١/ ١١١.
(٢) كشف الغمة، ورقة ٣٣٠ أ.
(٣) أبو الحسن البسيوي، من أبرز علماء الأباضية في القرن الخامس الهجري. عاصر الإمام راشد بن سعيد ت ٤٤٥ هـ وتوفي قبل عام ٤٧٢ هـ حيث لا يرد له ذكر بعد هذا التاريخ، وقوله حجة على أهل الدعوة.
الحارثي: العقود الفضية في أصول الأباضية، ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨..
(٤) البسيوي، الحجة على من أبطل السؤال، ورقة ١٧ ـ ١٨.
(٥) كشف الغمة، ٣٣٠ أ.

إماماً شارياً عادل السيرة حتى تجب ولايته على الجميع[١].

إلا أن البسيوي يؤكد في رواية أخرى إمامة محمد بن عبد الله بن أبي عفان بقوله: «فبايعوا لابن أبي عفان حتى تضع الحرب أوزارها من عمان ثم الأمر شورى بين المسلمين، لأن المسلمين لا يجهلون فضل الشورى. . .»[٢] ويؤكد رأي البسيوي وما رواه الأزكوي أن موسى بن أبي جابر قال: «قد ولينا ابن أبي عفان نزوى وقرى الجوف وأحسب أنه قال حتى تضع الحرب أوزارها»[٣] وهذه الصفات تنطبق على إمام الدفاع بقول الجيطاني «والدفاع من الفروض الواجبة إذا عدم الظهور وهو اجتماع الناس على إمام يقدمونه عند مقاتلتهم للعدو الذي أدهمهم فإن زال القتال زالت إمامته»[٤] كما أن الجيطالي حين يضع قائمة بأئمة عمان في الفترة المعنية بالبحث لا يذكر محمد بن عبدالله بن أبي عفان من هؤلاء الأئمة[٥]. من كل هذا يمكن الاستنتاج بأن إمامته إمامة دفاع لا شري وإذا قبلنا رواية السالمي السابقة[٦] فيحتمل أنه بويع على الشري بعد الدفاع ويبدو أن شخصيته العسكرية هي مهدت له طريق الوصول إلى الإمامة.

قوى المعارضة الداخلية للإمامة الأباضية الجديدة:

كانت مهمة محمد بن عبد الله بن أبي عفان شاقة وصعبة في مواجهة

---

(١) الجيطالي: شرح قواعد الإسلام، ورقة ١٨ ب فما بعد (الفصل الرابع بحث في ولاية البيضة): .
(٢) البسيوي، الحجة على من أبطل السؤال، ورقة ٢٢.
(٣) كشف الغمة، ٣٣٠ أ.
(٤) الجيطالي، شرح قواعد الإسلام، ورقة ١٦ أ، ١٦ ب. .
(٥) المصدر نفسه ورقى ١٦ أ.
(٦) السالمي التحفة ١ - ١١١.

التكتلات والأحلاف القبلية السابقة وكان على الإمامة أن تتحمل تبعاتها لاعتمادها على بعض أطراف النزاع القبلي في فرض سيطرتها على عمان فقد اعتمد محمد بن عبدالله بن أبي عفان على سعيد بن زياد البكري للقضاء على الفتن والاضطرابات في المنطقة الشرقية[١] أو ما يسمى بأهل الشرق كما يصطلح عليه العمانيون[٢] وقد استطاع سعيد بن زياد من اخماد هذه الفتن والاستيلاء على هذه المنطقة وأراد دمارها انتقاماً لبني الحارث من أهل نزوى وأهل أبرا الذين أوقع بهم بنو هناة أبان حكم راشد بن النظر بن الجلندي في عام ١٤٥ هـ/ ٧٦٢[٣] وقد بارك له أعماله الانتقامية الشيخ موسى بن أبي جابر فيقول السالمي: «فلما وصل إليهم وكان بينه وبينهم ما كان، وظهر عليهم سعيد، واستولى على بلادهم وأراد دمارها بعث رسولاً إلى موسى بن أبي جابر»[٤] ليأخذ رأيه في قطع نخيل بنو نجو فأجاب فقال موسى لرسوله «ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين».

وتحت ستار هذه الفتوى أنزل سعيد الدمار في المزروعات والديار انتقاماً لبني قومه من بني الحارث خروجاً على آداب الحرب الإسلامية[٥]. فأثار بإجرائه هذا كبار الدعاة المعاصرين لمحمد بن عبدالله بن أبي عفان وحملوه مسؤولية أعمال سعيد بن زياد البكري فاعتبر أبو أيوب وائل بن أيوب الحضرمي

---

(١) السالمي، المصدر السابق، ص ١١٢.

(٢) الشرقية: المنطقة الواقعة إلى الجنوب الشرقي من عمان الوسطى مركز الإمامة وفيها تقع جبال الحجر الشرقي. السعدي، مجلة رسالة الإسلام العدد السابق، ص ٥١٩٥ ولا يعنون بالشرقية شرق عمان كله «وقد اصطلح أهل عمان فيما بينهم على قسمة تسمية نواحيها للتميز فسموا ما كان شرقي بلدان العوامر إلى آخر حدود بديه بالشرقية العقود الفضية في أصول الأباضية الملحق، ص ٢.

(٣) العوتبي، ١٦٩ ب.

(٤) السالمي ـ المصدر السابق، ص ١١٢.

(٥) السالمي التحفة ١: ١١٢.

أعمال سعيد أضراراً ببيت مال الدولة[١]. وقد وثق قول وائل بن أيوب المجتهد الأباضي محمد بن محبوب من علماء أواخر القرن الثاني، وأوائل الثالث الهجري[٢]. استنكاره للأعمال التي قام بها سعيد يقول: «ما سمعنا عن أحد من قواد هذه الدولة أولها ولا آخرها صنع ولا سار في حربهم بشرٍ مما صنع سعيد بن زياد البكري، من سفك الدماء وترك المعروف»[٣] وقد تحمل ابن أبي عفان مسؤولية هذه الأعمال فكانت من الأسباب التي افتقدته تأييد قادة الدعوة وخلعه عن الإمامة ومما يؤيد ذلك أن الإمام الذي خلفه في الإمامة اتخذ إجراماً بإبعاد سعيد بن زياد البكري إلى البحرين، لكي يرضى علماء الأباضية من جهة ويخفف من حدة العصبيات القبلية بين بني هناة وبني الحارث الذين ينتمي لهم سعيد بن زياد البكري من جهة أخرى[٤].

ونتيجة لسلوكه المجافي لتعاليم الدعوة الأباضية واستبداده بالأمور وصدوده وابتعاده عن فقهاء الدعوة في عمان وعدم الأخذ بنصائحهم مع ما كان لهم من يد طولى في خلع الإمام أو تنصيبه فلم يدرك محمد بن عبدالله بن أبي عفان انشداد الشيعة الأباضية لأئمتها الفقهاء وسيطرتهم الروحية على النفوس ويعبر البسيوي عن ذلك فيقول: «ظهرت منه أمور جفا فيها وجعل يستخف بحقوق أشياخ المسلمين ويفسق عليهم»[٥] ونتيجة لهذه السيرة المرفوضة طعن الكتّاب الأباضية في شخصيته ولم يجعلوه في عداد أئمتهم من الناحية النظرية

---

(١) المصدر، نفسه ص ١١٣.

(٢) توفي محمد بن محبوب سنة ٢٦٠ هـ في إمامة الصلت بن مالك وكان قاضياً له بمدينة صحار، العقود الفضية في أصول الأباضية ص ٢٥٥.

(٣) السالمي، المصدر نفسه.

(٤) العوتبي ـ ورقة ١٦٩ ب.

(٥) البسيوي ـ الحجة على من أبطل السؤال، ورقة ٢٢. ـ يقول الأزكوي وبلغني إنما الذي أنكروا عليه جفوته للمسلمين ورده للنصائح» كشف الغمة، ورقة. ٣٣ أ. السالمي، جوهر النظام في علم الأديان والأحكام ٣/ ١٢٠.

بالرغم من حكمه الذي استمر لمدة سنتين وشهر[١] ولهذا السبب وغيره من الأسباب التي ذكرناها قرر الأباضية خلعه من الإمامة «فعملوا له حيلة وأخرجوه من عسكر نزوى»[٢] والغرض من اخراجه من مدينة نزوى ربما لابعاده عن مؤيديه في معسكر نزوى «فلما خرج اجتمعوا فأخذوا إماماً وعزلوه»[٣] وذلك في سنة ١٧٩ هـ إذ انتخبوا الوارث بن كعب الخروصي بدلاً منه[٤].

وأخيراً يتضح لنا أن هذه الإمامة كانت إمامة دفاع ومن سمات هذه الإمامة المدافعة داخل حدود الإمامة، وقد وضح ما جرى من أحداث وعصبيات مضادة لهذه الإمامة تركزت بصورة خاصة في المنطقة الشرقية من إقليم عمان.

إمامة الوارث بن كعب الخروصي:

هو الإمام وارث بن كعب الخروصي من اليحمد[٥]. سمي بالخروصي نسبة إلى بني خروص[٦] حيث كان يسكن قرية هجار الواقعة في هذا الوادي ويظهر أنه كان فلاحاً يعمل في الزراعة[٧] ولا تشير المصادر الأباضية المتوفرة

---

(١) انظر السالمي، التحفة١: ١١٢، ١١٣. الجيطالي، شرح قواعد الإسلام ورقة ١٦ ب، العقود الفضية في أصول الأباضية، ص ٢٥٣.
(٢) كشف الغمة، ورقة ٣٣٠ أ.
(٣) كشف الغمة، ورقة ٣٣٠ أ.
(٤) المصدر نفسه، السالمي التحفة أ: ١١٤. د عمر، فاروق، العباسيون الأوائل، جـ ١، ص ٢٥٣. العقود الفضية في أصول الأباضية، ص ٢٥٣.
(٥) سمي بالخروصي نسبة إلى خروص بن شارى بن اليحمد جد قبيلة بني خروص وقد أضيف الوادي إلى هذه القبيلة أي قبيلة بني خروص فقيل «وادي بني خروص»، لأن هذه القبيلة تقطن الوادي المذكور.
(٦) كشف الغمة ورقة ٣٣٩ أ. الرقيشي، مصباح الظلام، ورقة ٢٥ ب ـ العقود الفضية في أصول الأباضية، ص ٢٥٣.
(٧) السالمي، التحفة، أ: ١١٥.

عن معلومات أخرى عن سيرته الذاتية ما قبل الإمامة.

وقد اشترك بصورة فعلية في عزل محمد بن عبدالله بن أبي عفان عن الإمامة في رواية للسالمي عن أبي محمد الفضل بن الحواري[1] يقول، «وقد خرج وارث يريد العسكر مناظراً محتجاً لابن أبي عفان، إذ أرادوا عزله»[2] وقد خرج بصحبة موسى بن أبي جابر الأزكوي الذي حملوه على سرير (من أزكى إلى نزوى لكبر سنه)[3] وفي مدينة نزوى مقر الإمامة الأباضية عقد له الإمامة موسى بن أبي جابر الأزكوي بمشورة علماء الأباضية بايعوه كإمام شاري للدعوة[4].

يقول البسيوي «بايعوا وارث بن كعب على ما بويع عليه أئمة العدل، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والشري في سبيل الله، وإظهار الحق وإخماد الباطل»[5] ولم يبد مشايخ الأباضية معارضة لإمامته[6] ويظهر أن محمد بن عبدالله بن أبي عفان لم يبد أي رد فعل تجاه خلعه.

ولا نتفق مع السالمي في روايته الإسطورية فيما يتعلق باختيار الوارث بن كعب للإمامة يقول السالمي «وكان ـ الوارث ـ يرى الرؤيا في نومه تدل على ظهور الحق على يده، وأنه كان ذات يوم يحرث في زرع له فسمع صوتاً يقول له

---

(١) أبو محمد الفضل بن الحواري وكان على رأس العلماء في إمامة سعيد بن عبدالله بن محبوب الذي ولي الإمامة سنة ٣٢٠ هـ ـ العقود الفضية ص ٢٥٦.

(٢) السالمي، المصدر نفسه.

(٣) الرقيشي، شرح مصباح الظلام، ٣٢ أ. السالمي التحفة، أ: ١١٤.

(٤) البسيوي، الحجة على من أبطل السؤال ورقة ٢٢. كشف الغمة ٣٣ م.

(٥) البسيوي، المصدر نفسه، ورقة ١١. السالمي التحفة، ١: ١١٥.

(٦) البسيوي. الحجة على من أبطل السؤال، ورقة ١١ يقول البسيوي في ذلك «وكذلك وجدنا المسلمين عليه وعلى الأئمة الذين من بعده الذين قاموا بالدولة منهم وارث بن كعب قدموه على الإمامة للإمامة وقام بالحق وأنكر المنكر وفارق أهله وأظهر الحق وأجمعوا على إمامته وولايته».

أترك حرثك وسر إلى نزوى وأقم بها الحق. . . ثم سار إلى نزوى وهي في أيد الجبابرة وقد ملأها جوراً وظلماً. فلما وصل إلى نزوى وجد خبازاً يخبز، وجندياً. . . . والخباز يستغيث بالله وبالمسلمين منه، فلما رآه على ذلك زجره ثلاثاً فلم ينته، فقتله فمضى مسرعاً إلى مجسد قريب من شاطىء الوادي ـ والآن يسمى بمسجد النصر ـ فأسرعت إليه الرجال لتقتله، فلما وصلوا قريباً منه رأوا المسجد قد غص من الرجال المقاتلة، فلم يصلوه، قالوا فلذلك اختاره المسلمون عليهم إماماً[١].

ويمكن رفض هذه الرواية للأسباب التالية:

١ ـ إن الرواية يغلب عليها طابع الرؤيا والتنبؤ الإسطوري وهي مما يشيع على ألسنة الناس في المستوى الشعبي للتغني بكرامات الأئمة الأباضية ومثل هذه الروايات لا يمكن للمؤرخ الاعتماد عليها لتأكيد حقيقة تاريخية.

٢ ـ إعتاد السالمي أن يوثق رواياته بذكر المصادر التي اعتمد عليها، ولكن روايته هذه بدون سند ومصدره في ذلك «ما ذكره بعضهم»[٢]. مما يدل على أن هذه الرواية رواية شفوية تناقلتها العامة من الناس.

٣ ـ لم يكن الوارث من الشخصيات المرشحة للإمامة، وقد اتجهت الأنظار لشخصيات ثلاث بعد التغلب على آل الجلندي، وهم محمد بن المعلى الكندي، ومحمد بن عبدالله بن أبي عفان وموسى بن أبي جار الأزكوي[٣].

٤ ـ إنها تخالف منطق الأحداث التي تكلمنا عنها ولا تقيم دوراً للجهود الجماعية التي بذلها الدعاة الأباضية وقادتهم، ثم أنه لا يمكن أن تتم بيعة بدون هؤلاء القادة كما ذكرنا في بيعة الوارث بن كعب نفسه.

---

(١) السالمي. التحفة ١: ١١٥، ١١٦.
(٢) م. ن، ١١٥.
(٣) انظر كشف الغمة، ورقة ٣٣٠ أ. السالمي، التحفة ١: ١١٠، ١١١.

السياسة الداخلية في عهد الوارث بن كعب الخروصي:

يعتبر عهد هذا الإمام من أبهى عهود الإمامة إذا ساد الاستقرار في عمان ولم يحدث ما يعكر صفو الأمن في جميع أنحاء الإمامة، كما امتدحه المؤرخون لحسن سيرته يقول الأزكوي «فوطيء الوارث إثر السلف الصالح من المسلمين وسار بالحق وأظهر دعوة المسلمين وعز الحق وأهله وخمد الكفر ودفع الله الجبابرة[١] ويستشق من هذا النص استقرار الأحوال الداخلية، لأن مصطلح الجبابرة ذو معنى إداري وسياسي اختصت به الفرقة الأباضية دون غيرها من الفرق الإسلامية ويعنى به استيلاء أمراء القبائل على بعض قصبات عمان مناهضين للإمامة الأباضية في حالة ظهورها» أو مساندين للخلافة العباسية في حالة زوال الإمامة. فكل من لم يحكم وفقاً لتعاليم الإسلام كما يقره المذهب الأباضي فهو من الجبابرة[٢] حتى ولو كان هذا الحاكم أباضياً[٣]. فالأزكوي أراد بنصه السابق سيادة تعاليم الدروة الأباضية من جهة وعدم الخروج في إمامة الوارث بن كعب الخروصي. وقد ذكرنا سابقاً معالجته لمشاكل القبائل وإبعاده لسعيد بن زياد البكري إلى البحرين.

وقد كانت السنوات التي قضاها الوارث بن كعب الخروصي في الإمامة والتي استمرت اثنتي عشرة سنة وستة أشهر[٤]. ذات أثر كبير في استقرار عمان واستمرار الإمامة فيها إذ خمدت الأحقاد القبلية، وأصبحت الدعوة الأباضية العامل الحاسم في السياسة الداخلية، وتشير رواية السالمي إلى كفاءته الإدارية

(١) كشف الغمة، ورقة ٣٣٠ أ.
(٢) انظر استعمال هذ المصطلح من قبل الأزكوي، من كشف الغمة ورقة، ٣٢٩ ب.
(٣) انظر السالمي التحفة أ: ١١٢ «قال وائل أن ابن أبي عفان ليس إمام بل ذلك جبار».
(٤) كشف الغمة، ورقة ٣٣٠ ب.

وعدله حيث لم يكن يؤثر قريب في حكمه، فعندما أوقف أموالاً لكي تنفق على أهل هجار وستال وما زاد منه يوزع على المناطق المجاورة وقد منع بني أخيه من هذا الوقف لتخلفهم عن نصرة الدعوة الأباضية[١]. ومن عدل هذا الإمام ومروءته والتزامه بنصوص الشريعة أنه جاز لإنقاذ السجناء في أحد أودية عمان بعد تعرض هذا الوادي لسيل جارف واعتبر نفسه مسؤولاً عن إنقاذهم[٢]. وقد لاقى حتفه معهم غرقاً في هذا الوادي[٣] حين همّ في إنقاذهم.

العلاقة بين الإمامة الأباضية والخلافة العباسية في هذه الفترة:

إستطاع الأباضية أن يقيموا دولتهم في عمان في أوج ازدهار الدولة العباسية في خلافة هارون الرشيد (١٧٠ هـ/ ٧٨٦ م ١٩٣ هـ/ ٨٠٨ م) في سنة ١٧٧ هـ وقد ساعدهم على نجاح الحركة بعد عمان عن حاضرة الخلافة ووعورة الطريق البري الذاهب إلى عمان المحاذي للضفة الغربية للخليج العربي وقلة القبائل الحليفة للعباسيين في هذا الإقليم ولهذا كان من الصعوبة بمكان على السلطة المركزية أن تنجد حلفاءها بسرعة فساعدت هذه العوامل الدعوة الأباضية على توطيد وترسيخ كيانها السياسي قبل أن يتمكن العباسيون من مهاجمتهم. ويبدو أن الحملة العباسية التي أعدها الرشيد قدوصلت متأخرة إلى عمان وفي غير أوانها، ومن الصعوبة بمكان تحديد تاريخ لهذه الحملة إلا أنه يفهم من رواية للسالمي إن إرسال هذه الحملة في أواخر خلافة الرشيد[٤] ولتحديد تاريخ هذه الحملة يمكن القول أنها توجهت إلى عمان بعد عام ١٧٩ هـ/ ٧٩٣ وقبل عام ٨٠٨/١٩٣ وهو العام الذي توفي فيه هارون

(١) السالمي التحفة أ: ١١٦.

(٢) كشف الغمة، ورقة ٣٣٠ ب. السالمي، التحفة أ: ١٢٠.

(٣) الجيطالي، شرح قواعد الإسلام ورقة ١٦ ب:

(٤) كشف الغمة ٣٣٠ ب. السالمي التحفة، ١: ١١٩.

الرشيد[1].

ولأهمية هذه الحملة فقد أعطى هارون الرشيد قيادتها لأحد أقربائه المقربين، الذي اختلف المؤرخون في شخصيته فالأزكوي والسالمي يذكران بأن قائد هذه الحملة هو عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور[2]. بينما ذكر ابن حبيب والبلاذري أن قائد الحملة على عمان كان عيسى بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس[3]. ونرجح رواية ابن حبيب والبلاذري، لأن عيسى بن جعفر الذي عناه الأزكوي توفي في طريق جرجان مستقبلاً لهارون الرشيد عند توجهه إلى هذه المنطقة في سنة ١٩٢ هـ[4]. وقد بكى الرشيد عيسى بن جعفر أخي زبيدة لحبه الشديد له[5].

تألفت الحملة العباسية المتوجهة إلى عمان من ألف فارس وخمسة آلاف راجل[6] ويعني هذا أن الحملة، حرية إذ يستحيل على الخمسة آلاف راجل قطع الطريق الصحراوية الشاقة من البصرة إلى عمان بمحاذاة الضفة الغربية للخليج العربي.

وينعي ابن حبيب والبلاذري على أهل البصرة الذين ألفوا جند الحملة العباسية سوء أخلاقهم كمحاربين وإثارتهم لأهل عمان الذين وقفوا يترصدونهم على سواحل عمان الشمالية والشرقية يقول ابن حبيب «فخرج بأهل البصرة فجعلوا يفجرون بالنساء في طريقهم ويسلبونهم فبلغ أهل عمان ذلك فحاربوا عيسى ومنعوه من دخول بلدهم فظفروا به وصلبوه وامتنعوا على السلطات فلم

---

(١) اليعقوبي، التاريخ، ٣: ١٦٦. المسعودي، مروج الذهب ٣: ٣٣٦.
(٢) كشف الغمة، ٣٣٠ أ. السالمي المصدر السابق، أ: ١١٨.
(٣) ابن حبيب أبو جعفر محمد بن حبيب، المحبر، (حيدرآباد، ١٩٤٢) ص ٤٤٨. البلاذري، فتوح البلدان (القاهرة، ١٩٥٦) ق ١ ص ٩٣.
(٤) اليعقوبي، التاريخ، ٣: ١٦٦.
(٥) د. الجومرد، عبد الجبار، هارون الرشيد، ٢: ٥٥٦.
(٦) السالمي، التحفة ١، ١١٨.

يعطوا طاعة»[1] إلا أن رواية البلاذري أكثر دقة وتمييزاً لاتجاه عمان السياسي كما أن البلاذري لا يجعل الفساد وحده سبباً لصمود أهل عمان بوجه الحملة العباسية يقول البلاذري: «فولاها عيسى بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس، فخرج إليها بأهل البصرة، فجعلوا يفجرون بالنساء يسلبونهم ويظهرون المعازف، فبلغ ذلك أهل عمان وجعلهم شراة[2]. فحاربوه ومنعوه من دخولها، ثم قدروا عليه فقتلوه وصلبوه، وامتنعوا على السلطات فلم يعطوه طاعة وولوا أمرهم رجلاً منهم»[3]. ويظهر من نص البلاذري المذكور أن الدافع الأساسي لهذه الحملة للقضاء على الكيان السياسي للشراة الأباضية بعمان الذين يكونون أكثر أهل عمان.

ويظهر أن بعض آل المهلب المشهورين قد وقف إلى جانب الأباضية، وذلك بحكم الرابطة القبلية المتينة فقد كتب «داود بن يزيد المهلبي إلى الإمام وارث بن كعب يخبره أن عيسى وصل بعسكره»[4] وتشير رواية أخرى أن داود بن يزيد المهلبي كتب إلى والي صحار مقارش بن محمد اليحمدي يخبره بدخول الأرض العمانية[5]. وهذا بدوره كتب إلى الإمام وارث بن كعب الذي يقيم في مقر الإمامة بمدينة نزوى بوصول الحملة العباسية فأمر مقارش بن محمد اليحمدي على ثلاث آلاف رجل[6] فالتقوا (بحتى)[7] الواقعة إلى الشمال

---

(١) أن حبيب، المجد، ص ٤٨٨.

(٢) الشراة: من أسماء الخوارج «وسموا شراة لأنهم باعوا أنفسهم من الله» واشتق هذا الاسم من الآية القرآنية ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾ الجيطالي، شرح قواعد الإسلام ورقة ١٦ ب.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان ق ١، ص ٣.

(٤) كشف الغمة، ورقة ٣٣٠ أ.

(٥) كشف الغمة ورقة ٣٣٠ أ.

(٦) السالمي، التحفة أ: ١١٨. وفي كشف الغمة فارس محمد بدل مقارش بن محمد.

(٧) انظر خارطة عمان.

من صحار في شرق عمان ومعنى ذلك أن الحملة العباسية كانت قد توغلت كثيراً في الساحل العماني من منطقة جلفار حتى وصولها إلى منطقة (حتى) وفي هذه المعركة انهزم عيسى بن جعفر إلى مراكبه الراسية على الساحل العماني فسارت إليه حملة بحرية مكونة من ثلاثمائة مركب قادها أبو حميد بن فلح الحمداني السلوتي يعاونه عمرو بن عمر واستطاع هؤلاء القادة من أسر عيسى بن جعفر بن سليمان الهاشمي وأخذوه إلى صحار[١]. وأخبروا الإمام وارث بن كعب الذي توجه على رأس جيش من نزوى لمواجهة الحملة بأسرهم لعيسى بن جعفر واعتقاله بمدينة صحار[٢]. فرجع وارث بن كعب إلى مدينة نزوى بعد أن قضى ولاته على خطر الحملة العباسية[٣] وتعد هذه الهزيمة أول انتكاسة بحرية للخلافة العباسية في عمان وكان من نتائجها ترسيخ جذور الإمامة الأباضية في عمان ولم تجرأ الخلافة العباسية منازلة الأباضية بعد هذه الهزيمة المنكرة بعد إدراكها لقوة الإمامة الأباضية حتى عام ٢٨٠ هـ إذ استطاع محمد بن بور عامل البحرين من افتتاحها[٤] بسبب الانقسام الداخلي الذي أدى إلى زوال الإمامة لفترة محدودة من عمان[٥].

أما فيما يتعلق بمصير عيسى بن جعفر بن سليمان فقد قام الإمام وارث بن كعب خطيباً «فقال: يا أيها الناس، إني قاتل عيسى بن جعفر فمن كان معه قول فليقل»[٦] ولعله بأسلوبه هذا أراد أن يحمل جميع الأباضية مسؤولية قراره هذا.

---

(١) كشف الغمة ـ ورقة ٣٣٠ أ. ـ السالمي المصدر السابق.
والحدان بطن من الأزد القاطنين بعمان، انظر ابن حبيب: مختلف القبائل ومؤتلفها نشره فرديناند فستفلد (غوتا)، ١٨٥٠، ص ٣.

(٢) السالمي، المصدر نفسه.

(٣) السالمي التحفة ١: ١١٨.

(٤) الطبري ـ الرسل والملوك، ١٠: ٣٣.

(٥) العوتبي ـ الأنساب، ورقة ١٧٠ أ.

(٦) السالمي ـ المصدر السابق.

فقام أحد فقهاء الأباضية وهو علي بن عزرة «فقال له: إن قتلته وإن تركته فكله واسع لك»[١] فارتأى الإمام وارث بن كعب تركه سجيناً؟ ولا شك أن هذا الموقف الحكيم من الإمام الأباضي سوف لا يعرض عمان لغزو عباسي جديد انتقاماً لعيسى بن جعفر الذي يرتبط برابطة العمومة بالخليفة هارون الرشيد إلا أن مجموعة من الأباضية المتطرفين[٢] «انطلقوا من حيث لا يعلم الإمام حتى أتو صحار، فتسوروا السجن وقتلوا عيسى من حيث لا يعلم الوالي ولا الإمام وانصرفوا من ليلتهم»[٣] وقد قادهم في هذه العملية يحيى بن عبد العزيز أحد رجالات الأباضية البارزين بعمان[٤] «وبلغنا أن يحيى بن عبد العزيز كان من أفاضل المسلمين»[٥] وبهذه النزعة في سلوك بعض أفراد الأباضية تمثل النزعة الخراجية بصورة عامة في حرية التصرف والاجتهاد في اتخاذ المواقف كما أنها تمثل ضعف الإيمان بالسلطة المركزية، وتضع الإمام الأباضي في موقف حرج بسبب تصرفات فردية بدون علم الإمام كقتل يحيى بن عبد العزيز لعيسى بن جعفر دون التفكير بعواقب الأمور، يقول الأزكوي: «فلما قتل عيسى بن جعفر عزم هارون على انفاذ جيش لهم إلى عمان فارتاعوا مدة ثم أنه مات قبل ذلك وكفاهم الله شره»[٦] وكانت لوفاة هارون الرشيد وما أعقبها من صراع على ولاية العهد متنفساً للإمامة الأباضية لتثبيت كيانها حيث اشتعل أوار الصراع بين الأمين والمأمون[٧]. مما جعل الخلافة العباسية في شغل شاغل عن عمان فأنساهم

---

(١) كشف الغمة ـ ورقة ٣٣٠ أ.

(٢) من الأفضل أن يكون التعبير بالمتشددين بدلاً من المتطرفين، لأن التطرف كلمة أطلقها المستشرقون على المتمسكين بالإسلام بشدة وحماس فينبغي عدم تقليدهم وعدم مجاراتهم.

(٣) كشف الغمة ـ ورقة ٣٣٠ أ. السالمي، التحفة، ١: ١١٩.

(٤) كشف الغمة ـ ورقة ٣٣٠ أ.

(٥) المصدر نفسه ـ السالمي، المصدر السابق.

(٦) كشف الغمة ـ ورقة ٣٣٠ أ، ٣٣٠ ب ـ السالمي المصدر السابق، ١١٩.

(٧) اليعقوبي، التاريخ ٣٠: ١٧٢ فما بعد. ـ المسعودي مروج الذهب، ٣٠: ٣٨٩ فما بعد.

الانتقام لابن عمهم وارجاع عمان لحضيرة الخلافة العباسية.

إن الرواية الأباضية عن قتل عيسى بن جعفر تخالف مضمون رواية ابن حبيب الذي عد عيسى بن جعفر في عداد المصلوبين في الإسلام يقول ابن حبيب «فحاربوا عيسى ومنعوه من دخول بلدهم فظفروا به وصلبوه وامتنعوا على السلطات فلم يعطوا طاعة»[1]. ويتفق البلاذري مع ابن حبيب في روايته في صلب أهل عمان لعيسى بن جعفر[2]. وقد برز أبو محمد الفضل الحواري من علماء الأباضية بعمان في القرن الرابع الهجري عملية اغتيال عيسى بن جعفر دون إذن الإمام بقوله: «.. وللمسلمين أن يقتلوا من قتلهم كيفما قدروا عليه في غيلة أو غير غيلة، قال وفي ذلك أثار المسلمين قائمة معروفة»[3].

وفاة الإمام الوارث:

يشير الأزكوي أن السبب في وفاته، هو غرقه في أحد أودية نزوى بسبب السيول الجارفة التي داهمت السجن الواقع في وادي[4] كلبوة وغرق معه سبعون رجلاً من الأباضية في هذا الوادي في اليوم الثالث من جمادي سنة ١٩٢ هـ/ ٨٠٧ م[5] ويقول أطفيش: أن المحبوسين كانوا أسارى[6] ولعلهم من أسرى الحملة العباسية التي قضى عليها العمانيون.

ودفن الوارث بين العقر وسعال وقبره معروف مشهور[7] وهو ذو شعبية

(١) ابن حبيب، المحبر، ص ٤٨٨.
(٢) البلاذري ـ الفتوح، ق ١ ص ٩٣.
(٣) السالمي، المصدر السابق، ص ١١٩.
(٤) كشف الغمة ٣٣٠ ب، السالمي المصدر السابق/ ١٢٠.
(٥) السالمي المصدر نفسه، ١٢١ ـ العقود الفضية في أصول الأباضية ٢٥٤.
(٦) أطفيش ـ أبو اسحق إبراهيم، تعليقه بهامش تحفة الأعيان للسالمي ١/ ١٢٠.
(٧) كشف الغمة ـ ٣٣٠ ب، السالمي، التحفة ١/ ١٢٠. =

كبيرة.

ويمكن القول إن عصر الوارث بن كعب يعد من أزهى عهود الإمامة الأباضية بعمان وقد مهد للأئمة الذين خلفوه في حكم الإمامة كياناً مستقراً مكنهم من الاستمرار في حكم عمان حتى سنة ٢٨٠ هـ.

= ولحب الأباضية الشديد له حدث شجار بين أهل العقر وسعال من أحياء نزوى - كل يريد أن يدفن موتاه بجنب قبره، السالمي، التحفة ١/ ١٢٠.

الفصل الخامس

الإمامة الأباضية الثانية بعمان

أولاً ـ عصر القوة والازدهار

١٧٧ هـ ـ ٢٣٧ هـ

إمامة غسان بن عبدالله الفحجي

إجتمع علماء الأباضية في منطقة فلج ضوت بعد وفاة الوارث بن كعب، وكان من أبرز المجتمعين سليمان بن عثمان وسعدة بن تميم وقد أراد سليمان بن عثمان أن يكتب إلى الشرق والسر[1] للنظر في انتخاب إمام جديد[2] ولما كانت منطقة الشرق بعمان تثير المتاعب للإمامة الأباضية لاستيطانها من قبل بني هناة وقبائل مهرة إذ إنها بقيت لفترة طويلة البؤرة التي تنطلق منها الاضطرابات القبلية[3]. فلم يوافق سعدة بن تميم على رأي سليمان بن عثمان وقال له سعدة بن تميم «أتريد يا أبا عثمان أن تجتمع الناس فيختلفون علينا ولكن أقطع الأمر»[4]. ويشير السالمي إلى أنه حذر سليمان بن عثمان من التباطؤ في اختيار إمام جديد للإمامة تجنباً للفرقة التي قد يحدثها غوغاء الناس[5]. فوقع اختيارهم على غسان بن عبدالله الفحجي اليحمدي الأزدي

(١) تقع السر إلى الشمال الغربي من مدينة نزوى في منطقة الظاهرة وخصت قرى العينين والعراقي والغبي البائد بأسق أرض السر» انظر السعدي، مجلة رسالة الإسلام العدد السابق ص ١٩٥. العبري، الملحق الجغرافي ص ٣. بكتاب العقود الفضية في أصول الأباضية. وذكر المقدسي منطقة السر فقال عنها: «أصغر من نزوة، والجامع في السوق، شربهم من أنهار وآبار، وقد التقت بها النخيل» المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٩٣.

(٢) الرقيشي، مصباح الظلام، ورقة ٢٥ ب. ـ السالمي التحفة ١/ ١٢٢.

(٣) أبو المؤثر الأحداث والصفات ورقة ١٧.

(٤) مصباح الظلام ورقة ٢٥ ب.

(٥) السالمي ـ التحفة ١/ ١٢٢.

لتولي الإمامة في الرابع من شهر جمادي الأولى سنة ١٩٢ هـ/ ٨٠٧ م[(١)]. ولا نعرف السبب في تفضيله على غيره لتولي منصب الإمامة إذ لا تشير المصادر الأباضية إلى أي نشاط قام به في خدمة الدعوة الأباضية قبل توليه الإمامة[(٢)]. ويحتمل أن اختياره للإمامة لقوة شخصيته وكفاءته كما ظهر من خلال حكمه لعمان إذ سار بالإمامة الأباضية سيرة مرضية فأشاد به المؤرخون، يقول الأزكوي (فوطىء أثر المسلمين وعز الإسلام وأهله وخمد الكفر)[(٣)].

المعارضة الداخلية في عهد غسان الفحصي:

ذكرنا أن الإمام وارث بن كعب الخروصي أرسى قواعد الاستقرار ونعمت عمان في حكمه باستقرار سياسي إذ استطاع إخماد المعارضة الداخلية للإمامة الأباضية، ولكن هذه القوى ما لبثت أن ظهرت من جديد متمثلة بالمعارضة التقليدية لبعض آل الجلندي وبني هنأة[(٤)]. يقول الأزكوي (وفي زمنه غسان ـ قتل الصقر بن محمد بن زائدة وكان ممن قد بايع المسلمين على راشد بن النظر الجلنداني وأعانهم بالمال والسلاح)[(٥)] ومعنى ذلك أن الصقر بن محمد بن زائدة ساعد الحركة الأباضية التي أزالت آل الجلندي عن حكم عمان في سنة ١٧٧ هـ.

ولا نتفق مع السالمي في إشارته إلى أوضاع بني الجلندي السياسية بعد

---

(١) الرقيشي، مصباح الظلام، ٢٥ ب. السالمي المصدر السابق. العقود الفضية في أصول الأباضية ص ٢٥٤.

(٢) انظر، سيرة أبي الحسن البسيوي، كشف الغمة، تحفة الأعيان ١/ ١٢٣ فما بعد.

(٣) كشف الغمة، ٣٣٠ ب.

(٤) العوتبي، ١٧٠ أ. كشف الغمة ٣٣٠ ب.

(٥) كشف الغمة ٣٣٠ ب. السالمي، التحفة ١/ ١٢٣، تقارب روايته ما جاء في كشف الغمة بالمعنى لا بالنص.

انتقال السلطة منهم إلى الأباضية سنة ١٧٧ هـ حينما يقول (وبذلك انقضت دولة بني الجلندي وانتقلت الدولة إلى اليحمد، فلم يكن لبني الجلندي بعدها دولة أصلاً، ولم تكن لهم حركة إلا ما كان منهم بتوام في أيام المهنا)(١) والحال أنهم لم تكن لهم دولة تذكر إلا أن مشاركتهم لبني هنأة دليل على استمرار حركتهم وتواطئهم ومناوئتهم للإمامة الأباضية في إمامة غسان بن عبدالله الفححي.

ويشير العوتبي إلى خروج بني هنأة (ومنهم راشد بن شاذان بن غسان بن سعيد بن شجاع الهنائي من بني محارب وهو الذي سار إلى دما(٢) وأنهبها وقتل واليها وقومه وكان ذلك في ولاية الإمام غسان بن عبدالله الفححي، فوجه غسان في طلبه ومن كان معه من محاربي بني هنأة فلم يلحقوا بهم)(٣) ويحدد لنا الأزكوي المنطقة التي انبعثت منها هذه الحركة القبلية كما يوضح السبب الذي أدى إلى قتل بعض آل الجلندي حيث يقول: (أنه خرج على المسلمين رجل من أهل الشرق ومعه بنو هنأة وغيرهم باغياً على المسلمين فألقى إلى المسلمين أن أخ الصقر مع البغاة فذكروا للصقر، فقال من تقوّل هذا، إن أخي معي في الدار مريض، تحقق أن أخا الصقر معهم فاتهموه بالمداهنة لما ستر عن أمر أخيه)(٤).

---

(١) السالمي. المصدر السابق ١/ ١٠٨. امتدت إمامة المهنا بن جيفر (من سنة ٢٢٦ هـ/ ٨٤١ م ٢٣٧ هـ/ ٨٥١ م).

(٢) العوتبي. ١٦٩ ب، ١٧٠ أ.

(٣) دما: المعروفة اليوم ببلد السيب الواقعة في منطقة الباطنة المطلة على خليج عمان. السعدي، مجلة رسالة الإسلام العدد السابق ١٩٥.
يقول العبري «وكانت بلد السيب العامرة تسمى دمى بوزن جمع دمية وهذا الاسم يطلق على موضع معروف بها الآن... وقد أول بعضهم تسميتها لكثرة ما كان يراق بها من الدماء أيام كانت فارس والعراق والهند بالبوارج تعدوا على عمان، وقد كانت يومئذٍ موضع رباط أهل عمان اتجاه من يقابلهم من جهة البحر بالعدوان حتى قال بعض علماء ذلك العصر: أفضل الرباط اليوم رباط المسلمين أو رباط العدو بدمى.

(٤) كشف الغمة ـ ورقة ٣٣١ أ. السالمي، التحفة ١/ ١٢٤.

ويتضح من هذا النص مداهنة الصقر بن محمد بن زائدة الجلنداني وأخيه أبي راشد بن محمد للخارجين على الإمامة في عام ٢٠٧ هـ[١]. وقد اتخذوا هذا الموقف بعد ضعفهم الشديد الذي جاء نتيجة لاندحارهم وتشتيت قراهم على يد الدعاة الأباضية عام ١٧٧ هـ فأمر الإمام غسان بن عبدالله والي منطقة سمايل بإحضار الصقر بن محمد الجلنداني إلى مقر الإمامة بنزوى (فمضى الوالي بالصقر مع الشراة خوفاً عليه منهم أن يبطشوا به)[٢] وبعث الإمام الأباضي سرية أخرى برفقة الفقيه الأباضي موسى بن علي[٣] لحماية الصقر بن محمد الجلنداني فالتقوا بمنطقة نجد السحامات وفي مسيرهم هذا اعترضهم بعض الشراة فقتلوا الصقر بن محمد[٤]. ويبدو أنهم حمّلوه مسؤولية هذه الخارجة فكانوا في حالة شديدة من الغضب ويشير الأزكوي إلى ذلك بقوله (فلم تكن لأبي الوضاح ولا لموسى بن علي القدرة على منعهم من قتله. . .)[٥] ويظهر أن الأوامر كانت تقضي بقتله سراً بإيعاز من غسان بن عبدالله الفححي ويشير الأزكوي إلى ذلك بقوله: (ولم يبلغنا عن الإمام غسان إنكار على من قتله)[٦]. ويظهر من هذا النص ما يؤيد موافقة الإمام غسان على قتله وهناك احتمال ثان وهو أنهم قتلوه بدون أوامر من الإمام غسان بن عبدالله كما قتلوا عيسى بن جعفر بن سليمان في إمامة الوارث بن كعب الخروصي[٧].

---

(١) السالمي. المصدر السابق ١/ ١٢٣.

(٢) كشف الغمة. ورقة ٣٣١ أ.

(٣) موسى بن علي: يقول الرقيشي «هو إمام أهل عمان وقدوتهم في الدين وعالمهم وجدت أنه مات يوم الأحد لثمان خلون من شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين ومائتي سنة وكان عمره فيما يوجد في التاريخ بخط الشيخ أبي سعيد ثلاثين سنة. . .» الرقيشي، مصباح الظلام ورقة ٣١ أ.

(٤) كشف الغمة. ورقة ٣٣١ أ، السالمي، التحفة ١/ ١٢٤.

(٥) كشف الغمة ورقة ٣٣١ أ. السالمي، التحفة ٢/ ١٢٤.

(٦) كشف الغمة ورقة ٣٣١ أ.

(٧) كشف الغمة ورقة ٣٣٠ أ.

ولكن لماذا لم يعاقب الإمام الأباضي زعيم بني هنأة راشد بن شاذان بن غسان الهنائي؟ ولماذا لا ينتقم الشراة من هذا الرئيس القبلي الذي أوقع الخراب والدمار بمدينة دما وقتل والي الإمامة الأباضية فيها[(١)] وهنا نلاحظ سكوت المصادر الأباضية. وفي الوقت الذي أوضح فيه السالمي تفسيراً لسكوت الإمام غسان بن عبدالله عن قتلة الصقر بن محمد بقوله (أما أن يكون قد صح أن صقر مع الشراة بايع عليه واستوجب بذلك القتل فأسر إلى بعض الشراة أن يقتله ولم يتشهر هو بقتله كي لا تكون عصبية)[(٢)] وفات السالمي أن موقفه هذا يمثل تعميقاً لمفهوم العصبية القبلية.

يقول العوتبي (فوجّه غسان في طلبه ومن كان معهم من محاربين من بني هنأة فلم يلحقوا، ثم أن راشد بن شاذان طرح نفسه في المرستاق[(٣)] على الفحح من اليحمد، فأخذوا له أمان من غسان ولأصحابه)[(٤)].

ونلاحظ هنا أن الوشائح أو الروابط القبلية هي التي أعفت راشد بن شاذان عن قتله والي الإمامة الأباضية في دما لاستغاثته بعشيرة الفحح وهي القبيلة التي ينتمي لها الإمام الأباضي غسان بن عبدالله الفححي. في حين قتلوا الصقر بن محمد لأنه كتم أمر أخيه الذي اشترك مع بني هنأة في غاراتهم على مدينة دما[(٥)].

من هذا الاستعراض للتكتلات القبلية وقوى المعارضة في هذه الحقبة من تاريخ عمان يمكن القول أن آل الجلندي لم يعد لهم مكان الصدارة في الكيان

---

(١) العوتبي. ورقة ١٧٠.
(٢) السالمي، التحفة ١/ ١٢٤.
(٣) تقع مدينة المستاق في الجبل الأخضر من الناحية المطلة على سهل الباطنة، د. السعدى، مجلة رسالة الإسلام العدد السابق، ص ١٩١.
(٤) العوتبي ١٧٠ أ. السالمي التحفة، ١/ ١٢٥.
(٥) كشف الغمة ٣٣١.

الجديد، كما أنهم أصبحوا مختلفي الولاء، فبعضهم اعتنق الدعوة الأباضية كالجلندي بن مسعود فأصبح إماماً لعمان أو مناوئاً للدعوة الأباضية موالياً للسلطة العباسية، كراشد بن النظر وأخيه محمد بن زائدة الذين حكما أغلب أجزاء عمان في الفترة الممتدة بين سنة ١٣٤ هـ ـ ١٧٧ هـ/ ٧٥١ ـ ٧٩٣ م.

إن انقسام المجتمع القبلي العماني ومنه آل الجلندي يعتبر أمراً طبيعياً ستتعرض له عادة المجتمعات إذ ما وجهت بدعوة فكرية كالدعوة الأباضية التي حمل أفكارها مجموعة من الفقهاء والعلماء عرفوا (بحملة العلم) الذين كانوا ينتمون لفروع شتى من القبائل الأزدية وغيرها. لهذا وقف منها آل الجلندي مواقف مختلفة ما بين معتنق لها ورافض محارب لأفكارها.

العلاقة الخارجية للإمامة الأباضية في عهد غسان:

كانت السواحل العمانية موطئاً ومقصداً للقراصنة لطول سواحلها التي تمتد على مسافة تزيد على ١٦٠٠ كم[١] الواقعة على أهم الطرق التجارية آنذاك وهو طريق الخليج العربي والطرق المتفرعة عنه إلى شرق أفريقيا وسواحل جنوب وشرق آسيا[٢]. جعلت هذه السواحل عرضة لقراصنة البحار، وكان للفترة المضطربة التي عاشتها عمان، حتى مجيء الإمامة الأباضية عام ١٧٧ هـ/ ٧٩٣ م تحتاج إلى شيء من الاستقرار، وتوطيد الأمن لكي تتطلع الإمامة لبناء قواها الحربية، وخاصة أسطولها البحري وقد ساعدت فترة الاستقرار التي شهدتها الإمامة، في عهد الإمام وارث بن كعب الخروصي[٣]. وكان لخلفه

---

(١) د. السعدي. مجلة رسالة الإسلام. العدد السابق ص ١٨٧.

(٢) د. عمر فاروق، ببليوغرافيا بتاريخ عمان، مجلة المورد، م ٣ ع ٤ (بغداد ١٩٧٤) ص ٢٧٥.

د. مؤنس، حسين، عالم الإسلام، (القاهرة، ١٩٧٣) ص ٧٦.

(٣) انظر البحث المتعلق بأمانة الوارث بن كعب الخروصي في الرسالة ص ١.

الإمام غسان بن عبدالله الفححي دور كبير في بناء أسطول بحري لتوطيد أمن السواحل، فقد قام الإمام غسان بن عبدالله بانشاء نوع من السفن الجديدة لطرد القراصنة ويظهر من نص الأزكوي أنه أول من اتخذ هذه السفن لهذا الغرض المذكور وكانت في زمنه البوارج تقع على عمان وتفسد في سواحلها فاتخذ غسان لها هذه الشذاوة لغزوهم وهو أول من اتخذها وغزا فيها انقطعت البوارج عن عمان)[١]. ويؤكد الرقيشي أن الإمام غسان بن عبدالله هو أول من بنى هذه السفن في عمان بقوله: (فاتخذ غسان بن عبدالله هذه الشذاوة لغزوهم وهو أول من اتخذها في عمان فانقطعت البوارج عن شطوط عمان)[٢].

وفي رواية للسالمي يشير فيها إلى مصدر هذه البوارج فيذكر بأنها تعود لكفرة الهند الذين يقومون بعمليات السلب والنهب في أطراف عمان ويتجهون ربما لبيع بضائعهم في منطقة فارس والعراق، يقول السالمي (فكانوا فيما بلغنا يسيرون بناحية دبا[٣] وجلفار واتخذ غسان الشذاوة للغزو وهو أول من اتخذها بعمان وغزا فيها البوارج من هذه الشطوط وأمن الله الناس من البوارج بهذه الشذاوات وبالغرف)[٤] ويتضح لنا من خلال هذه النصوص أن عمان شهدت تصيير جديد في تركيب أسطولها البحري بادخال نوع جديد من السفن السريعة المسماة بالشذاوة والغرف بحيث استطاعت أن تطهر السواحل العمانية[٥] وتجعلها في مأمن وسلام من غزو قراصنة البحار المفاجىء ونحن لا نوافق أطفيش على قوله بأن غسان (أول من اتخذ الأسطول من أئمة

---

(١) كشف الغمة، ٣٣٠ ب.

(٢) الرقيشي. مصباح الظلام، ٢٥ ب.

(٣) تقع مدينة دبا في المنطقة الشمالية المطلة على خليج عمان واشتهرت بكونها مرفأ نشطاً قبل الإسلام فقد كان الجلندي بن المستكبر يعشر أهلها، ابن حبيب، المحبر، ٢٦٥، ٢٦٦. ويشير ياقوت بأن دبا كانت قصبة عمان. ياقوت، معجم البلدان ٢/٥٤٣.

(٤) السالمي. التحفة، ١/١٢٣.

(٥) الرقيشي. مصباح الظلام، ٢٥ ب.

عمان)[1] والواقع أن عمان عرفت الأساطيل منذ عهد يسبق إمامة غسان بن عبدالله وقد أشرنا سابقاً أن الإمام وارث بن كعب الخروصي قضى على الحملة العباسية التي قادها عيسى بن جعفر بثلاثمائة مركب عماني، ويظهران البوارج أكثر سرعة من المراكب العمانية فاستبدلت كما يبدو بالشذاءات الغرف السريعة التي قضت على مظاهر القرصنة الهندية في الساحل العماني[2].

الأحوال الداخلية في عهد الإمام غسان:

أظهر الإمام غسان بن عبدالله القدرة على السيطرة على عمان من الناحية الداخلية فوطد الأمن وأشاع العدل، وبلغت الإمامة الأباضية قمة ازدهارها وقوتها في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) مما حدا بالأزكوي أن يصف هذه الفترة بقوله (وكانت تلك الأيام صدر الدولة وقوتها وجمة العلماء)[3].

كما ازدهرت مدينة نزوى مقر الإمامة الأباضية والمركز الإداري الرئيسي لعمان حيث يقع الإمامة[4] في أحد أقسام المدينة والمسمى بالعقر[5] إذ يقوم

---

(١) اطفيش. أبو إسحق، إبراهيم. تعليقه بهامش التحفة ١/ ١٢٣.

(٢) مما يؤيد أن القراصنة كانوا من كفار الهند رواية السالمي التي تدعم هذا الاحتمال على الرغم من طابع التبوء فيها إلا أنها تعكس نوايا غسان بن عبدالله لحرب الهنود يقول السالمي: «فأحضر أهل الأموال وقال لهم. أنا أريد حرب الهند وبيت المال لا يكفي، وأريد أن أجعل على التجار قرضاً يكون أداؤه من بيت المال» السالمي التحفة ١/ ١٢٥. العبرى الملحق الجغرافي، ص ٢ العقود الفضية في أصول الأباضية.

(٣) كشف الغمة ٣٣١ أ.

(٤) بيت الإمامة: هو المقر الإداري للإمامة الأباضية الذي يزاول فيه الإمام أعماله الرسمية عند بيعته للإمامة، وعند خلعه يجب عليه ترك بيت الإمامة للإمامة الجديد وقد أصبحت رمزاً لظهور الإمامة الأباضية في عمان.
انظر الرقيشي مصباح الظلام ورقة ١٢٨ أ كشف الغمة، ٣٣٣ أ، ٣٣٧ أ.

(٥) السالمي، التحفة/ ١٢٥.

الإمام الأباضي بإدارة شؤون الإمامة من أعلى مركز إداري فيها، وقد أقام فيه الإمام غسان بن عبدالله الفححي (وفي زمانه سميت نزوى بيضة الإسلام)[١] وكانوا قبل ذلك يطلقون عليها (تخت ملك العرب)[٢] ولعل اسمها الأخير يعني أنها كانت مقر للملوك الأزديين من بني الجلندي أو من سبقهم.

كما ازدهرت الزراعة في عمان (وخصبت خصباً كثيراً وصارت خيراً داراً)[٣] نتيجة لتوفر المياه العذبة في هذه الفترة المزدهرة التي امتازت بهطول الأمطار والثلوج والتي أدت إلى ظهور السيول الجارفة في أوديتها، وقد ذكرنا سابقاً أن هذه السيول كانت السبب الذي أودى بحياة الإمام وارث بن كعب الخروصي غرقاً في عام ١٩٢ هـ[٤]. كما كان من نتيجتها اختفاء بعض الأنهار القديمة، يقول السالمي (ومن كثرة الماء ذهب فلج ضوت القديم ولم يبق له أثر بأموال دارس)[٥]. فحدثت مشاكل زراعية نتيجة لهذه الظاهرة[٦] وعلى سبيل المثال أن فلج الخطم الذي يسقى منح قد اجتاحه السيل الذي غرق بسببه الوارث بن كعب حتى قضى عليه فأرادوا اخراج بديل له في أراضي أهل نزوى المزروعة بالأشجار والنخيل. وقد أمر الإمام غسان بن عبدالله أهل منح بشق مجرى لهم بأرض نزوى الزراعية على أن يدفعوا مقابل ذلك تعويضاً لأهل الأرض المزروعة مقابل أرضهم وزرعهم[٧].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) أيضاً.
(٣) السالمي. التحفة، ١/ ١٢٥.
(٤) الرقيشي. مصباح الظلام، ٢٥ ب.
(٥) السالمي، . التحفة ١/ ١٢٥.
(٦) تعرف هذه الظاهرة الطبيعية بظاهرة النهر الأسود والمأسور.
(٧) المصدر السابق ١/ ١٢٨.

إمامة عبد الملك بن حميد ٢٠٨ هـ/٨٢٣ م ـ ٢٢٦ هـ/٨٤١ م:

هو عبد الملك بن حميد العلوي من بني علي بن سودة بن عامر ماء السماء الأزدي بويع للإمامة بعد وفاة غسان بن عبدالله اليحمدي في الثاني والعشرين من شهر شوال سنة ثمان ومائتين للهجرة(١).

لا تذكر المصادر الأباضية شيئاً كثيراً عن حياته الخاصة(٢) قبل الإمامة غير أن السالمي يشير إلى اشتراكه في الحركة التي أدت إلى اعلان الدولة الأباضية في عام ١٧٧ هـ/ ٧٩٣ م وكان من شباب الدعوة الداعين لازالة حكم راشد بن النظر الجلندي(٣). فماضيه إذن يدل على أنه من الشخصيات الأباضية التي لها سبق في الدعوة ولذلك فهي مؤهلة للإمامة وقد امتازت فترة إمامته بالاستقرار والهدوء يصفها الأزكوي فيقول (فسار سيرة الحق والعدل واتبع أثر السلف الصالح فصارت عمان يومئذٍ خير دار)(٤) وقد استطاع توطيد الأمن في الداخل وخاصة في جنوب عمان حيث تسكن قبائل المهرة(٥) المتمردة فطاردهم حتى أذعنوا وجعلوا يطلبون مودته فأشار عليه موسى بن علي الذي كان أبرز أئمة الأباضية المجتهدين (أن يقبل ذلك منهم ويؤمنهم، فأمنهم)(٦). وقد اعتادت قبائل المهرة القيام بأعمال السلب في فترات مختلفة من القرن الثالث

---

(١) مصباح الظلام ـ ١٢٦ . ـ كشف الغمة ٣٣١ ب. ـ السالمي التحفة ١/ ١٣٤.

(٢) انظر، مصباح الظلام، ـ كشف الغمة، العقود الفضية في أصول الأباضية عمان تاريخ يتكلم.

(٣) السالمي ـ التحفة ١/ ١٣٤.

(٤) كشف الغمة، ٣٣١ ب، ـ السالمي التحفة ١/ ١٣٤.

(٥) المهرة: ـ من القبائل العربية الجنوبية تقع أرضهم بين ظفار وحضرموت وكان لهم سوق في الجاهلية في منطقة الشحر المنسوبة إليهم أي شحر مهرة. كما أشار المسعودي إلى اتصال أرضهم بحضرموت، اليعقوبي، التاريخ ٣: ٢٣٩. ـ مروج الذهب، ٢: ٢١.

(٦) السالمي، التحفة، ١/ ١٣٥: ـ نقلاً عن أبي المؤثر.

الهجري[1]. وقد أصبحت مدينة صحار على الساحل العماني ملتقى المذاهب الفكرية من قدرية ومرجئة وكثر المستجيبون لهذه العقائد، وقد ساعد موقع المدينة التجاري كطبيعة أي مدينة تجارية على اختلاط مختلف الأجناس البشرية ويظهر أن هذه العقائد قد وصلت إلى صحار بواسطة التجار المسلمين ولاقت رواجاً وقبولاً من قبل أهالي صحار وتوأم وقد أزعجت هذه المبادىء الوافد العلماء العمانيين كهاشم بن غيلان الذي حرض عبد الملك بن حميد عليهم ودعاه إلى طردهم من عمان[2]. ومما كتبه إليه (وأنه بلغنا أن قوماً من القدرية، والمرجئة بصحار قد أظهروا دينهم، ودعوا الناس إليه وقد كثر المستجيبون لهم، ثم قد صاروا بتوأم وغيرها من عمان، وقد يحق لنا أن ننكر ذلك عليهم، فإنا نخاف أن يعلو أمرهم في سلطان المسلمين، فأمر يزيد أو أكتب إليه أن لا يترك أهل البدع على اظهار دعوتهم[3].

ولا تشير المصادر الإسلامية إلى حدوث صدام بين الخلافة العباسية والإمامة الأباضية بعمان مما أتاح لعمان أن توطد استقلالها على الرغم من ضعف الإمام عبد الملك بن حميد في آخر سني حكمه[4]. إلا أن الأوضاع الداخلية كانت مستقرة لتوفر مجموعة من القادة الكفوئين في دفة الحكم وكان أبرز هؤلاء القادة رئيس العلماء موسى بن علي الذي قام بإدارة الدولة الأباضية في سنوات عجز عبد الملك بن حميد نتيجة الشيخوخة التي أثقلت فيه السمع والبصر[5] ولهذا السبب رأى بعضهم عزله عن الإمامة فبقي فيها حتى وفاته[6]

---

(1) أبو المؤثر، الأحداث والصفات، ورقة ٢٠.
(2) السالمي، التحفة ١/ ١٣٨.
(3) المصدر السابق ١/ ١٤٠. ولعل يزيد كان والياً على صحار.
(4) البسيوي، الحجة على من أبطل السؤال، ورقة ١٤. ـ كشف الغمة ٣٣١ ب السالمي، التحفة ١/ ١٣٤. ـ عمان تأريخ يتكلم، ١٣٥.
(5) البسيوي، المصدر السابق. ورقة ١٤. ـ السالمي، التحفة/ ١٣١٤.
(6) كشف الغمة، ٣٣١ ب. ـ السالمي التحفة، ١/ ١٣٤.

سنة ٢٢٦ هـ وبهذا كانت ولايته ثمانية عشر عاماً وسبعة أشهر[١]. نعمت فيها عمان بالهدوء والاستقرار ولعل سكوت المصادر الأباضية عن ذكر أحداث أخرى خلال فترة إمامته الطويلة خير دليل على ذلك، إن كان ديدن هذه المصادر ذكر الأحداث المهمة على المستويين الداخلي والخارجي لعمان[٢].

إمامة المهنا بن جيفر اليحمدي (٢٢٦ هـ/ ٨٤٠ م):

ولى المهنا بن جيفر الفححي اليحمدي الإمامة يوم الجمعة في شهر رجب سنة ٢٢٦ للهجرة[٣] بايعه للإمامة موسى بن علي الأزكوي شيخ علماء الأباضية[٤]. واتفقت كلمة الأباضية بلا خلاف على إمامته، مما يدل على أنه كان يتمتع بتأييد قوي من قبل علماء الأباضية[٥]. وتعتبر إمامته امتداداً لفترة الاستقرار النسبي والقوة بل أن عصره امتاز بحكومة مركزية قوية ويعود الفضل في ذلك لقوة شخصيته فقد (كان له ضبط وحزم وكان لا يتكلم أحد في مجلسه ولا يعين خصماً على خصمه، ولا يقوم أحد من أعوانه ما دام قاعداً حتى ينهض ولا يدخل العسكر أحد من أهل النفقة إلا بالسلاح)[٦]. وبهذه السيرة اكتسب

(١) مصباح الظلام، ٢٦ أ.

(٢) انظر البسيوي، الحجة على مَنْ أبطل السؤال. ـ كشف الغمة إذ ذكر سرحان بن سعيد روايات مختصرة جداً أو ما يقارب العشرة أسطر ـ أبو المؤثر، الأحداث الصفات.

(٣) الرقيشي، مصباح الظلام، ٢٦ ب. كشف الغمة ٣٣١ ب ـ السالمي التحفة ١/ ١٥٠.

(٤) السالمي ـ التحفة ١/ ١٥١، العقود الفضية في أصول الأباضية ص ٢٥٥.

(٥) أبو المؤثر، الأحداث والصفات، ورقة ١١. البسيوي الحجة على من أبطل السؤال، ورقة ١٣.

(٦) مصباح الظلام، ٢٦ ب. كشف الغمة ٣٣١ ب نقل النص بتصرف ومصطلح العسكر في النص أعلاه يظهر المراد منه معسكر الجنود الذين تدفع لهم الرواتب كما يبدو، وكثيراً ما يتردد اسم العسكر في الأحداث التي دارت في مدينة نزوى مما يدل على أنه بمثابة الثكنات العسكرية التي يتجمع فيها الجنود.
انظر أبو المؤثر، ورقة ٨. مصباح الظلام ٢٨ أ.

احترام مواطنيه وغرس الهيبة في نفوسهم له وكان مدركاً لطبيعة مواطنيه وحبهم لتغير وجوه الحكام فعندما كبر في عمره اقترح جماعة من الأباضية على موسى بن علي عزله وكلفوا بذلك موسى بن علي ليعرض الأمر على المهنا بن جيفر (فلما دخل عليه جعل يسأله وينظر حاله، فعرف الإمام معناه فقال يا أبا علي جئت إلي والله لئن أطعت أهل عمان على ما يريدون لا أقام معهم إمام سنة واحدة)(١). وتظهر صلابته وشدته في رده لموسى بن علي شيخ الأباضية ومرجع الفتيا أنذاك قائلاً له (ارجع إلى موضعك فما أذنت لك في الوصول ولا استأذنتني ولا تقم بعد هذا القول)(٢). وبهذا قطع دابر الانشقاق الذي يحدث عادة في حالة كبر الإمام واستمر في الإمامة دون أن يصغي لمعارضيه كما كان شديد العقوبة لأولئك الذين يخشى على الدولة خطرهم فملأ بهم السجون ولم يسمح للوجوه القبلية أن تتشفع لهم عنده، وقد أزعجت هذه الشدة والصرامة بعض العلماء الأباضية كمحمد بن محبوب وبشير بن المنذر غير أنهما لم يصرحا برفضهما كلامه تجنباً لحدوث انشقاق بين الأباضية(٣).

ومن مظاهر قوة الدولة الأباضية في هذه الفترة كفاءة الأسطول البحري الذي بلغت عدد مراكبه ثلاثمائة مركباً مهيأة للحرب فضلاً عن بقية المراكب الأخرى التي يمكن استنفارها عند الحاجة(٤).

أما القوة البرية فقد كانت (عساكره بنزوى عشرة آلاف مقاتل، وهؤلاء بنزوى خاصة)(٥). ويتبين لنا عظم هذه القوة إذا أضفنا إليها بقية العساكر في الولايات الأخرى كصحار وتوأم وجلفار وجعلان ودما وبقية الولايات

---

(١) السالمي ـ التحفة ١/ ١٥١.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق ١/ ١٥٨، ١٥٩.
(٤) السالمي ـ التحفة، ١/ ١٥٠، عمان تاريخ يتكلم، ١٣٥.
(٥) المصدر السابق. عمان تاريخ يتكلم، ١٣٥.

العمانية. كما تكاثر الرعايا في كل الولايات العمانية نتيجة للاستقرار الداخلي وازدهار التجارة والزراعة على حد سواء ويشير السالمي إلى ازدياد سكان سعال إحدى أحياء نزوى فقدرها بأربعة عشر ألف نسمة[1].

المعارضة القبلية:

ذكرنا سابقاً أن قبائل مهرة قد استكانت وأذعنت في فترة إمامة عبد الملك بن حميد (٢٠٨ هـ ـ ٢٢٦ هـ)[2]. وكان من عادة القبائل البدوية الشديدة التمرد الخروج على السلطة الأباضية وذلك رفضت هذه المرة أن تدفع فريضة الصدقة المأخوذة على الجمال ولذا سمي المأمور بها بالمصدق، وكانت هذه الفريضة سنوية تؤخذ كل عام من هذه القبائل[3] فعندما دخل عبدالله بن سليمان إلى أرض مهرة (وصل إلى رجل مهري يقال له وسيم بن جعفر قد وجبت عليه فريضتان فامتنع أن يعطي إلا فريضة واحدة)[4]. وقال المهري للمصدق مهدداً (إن شئت أن تأخذ فريضة واحدة وإلا فانظر إلى قبور أصحابكم[5] أشار إلى قتلة المهريون من الأباضية سابقاً فلما استيقن المهنا بن جيفر من تمرده كتب إلى ولاة آدم[6] سنا وجعلان[7] يطلب منهم أنه من ظفر

(١) المصدر السابق، ١/ ١٥١. عمان تاريخ يتكلم، ١٣٥.
(٢) انظر المعارضة الداخلية لإمامة عبد الملك بن حميد.
(٣) مصباح الظلام، ٢٧ أ.
(٤) مصباح الظلام، ٢٧ أ. كشف الغمة ٣٣١ ب، ٣٣٢ أ. السالمي التحفة ١/ ١٥٢.
(٥) مصباح الظلام، ٢٧ أ. كشف الغمة ٣٣٢ أ. السالمي ١/ ١٥٢.
(٦) وصفها شيخ الربوة فقال: «ومدينة آدم مسورة برية» شيخ الربوة ص ٢١٨ وآدم اليوم «أقصى قرية في جنوب سلطنة عمان» «وهي مدينة منعزلة تقع على حافة الربع الخالي، وتعلو عن البحر ٨٥٠ متراً» انظر لوريمر، دليل الخليج الجغرافي، ١/ ٢٩. الدباغ، جزيرة العرب ٢/ ١٢٥.
(٧) ومدينة جعلان. وهي من أبرز مدن المنطقة الشرقية وظفار وتقع على جبال الحجر الشرقي وهي مركز لهذه المنطقة وتقع إلى الجنوب الشرقي من عمان الوسطى السعدي، =

منهم بوسيم بن جعفر فليستوثق من تمرده ويخبر الإمام بذلك[١]. (فكتب إليه وإلى آدم أنه قد حصل وقد استوثقت ويعلمني بذلك)[٢]. فأرسل إليه المهنا يحيى اليحمدي المعروف بأبا المقارش مع جماعة من الخيالة ومجموعة من الكتايب العسكرية (فلم يزل في إنفاد الكتايب حتى لقته كتيبة بمحلته)[٣] فأتوا به أسيراً إلى نزوى فحبس فيها لمدة سنة كاملة (لا يقدرأحد أن يذكره فيه ولا يسأل في أمره)[٤] مما يدل على هيمنة المهنا وسطوته في الحكم ولا شك أن مثل هذا الإمام يناسب حكمه هذه القبائل التي يصعب السيطرة عليها إلا بالشدة والقوة وإلا لعاثت في الأرض فساداً.

وقد أطلق سراح وسيم بن جعفر المهري بعد استغاثته بوجوه المهرة لدى وجوه اليحمد للتوسط لدى المهنا بن جيفر وقد أجاب وساطتهم بعد أن عرض عليهم شروطاً ثلاثة تنم عن سيطرته وقدرته على إخضاع القبائل وهذه الشروط هي: أما أن تأذن مهرة بالحرب وأما أن يرتحلوا من عمان وأما أن يحضروا الماشية كل عام إلى عسكر نزوى، وقد أجابوا على الشرط الثالث وأخذوا يحضرون إبلهم كل عام لنزوى[٥].

ومن جهة أخرى شهدت عمان آخر حركات آل الجلندي على الإمامة الأباضية وكان قائدهم هذه المرة المغيرة بن روشن الجلنداني ومن معه من بني الجلندي واستطاعوا السيطرة على توأم وقتل واليها أبي الوضاح[٦] فأرسل المهنا بن جيفر إليهم وإلى صحار أبو مروان، ويشير الأزكوى إلى اشتراك

= رسالة الإسلام، ع ٩ ـ ١٠ (بغداد ١٩٧٠) ص ١٩٥.
(١) مصباح الظلام، ٢٧ أ. كشف الغمة ٣٣٢ أ.
(٢) مصباح الظلام، ٢٧ أ.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق، كشف الغمة، ٣٣٢ أ. السالمي، التحفة ١/١٥٣.
(٥) مصباح الظلام ٢٧٠ أ. كشف الغمة ٣٢٢ أ، ٣٣٢ ب، السالمي، التحفة، ١/ ١٣.
(٦) كشف الغمة ١٣٢ ب. السالمي ١/ ١٥٤.

عناصر هندية ولا يشير فيما إذا كان هؤلاء الهنود أباضي المذهب أم استخدموا كمرتزقة في جيش المهنا والاحتمال الأول أقرب إذ إنهم لم يكونوا بحاجة إلى مرتزقة غير عقائديين للاشتراك في معاركهم وذلك لكثرة عددهم.

إذ من غير المعقول أن يسمحوا لغير الشراة الاشتراك في معاركهم. يقول الأزكوي (وسار معهم المطار الهندي ومن معه من الهند)[1]. وقد بلغ عدد جيش الأباضي الذي توجه للقضاء على آل الجلندي بتوأم اثنا عشر ألف مقاتل مما يدل على خطر الحركة وكبرها[2]. وقد استطاع هذا الجيش أن يبدد آخر آمال آل الجلندي في آخر حركاتهم في القرن الثالث الهجري فقتل بعضهم وهرب البعض الآخر ويشير الأزكوي إلى أن (المطار الهندي ومن معه من سفهاء الجيش)[3] قاموا بإحراق دور آل الجلندي ولم يرض هذا العمل المهنا بن جيفر فعوض أولئك الذين أحرقت منازلهم[4]. لقد كانت إمامة المهنا بن جيفر من أزهى عهود الازدهار والنفوذ للإمامة الأباضية وقد توفي في السادس عشر من ربيع الآخر سنة ٢٣٧ هـ/ ٧٥١ م[5].

إمامة الصلت بن مالك ٢٣٧ ـ ٢٧٣ هـ/ ٨٥١ ـ ٨٨٥ م

بعد وفاة الإمام المهنا بن جيفر اليحمدي اجتمع كبار علماء الأباضية وقادتهم، وكان رئيسهم في العلم وإمامهم في الدين محمد بن محبوب[6]

(١) كشف الغمة، ٣٣٢ ب. السالمي، التحفة ١/ ١٥٤.

(٢) كشف الغمة، ٣٣٢ أ. السالمي، ١/ ١٥٤.

(٣) كشف الغمة، ٣٣٣ أ.

(٤) المصدر السابق.

(٥) مصباح الظلام ٢٦ ب:

Bofhurst, Maaitme Trade And Imamate Government «In Arbtan Peninsula» 1970. P. 0I.

(٦) كشف الغمة ٣٣٣ أ. ومحمد بن محبوب: من مشاهير العلماء لدى الأباضية في القرن =

فبايعوا الصلت بن مالك بالإمامة في السادس عشر من ربيع الثاني سنة ٢٣٧ هـ[١]، وهو التاريخ الذي مات فيه المهنا بن جيفر إذ إن العادة التي جرت عليها الأباضية تقضي بمبايعة إمام جديد في ذات اليوم الذي يتوفى فيه الإمام السابق لكي لا تبقى الأمة بدون إمام يقودها ويسوس أمورها ولتجنب الفرقة التي يحدثها تأجيل الانتخاب والبيعة لإمام جديد[٢]. ويذكر أبو المؤثر الذي شهد بيعة الصلت أن العلماء بايعوا الصلت للإمامة (كان المشهور فيهم يومئذٍ محمد بن علي القاضي وسليمان بن الحكم والوضاح بن عقبة ومحمد بن محبوب وزياد بن الوضاح)[٣]. كما حضر البيعة مجموعة أخرى من العلماء ووجوه القوم: (إلا أن محمد بن علي وبشير بن المنذر ومحمد بن محبوب والمعلا بن منير وعبيدالله بن الحكم كانوا هم المقدمين في البيعة للصلت بن

= الثالث الهجري، كان جده الرحيل بن هبيرة من الدعاة البارزين في مرحلة الكتمان في البصرة وهو الذي نفاه الحجاج مع جابر بن زيد إلى عمان الدرجيني طبقات الأباضية، ورقة ١١٩ أ ويذكر الرقيشي أن محمد بن محبوب يرجع نسبه إلى قريش فهو محمد بن محبوب بن الرحيل بن هبيرة بن سيف من قريش وكان هبيرة من فرسان النبي (ص).
الرقيشي مصباح الظلام، ٢٨ أ.
ومما هو جدير بالذكر أن آل الرحيل لا زالت لهم بقايا حتى يومنا هذا قال السبيان: «وبعمان من آل الرحيل أولئك الأئمة الأعلام محبوب بن الرحيل... وهو المشهور في المذهب بأبي سفيان وولده العلامة القدوة الجليل محمد بن محبوب أكبر عالم في زمانه... ومنازلهم أشهر من نار على علم من ذلك العهد إلى هذه الأيام الأخيرة ولا زال لهم خلف بهذه الديار...»:
السيابي، سالم بن حمود، اسعاف الأعيان بسيرة أهل عمان (بيروت، ١٩٦٥) ص ١٦.

(١) مصباح الظلام، ٢٩ أ. كشف الغمة ٢٣٣ أ. السالمي التحفة ١/ ١٦٢.

(٢) حديث شخصي مع الشيخ محمود بن زاهر الهنائي، وخطاب بن غالب بن علي نجل الإمام الحالي للإمامة عمان أجابا عن سؤال وجهته لم يتعلق بالطريقة التي يتم بها انتخاب الإمام غالب بن علي الذي ولى إمامة عمان في نفس اليوم الذي مات فيه سلفه محمد بن عبدالله الخليلي في ٢٩ شعبان، ١٣٧٣ هـ.

(٣) أبو المؤثر، كتاب الأحداث والصفات، ورقة ٢.

مالك)[١] مع من حضر من الأباضية وقد انقاد بالأباضية لبيعتهم، ولم يكن هناك اختلاف حول إمامته[٢]. وشهدت عمان في صدر إمامته استقراراً سياسياً فلم يعد لقوى المعارضة أي دور يذكر مما يدل على استتباب الأمن والاستقرار.

ولعل من أبرز الأحداث الداخلية في هذه الحقبة تعرض عمان للسيول الجارفة في سنة ٢٥١ هـ وكان من نتائجها تعرض مناطق واسعة للخراب والدمار وأصبحت المدن العامرة أثراً بعد عين. ومن شدة هذه السيول وغزارتها أنها لم تعط للناس الفرصة للهرب، فذهب الكثير من الضحايا في الأنفس والأموال[٣]. ويصف السالمي السيول نقلاً عن بعض المصادر المتقدمة بقوله: (فقلعت السيول المنازل والأموال وغرقت النساء والرجال فغرق الرجل وعياله، وتخرب منزله وماله وحملت البحور أبدان لهم وقلعت الأشجار، فأصبح السالم الموسر منهم فقيراً يطلب الأكل والشيء اليسير[٤] وقد شملت هذه السيول بدمارها عامة عمان وتركزت بصورة خاصة في منطقة الباطنة[٥] وسمائل[٦] وبدبد وقيقا ودما وصحار. مما أدى إلى تلف الأراضي الزراعية في هذه المناطق واختفاء المعالم التي كانت تفصل بين الأراضي المزروعة وقد تصالح أهلها فيما بينهم في تعيين أراضيهم بعد انقطاع السيول باستثناء منطقة بدبد التي أصبحت بحكم المال المجهول فالحقت ببيت مال المسلمين لهلاك

---

(١) أبو المؤثر، الأحداث والصفات، ورقة ٢. السالمي، التحفة ١/ ١٦٢.

(٢) كشف الغمة، ورقة ٣٣٣ أ. السالمي، المصدر السابق، ١/ ١٦٣.

(٣) السالمي، المصدر السابق، ١/ ١٦٤.

(٤) السالمي، التحفة، ٢/ ١٦٤.

(٥) الباطنة: «وهي سهول واسعة خصبة يتراوح عرضها من ٢٠ ـ ٤٠ ميلاً تنمو فيها أشجار النخيل والفاكهة. الدباغ، جزيرة العرب ٢/ ١١٢.
وتمتد من مدينة مسقط الساحلية حتى مدينة خصب عند رأس الشيخ مسعود المواجه لمضيق هرمز إلى الشمال، وتشرف على خليج عمان ومن مدنها المشهورة «السيب، السعدي»، مجلة رسالة الإسلام العدد التاسع والعاشر (بغداد، ١٣٩٠) ص ١٩٥.

(٦) تقع سمائل: إلى شرق الجبل الأخضر، انظر خارطة عمان بملاحق الرسالة.

أهلها مما يدل على أن هذه المنطقة كانت أكثر المناطق العمانية تضرراً بهذه السيول[١].

ونلاحظ هنا أن هذه المناطق كانت تعد أغنى مناطق عمان من الناحية التجارية والزراعية، وخاصة مدينة صحار التي كانت سوق عمان التجاري[٢].

وقد بعث الصلت بن مالك بعهد لغسان بن خليد حين بعثه والياً على رستاق هجار[٣] تعنينا منه الفقرات التي تتعلق بسياسته الداخلية، يظهر فيها تأكيد السلطة المركزية للإمام فلا يجيز للوالي البت في الأحكام إلا بعد الرجوع وأخذ الإذن من الإمام (ولا تقم شيئاً من الحدود من قبلك، ولا تحكم بين الناس في القصاص. . . حتى ترفع ذلك إلي وكلما اشتبه عليك شيء من الحكم فيما بين الناس فقف ولا تتقدم عليه حتى تشاورني، فانظر أنا ومن معي من أهل الرأي ثم أطلعك من ذلك على ما أرجو به السلامة)[٤] ويظهر من هذا النص أن السلطة بالنسبة للإمام مدعمة من أهل الرأي ولكنها مركزية بالنسبة للولاة.

وفي هذا العهد أشار إلى أهل الذمة مما يدل على وجودهم في رستاق هجار وقد أوصى الصلت بن مالك واليه بأخذ الجزية عند حلول كل شهر استثنى منها الفقراء والصبيان والنساء والشيخ الكبير والعبيد كما أوصى بأن تربط (أوساطهم بالكساتيج[٥] وجز نواصيهم، وشرك نعالهم حتى لا يشبهوا

---

(١) السالمي، التحفة ٢/ ١٦٤ ـ ١٦٥.

(٢) البكري، المسالك، ٢١٥ ب.

(٣) الرستاق: تقع الرستاق في الجبل الأخضر من الناحية المطلة على سهل الباطنة ولعل هجار إحدى ولاياتها أو المركز الإداري للرستاق الحالية وبها قلعة تعرف باسم قطعة كسرى، مما يدل على أنها كانت فارسية الأصل. السعدي رسالة الإسلام ع ٧ ـ ٨ ـ، (بغداد، ١٣٩٠) ص ١٩١.
الدباغ، جزيرة العرب، ٢/ ١٢٦.

(٤) السالمي، التحفة ٢/ ١٨٧.

(٥) الكساتيج: خيط غليظ يشدد الذمي فوق ثيابه دون الزنار.

بأهل الصلاة)[1] كما فرض عليهم التزامات أخرى تميزهم عن غيرهم من المسلمين، ويظهر أن هذه التعليمات كان متعارفاً عليها في المجتمع الإسلامي مع بعض الاختلافات الإقليمية.

يقول متز: «فقد أمر هارون الرشيد ١٩١ هـ/ ٧٠٨ م بأن يؤخذ أهل الذمة في مدينة السلام بمخالفة هيأتهم هيأة المسلمين في لباسهم وركوبهم»[2] وفي «عام ٢٣٩/ ٨٥٣ أمر المتوكل أن يقتصر أهل الذمة في مراكبهم على البغال والحمير دون الخيل والبراذين»[3].

مع العلم أن الأباضية تخرج عن الإطار الإسلامي العام في هذا الحكم. ويظهر أن الأوامر كانت تقضي بالتشديد على الفرق الإسلامية الأخرى وعدم السماح لها بترويج أفكارها «وأظهر الشدة والتخويف لأهل الخلاف لقول المسلمين»[4]. ومن يرأى رأى القدرية والمعتزلة والخوارج والمرجئة وأخمد أمرهم وأمت بدعتهم، . . . والكف عن القول بغير قول أهل هذه الدعوة فمن أظهر شيئاً من ذلك فارفع إلى أمرهم حتى أنظره. . . »[5] من هذا النص يستدل على وجود هذه الفرق بعمان مع الأباضية.

---

(١) السالمي، المصدر السابق ١/ ١٩٢. ولما كانت عمان من المناطق التجارية فقد استوطن فيها اليهود للعمل بالتجارة وخاصة في صحار: انظر السالمي، ٢/ ١٣٧.

(٢) متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، المجلد الأول، ص ١٠١.

(٣) المصدر نفسه، ١٠٣.

(٤) يسمى الأباضية أنفسهم بالمسلمين وغيرهم أهل الخلاف فكلما ترد كلمة المسلمين من قبل فقهائهم وكتابهم فإنهم يعنون بها الأباضية انظر، أبو المنذر، مخطوطة كتاب المستأنف المعروف بكتاب الرصف. كشف الغمة ٣٣٣ أ.

(٥) السالمي التحفة، ١/ ١٩٢.

فتح جزيرة سقطري:

كان لموقع سقطري[(١)]. الجغرافي أثر بارز في تاريخ الجزيرة السياسي والاجتماعي والاقتصادي، إذ إنها تقع بالقرب من الساحل الشرقي لأفريقيا وبالقرب من هذا الساحل تقع دولة الحبشة المسيحية كما أنها تقع إلى الجنوب من شبه الجزيرة العربية[(٢)] التي انتشر فيها المذهب الأباضي في كل من حضرموت وجنوب عمان. وكان لموقعها التجاري أهمية كبيرة في حياة سكانها حيث يمر بها الطريق التجاري الذاهب إلى شرق أفريقيا، وإلى البلاد الواقعة جنوب المحيط الهندي وبحر الصين[(٣)]. فكانت ممراً للتجار المسلمين الذين نشروا الإسلام بهذه الجزيرة وما جاورها من الجزر الأخرى، وكانت هذه الجزيرة قبل الإسلام موطناً للنصارى[(٤)] وقد نزحت إليها قبائل مهرة، ويشير

(١) يشير الهمداني إلى موقع هذه الجزيرة فيقول: «وهي جزيرة برابر مما يقطع بين عدن وبلد الزنج ثابتاً على السميت فإذا خرج الخارج من عدن إلى بلد الزنج أخذ كانة يريد عمان وجزارة سقطري تماشيه عن يمينه. . . وطول هذه الجزيرة ثمانون فرسخاً. . .». الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد، صفة جزيرة العرب، (القاهرة، ١٩٥٣) ص ٥٢ ـ أما العوتبي فيخالف الهمداني بتقديره لطول الجزيرة ويذكر أن (طولها ثمانمائة فرسخ) العوتبي. الأنساب، ورقة ١٥٨. انظر أيضاً المهري، سليمان بن أحمد بن سليمان، المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر، (دمشق، ١٩٧٠) ق ١، ص ٦٥.

(٢) انظر السعدى، سقطري، مجلة رسالة الإسلام، العدد ٩ ـ ١٠، السنة الرابعة، (بغداد، ١٩٧٠) ص ١١٥ ـ ١٢٠.

(٣) د. مؤنس، حسين، عالم الإسلام، ص ٦ ويشير الدكتور مؤنس بقوله «فقد كان تجار العرب يخرجون من عدن إلى جزيرة سقطري فإلى جزيرة تكديف ثم إلى فاليقوت التي كانت أكبر مراكز تجمعهم. . .» ص ٧٦.

(٤) يشير الهمداني في رواية مختصرة جداً أن في الجزيرة «نحو عشرة آلاف مقاتل وهم نصارى»، ولكن لا يحدد لنا الهمداني الفترة التاريخية لوجود هؤلاء النصارى، الهمداني، صفة جزيرة العرب ص ٥٣ ـ ويشير العوتبي أن كسرى طرح بها قوم من بلد الروم فعمروا الجزيرة، «ويقولون لم يكن بها روم ولكن رهبانية على دين الروم من =

الهمداني إلى أن بعضهم قد اعتنق المسيحية ولعل هذه الهجرة كانت قبل الإسلام ثم دخلتها العقيدة الإسلامية بواسطة التجار المسلمين أو عن طريق القبائل المهاجرة من جنوب عمان حيث تسكن قبائل مهرة[١]. (ثم دخلتها الشراة من مهرة وحضرموت وعمان فقتلوا من بها)[٢]. ولما كانت هذه المناطق التي انطلق منها الشراة موطناً للأباضية فالمقصود في نص العوتبي دخول الأباضية هذه الجزيرة ويؤكد الهمداني أن تغلب الشراة على مسلمي الجزيرة من غير الأباضية (وظهرت فيها دعوة الإسلام ثم كثر بها الشراة فعدوا على من بها من المسلمين فقتلوهم غير عشرة أناسية . . .)[٣].

ومهما يكن من أمر، فليس هناك تحديد زمني تشير إليه المصادر التاريخية بدخول العقيدة الأباضية إلى جزيرة سقطري؟.

إذ إن المصادر التاريخية من أباضية وغيرها، خالية من أية إشارة توضح الفترة التي دخلت فيها الأباضية إلى هذه الجزيرة[٤]. ربما أن الدعاة الأباضية توجهوا إليها من عمان وحضرموت، فيمكن القول إن الدعوة الأباضية حلت في هذه الجزيرة في القرن الثاني الهجري وهو القرن الذي سادت فيه الدعوة

= النصرانية» العوتبي، الأنساب ورقة ٥٨ أ، ويتضح من هذه الروايات أن الجزيرة كانت تعتنق الديانة المسيحية قبل دخول العرب والمسلمين لها. انظر بهذا العدد الدباغ مصطفى مراد، جزيرة العرب موطن العرب ومهد الإسلام، ٢/ ٨١ ـ ٨٢.
قال العالم البحري بن ماجد يصف هذه الجزيرة وسكانها بقوله «وهي جزيرة عامرة قريبة التدوير، فطولها وعرضها خمسون فرسخاً بل أزيد وهي على مشارق بر الصومال يسكنها أهماج النصارى، وقيل إنهم بقية اليونان».
ابن ماجد، شهاب الدين النجدي، كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد (دمشق، ١٩٧١) ق ٢ ص ٣٠٤.

(١) الهمداني ـ صفة جزيرة العرب، ص ٥٢ ـ ٥٣.
(٢) العوتبي ـ ورقة ٥٨ أ.
(٣) الهمداني ـ ص ٥٣.
(٤) انظر العوتبي، الأنساب، كشف الغمة.

الأباضية بعمان بصورة كبيرة(١).

وفي رواية للسالمي تشير إلى خيانة النصارى: (ونقضوا ما بينهم وبين المسلمين، فهجموا على سقطري، وقتلوا والي الإمام وفتية معه)(٢) ويتضح من هذه الرواية أن هناك معاهدة بين النصارى من أهل الجزيرة والمسلمين نقضوها، بمساعدة الحبشة النصرانية، إذ يشير أطفيش نقلاً عن الزرقاني (أن الحبشة تغلبت على سقطري في عهد الإمام الصلت، فأرسل أسطولاً مؤلفاً من مائة سفينة استعادت سقطري وطردت الحبشة من الجزيرة)(٣).

وفي رواية أخرى للسالمي يذكر فيها أنه بعد استيلاء الأحباش على الجزيرة استغاثت امرأة مسلمة من أهل الجزيرة تدعى الزهراء(٤). كما يظهر من قصيدتها التي كتبتها إلى الصلت بن مالك تدعوه لإنقاذ الجزيرة المسلمة للإنتقام من صلبي الحبشية، قالت فيها:

قل للإمام الذي ترجى فضائله ... ابن الكرام وابن السادة النجب
أمست سقطري من الإسلام مقفرة ... بعد الشرائع والفرقان والكتب(٥)

---

(١) انظر الفصل الرابع من الرسالة.

(٢) السالمي، التحفة ١٦٦/١.

(٣) أطفيش، تعليقه على هامش التحفة ١٦٦/١ نقلاً عن محمد علي الزرقاني في تاريخه المسمى عمان ص ٨٠ ـ انظر أيضاً السالمي محمد بن عبدالله، وعساف، ناجي، عمان تأريخ يتكلم، (دمشق، ١٩٦٣) ص ١٣٦ ـ ١٣٧.

(٤) السالمي، التحفة، ١٦٦/١ ـ ١٦٧. ـ السالمي وعساف، عمان تأريخ يتكلم، ١٣٦. يكاد يكون هناك تشابه بين هذه الحادثة وأخرى وقعت سنة ٢٢٣ هـ عندما أغار الروم على الثغور الشامية في خلافة المعتصم محمد بن هارون الرشيد فاستغاثت به امرأة هاشمية و «صاحت وهي أسيرة في أيدي الروم وامعتصماه فأجابها...» وجهز جيشاً انتقم به من الروم وفتح مدينة عمورية، ابن الأثير الكامل في التاريخ، ٢٢٧/٥.

(٥) وجاء في هذه القصيدة في أبيات أُخر تظهران والي هذه الجزيرة اسمه القاسم وقد قتله النصارى في غزوهم لسقطرى كقولها: =

وقد جهز الصلت بن مالك أسطولاً بلغ تعداد مراكبه مائة مركب أعطى قيادته لمحمد بن عشيرة وسعيد بن شملال وقد استطاع الأسطول العماني من إعادة الجزيرة وطرد الأحباش عنها.

وقد كتب الإمام الصلت بن مالك عهداً يوصي به الغزاة الذين وجههم إلى جزيرة سقطري يتضمن تعاليم سامية في آداب الحرب تعكس التزام الأئمة الأباضية بنصوص الشريعة الإسلامية وخاصة فيما يتعلق بمعاملة أسرى المسيحيين من نساء ورجال، جاء فيه: (وإن كرهوا أن يقبلوا الإسلام، ويدخلوا فيه، فلتدعوهم إلى الرجعة من نكثتهم والتوبة من حدثهم إلى الدخول في العهد الأول الذي كان بينهم وبين المسلمين، على أن لهم الحق بحكم القرآن وحكم أهل القرآن من أولي العلم بالله وبدينه من أهل عمان ممن نزل إليهم أمر المسلمين، فإن أجابوا وتابوا فلتقبلوا ذلك منهم ولتأمروهم بترك ما في أيديهم وأيدي أصحابهم من أهل الحرب من نساء مسلمات)[1] ثم قال (فإن وصلوا إليكم بمن أجابهم من أهل الحرب وقد استسلموا وتابوا من حدثهم وجاءوا بالنساء المسلمات فأقبلوا ذلك منهم، ولا تعرضوا لأحد ممن جاءكم مستأمناً مستسلماً بسفك دمه، ولا انتهاك حرمته ولا سبي ذريته ولا غنيمة ماله، وليكونوا مثلكم آمنين)[2] كما أمرهم عند الانتصار على المسحيين أن يحضروا

= واستبدلت بالهدى كفراً ومعصية ... ولأذان نواقيساً من الخشب
جار النصارى على واليك وانتهبوا ... من الحريم زلم يألوا من السلب
إذ غادروا قاسماً في فتية نجب ... عقوى مسامعهم في سبب خرب
ما بال صلت ينام الليل مغتبطاً ... وفي سقطرى حريم باد بالنهب
يا للرجال أغيثوا كل مسلمة ... ولو حبوتم على الأذقان والركب

السالمي، ١/ ١٦٧ ـ ١٦٨. عمان تاريخ يتكلم، ص ١٣٦.

(١) السالمي، التحفة ٢/ ١٧٤.
(٢) المصدر نفسه ٢/ ١٧٥.

سباياهم إلى عمان لينظر هو في أمرهم.

كما أوصاهم بعدم قتل الصبي الصغير والشيخ الكبير والمرأة المسالمة في حالة التحام الحرب إلا إذا ساعد الشيخ الكبير أو المرأة مقاتلتهم فيحل قتلهم(١) كما وردت في هذا العهد إشارة مهمة توضح لنا سياسة الصلت إزاء مستقبل الجزيرة بعد شن الغارات المسيحية عليها مراعياً في ذلك بعد الجزيرة عن عمان وقربها من الحبشة المسيحية، ولذلك يكون من المستحيل وصول النجدات في الوقت المناسب لإغاثة العرب المسلمين القاطنين فيها فيما لو هوجمت من قبل القوات الحبشية القريبة من مراكزها التموينية في رأس الزنج(٢) فقال الصلت مشيراً إلى ذلك: (ومن أراد من أهل الصلاة من رجال أو نساء أو صبيان، أن يخرجوا معكم إلى بلاد المسلمين، فاحملوهم في حمولتكم، وأنفقوا عليهم من مال الله حتى يصلوا إلى بلاد المسلمين، فإن تلك دار (يعني سقطري) لا تصلح لهم بعد تلاحم الحرب بيننا وبينهم(٣) ثم قال: (وإن انقضى الأمر بينكم وبين عدوكم إلى رأس الزنج فأخرجوه في رأس الزنج)(٤) ويستشف من هذه النصوص عدة أمور هي:

الأول: الاحتمال الأول يقضي بتخلية الجزيرة ممن يرغب من المسلمين ونقلهم إلى عمان لأن الجزيرة أصبحت دار حرب فأصبح سكانها عرضة

---

(١) أيضاً، ٢/١٧٩.

(٢) يقابل رأس الزنج اليوم رأس غفرد فوى الواقع في شمال الصومال المطل على خليج عدن ويبعد عن سقطرى حوالي ١٢٠ ميلاً في حين يبعد عن عدن بحوالي ٥٠٠ ميل، وكان يسمى في العصور الوسطى رأس التوابل ورأس عسير الدباغ، جزيرة العرب، ٢/٨٢. انظر مجلة رسالة الإسلام العدد التاسع والعاشر، (بغداد: ١٣٩ هـ) ص ١٢١ ويسمى المسعودي البلاد الواقعة جنوب وشرق سقطرى بلاد الزنج فيكون رأس الزنج شمال هذه البلاد، المسعودي مروج الذهب، ١/١٢٢.

(٣) السالمي، التحفة ٢/١٨٢.

(٤) المصدر نفسه.

للانتقام من نصارى الحبشة.

الأمر الثاني: أن الصلت أمر قواته إذا اقتضى الأمر بمطاردة النصارى إلى الساحل الشرقي لأفريقيا المجاور لجزيرة سقطري المسمى رأس الزنج، وهذه الإشارة تؤيد أن مصدر الخطر على سقطري هو الحبشة المسيحية. على أنه ليست لدينا معلومات واضحة تشير إلى ترك العرب المسلمين لهذه الجزيرة في الفترة موضوع البحث.

وقد أصبحت الجزيرة في النصف الأول من القرن الرابع الهجري مركزاً خطراً على المراكب الإسلامية الذاهبة إلى الهند والصين وشرق أفريقيا، ويشير المسعودي إلى سكانها النصارى في عصره وجلهم من اليونانيين (وفي هذا الوقت تأوي بوارج الهند الذين يقطعون على المسلمين في هذه البوارج وهي المراكب، على من أراد الصين والهند وغيرها[1]. ويتضح لنا من نص المسعودي هذا أن الجزيرة خرجت من سيطرة العمانيين في النصف الأول للقرن الرابع الهجري وأصبحت مأوى لبوارج القرصنة الهندية.

---

(١) المسعودي، مروج الذهب، ١/ ٤٤٠. ـ متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، المجلد الثاني ص ٤٣٧.

الفصل السادس

الإمامة الأباضية الثانية بعمان

ثانياً ـ بدايات التدهور ثم السقوط

٢٣٧ ـ ٢٨٠هـ/٨٥١ ـ ٨٩٣ م

الحرب الأهلية وتدهور الإمامة الأباضية

أولت المصادر الأباضية اهتماماً ملحوظاً حول مسألة عزل الصلت بن مالك عن الإمامة وتكمن أهمية ذلك[1] لأنها كانت قطب الرحى الذي دارت حوله الفتن والانشقاقات وبالتالي الحرب الأهلية بعمان التي أدت إلى زوال الإمامة الأباضية سنة ٢٨٠ هـ/ ٨٩٣ م[2].

ولأهمية النتائج التي ترتبت على هذا الحادث فقد وقف العلماء المعاصرون للحدث ومن بعدهم مواقف مختلفة ما بين مؤيد ومعارض.

واختلفت التفاسير والحجج بين الطرفين. فإن الاختلافات النظرية بين فقهاء الأباضية ترتب على انقسام القوى السياسية في الداخل، فقد قام موسى بن موسى بن علي الأزكوي[3] ومؤيدوه بالمطالبة بعزل الصلت بن مالك عن الإمامة وحجتهم في ذلك أن الصلت قد بلغ من العمر مرحلة كبيرة لا يستطيع فيها القيام بإدارة الإمامة[4].

---

(١) لهذا السبب ألف أبو المؤثر الصلت بن خميس كتابه الموسوم الأحداث والصفات وكان معاصراً لهذه الأحداث وهنا تكمن أهمية الاعتماد عليه في بحث هذه المسألة. وألف بعده أبو الحسن البسيوي كتاباً للرد على خصوم الصلت بن مالك الموسوم الحجة على مَنْ أبطل السؤال في الحدث الواقع بعمان.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ١٥٦/٤.

(٣) البسيوي، الحجة على من أبطل السؤال، ورقة ١١ ـ. مصباح الظلام ٢٨ أ.

(٤) أبو المؤثر، الأحداث والصفات ورقة ٢.

أما وجهة نظر الإمامة فقد وردت في كتاب أرسله الصلت بن مالك إلى أحد أتباعه يبين له كيف عزل عن الإمامة يلقى فيه باللائمة على الشباب الأباضي الذي خرج عليه ويعزى هذا الخروج إلى انقراض الجيل الأول من أهل الدعوة، ومما كتب إليه قوله «واعلم يا أخي أن هذه الدولة قد كان لها رجال لهم حلوم راجحة عللة، وقلوب سليمة، كانوا على أمر واحد يطأ الآخر أثر الأول. . . فلم يزالوا على ذلك حتى مضوا فانقرضوا رحمة الله عليهم. . ثم خلفنا نحن وأنتم من بعدهم. . . فقمت بهذا الأمر ما شاء الله. . . إلى أن ذهب أهل الفضل وأهل العدل وأنشأ اليوم شباب وناس ظهرت رغبتهم في الدنيا وطلبوا الرئاسة فيها»[١]. ومن هذا الاستعراض الموجز لوجهات النظر المختلفة تظهر حقيقة مهمة وهي تصدع قيادة الدعوة الأباضية وقلة كفاءتهم وبروز الأطماع الشخصية لدى الدعاة مما أدى إلى تمزق الوحدة الداخلية لعمان، فالسبب إذن أعم وأشمل من الأسباب الشخصية التي أدت إلى عزل الصلت بن مالك عن الإمامة كالقول بضعفه[٢] وإن كان الضعف هو السبب المباشر الذي استغله المناوئون للإطاحة به.

وضعف عن إدارة الإمامة فمن باب الحرص والحفاظ عل الدولة طلبوا إلى الصلت اعتزال الإمامة الأباضية[٣]. ويقول الرقيشي في ذلك «وبلغنا أن موسى بن موسى بن علي سار إلى نزوى وتكلم في أمر الصلت وهمّ بعزله وتابعه على ذلك عبدالله بن سعيد الفححي والحواري بن عبد الله الحمداني وسار هؤلاء بمن معهم حتى اجتمعوا مع موسى بن موسى بفرق[٤]. وكان الأمر

---

(١) السالمي، التحفة ١/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٢) كشف الغمة، ٣٣٣ أ.

(٣) السالمي، التحفة، ١/ ١٩٧ ـ ١٩٨.

(٤) تقع «فرق على الضفة اليسرى لوادي كلبوه على ثلاثة أميال أسفل نزوى».
لوريمر، دليل الخليج، ٢٤٤٨/٥.

يومئذٍ إليه»[١]. ويتضح من هذا النص أن موسى بن موسى كان إليه أمر المرجعية الدينية، ومثل هذه الشخصية ببالها من تأثير روحي ومركز قيادي في سياسة الدعوة، فقد قام بدور مميز في أحداث هذه الفترة وكان إليه أمر عزل الصلت بن مالك فمن فرق القريبة من مدينة نزوى مقر الإمامة الأباضية أرسل موسى بن موسى إلى الصلت بن مالك يدعوه لاعتزال الإمامة فنظر في طلبهم أياماً فبقوا ينتظرون رأيه «ثم عزم على الاعتزال»[٢] وشهد عزله مجموعة من الشراة «ثم برز إلى الناس وودعهم وداع تارك الأمر معتزل بنفسه عما كان فيه»[٣] وهذه الروايات لا يمكن الركون إليه لأنها تعبر عن وجهة النظر الموالية لموسى بن موسى وأتباعه.

ويعزي بعض مؤرخي هذه الحقبة التدهور والانحلال الذي بدأ يهدر استقلال الإمامة ووحدتها إلى تغيرات جديدة تمس الجانب الفكري لدى الجماعة الأباضية وخاصة قادتها الجدد ويتلخص هذا التفسير على أن الجيل المؤسس أكثر إخلاصاً وعلماً وتماسكاً لا يبتغي من وراء أعماله مصالح شخصية أما الأجيال التي تعقبه فهي تتدرج في إخلاصها وعلمها حتى يصل الأمر إلى جيل جديد لا يستطيع المحافظة على تراث السلف فينهار الكيان السياسي للجماعة، وهذا ما حدث لجيل موسى بن موسى بن علي ونرى هذه النظرة واضحة في تحليل أبي المؤثر الذي عاصر هذه الأحداث بقوله: (ولكن القدوة بأهل العلم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وأثار السلف من أولي الأمر الذين جعلهم الله للناس أئمة يفرقون بين الحق والباطل... يمضي على ذلك أولهم ويقفوهم على آثارهم آخرهم... حجتهم واضحة ودعوتهم شارحة فكلما مضى منهم قرن خلفهم من بعدهم من هو دونهم بالفقه والعلم إلا أن

---

(١) مصباح الظلام، ٢٨ أ.
(٢) السالمي، التحفة ١/١٩٨.
(٣) السالمي ـ التحفة، ١/١٩٨.

الديانة واحدة.. على ذلك تبايعوا وتشايعوا وتواصلوا إلى أن انتهى الأمر إلى قرن من أهل عمان فيهم بقية من أهل العلم)[1] ويظهر هذا التفسير أكثر وضوحاً في تحليلات أبي قطحان خالد بن قحطان[2] التي تمثل وجهة الجماعة الموالية للصلت بن مالك فوصف الجيل الجديد بقوله (نشأ في الدولة شباب وناس يتخشعون من غير ورع، يظهرون حب الدين، ويبطنون حب الدنيا ويأكلون الدنيا بالدين، فلما طال عمر الصلت بن مالك عليهم ملوه لما كبر وضعف)[3] ثم قال (فلما ذهب أعلام المسلمين وفقهاؤهم وأهل الورع ومن يطلب الآخرة وبلغ الكتاب أجله، وأراد الله أن يختبر أهل عمان كما اختبر من قبلهم.. فلما اختبرهم قل بصرهم وزالت عقولهم، وجاروا عن الحق، وخالفوا سيرة المسلمين إلا قليلاً أنقذهم الله)[4]. ومن هذا النص يمكن أن نستشف حقيقتين أراد أن يؤكد عليها أبو قطحان، الأولى: بداية صراع بين الجيل الجديد والجيل القديم الذي يمثله الصلت بن مالك.

الثانية: تأكيد حجة الخصوم في الخروج على الصلت وعزله عن الإمامة وهي كبر الصلت وضعفه فسأم الجيل الجديد طول مدة إمامته التي بلغت خمسة وثلاثين عاماً وسبعة أشهر[5].

وإن أبرز هؤلاء هو موسى بن موسى الذي كانت له اليد الطولى في أحداث عمان في هذه الفترة مستغلاً مركزه الديني لدى عامة

---

(١) أبو المؤثر، كتاب الأحداث والصفات، ورقة ٢.
(٢) أبو قحطان خالد بن قطحان، (ذكره البسيوي الذي عاش في سنة ٤٥٠ هـ. وعده من علماء القرن الثالث والرابع الهجريين): الحجة على من أبطل السؤال في الحدث الواقع بعمان، ورقة ٢٠. كم اطلع الأزكوي على مؤلفه المسمى بالسيرة المنسوبة إليه ونقل عنه بعض معلوماته وخاصة ما يتعلق بإمامة الصلت. كشف الغمة ورقة ٣٣٣ أ.
(٣) السالمي ـ التحفة ١/ ٢٠٢ ـ نقلاً عن سيرة الشيخ أبي قحطان خالد بن قحطان.
(٤) المصدر السابق ١/ ٢٠٣.
(٥) كشف الغمة ورقة، ٣٣٣ ب.

الأباضية[١] ويجب أن نؤكد على حقيقة مهمة عند تفسيرنا الأحداث هذه الفترة وهي وجود عنصران يتدخلان في رسم السياسة الداخلية للإمامة.

العنصر الأول: شخصية الإمام الأباضي ومدى إخلاصه وكفاءته الإدارية ومعالجته لمجتمع معقد التركيب من الناحية القبلية كالمجتمع العماني.

العنصر الثاني: هو شخصية المرجع الديني ودوره في إضفاء طابع الوحدة والتماسك لدى الجماعة الأباضية.

إن لهذين العنصرين معاً بإمكانهما تحديد السياسة العمانية فكلما قويت شخصية الإمام تضاءل دور المرجع الديني كما رأينا في حياة الأئمة الذين سبقوا الصلت بن مالك، ويبرز دور المرجع أو أئمة الدين في الفترات التي يتدهور فيها مركز الإمام فيلجأ الناس إلى أئمة الدين لبحث المشاكل المصيرية كمشكلة الإمامة على سبيل المثال[٢]. ويتوقف نجاح المرجع الديني في حل هذه المشاكل كقوة الشخصية ونكران الذات والإخلاص للدعوة وبعد النظر للمواقف التي يتخذها وما يترتب عليها من نتائج، وهنا يمكن المقارنة بين شخصية موسى بن أبي جابر الأزكوي ومهارته السياسية[٣] وبين شخصية موسى بن موسى القلقة التي أدت إلى نتائج وخيمة.

منها إشعال أوار الحرب الأهلية وما ترتب عليها من نتائج سلبية ويظهر دوره واضحاً في عزل الصلت بن مالك بالصورة التي أدت إلى إنقسام الدعوة ورجالها[٤] وقد عبأ أذهان الناس بخطبه التي كان يلقيها في يوم الجمعة فمن ذلك قول أبي المؤثر (ولم يزل معهم إماماً ثابتة إمامته فيما علمنا إلا أن يكون

---

(١) أبو المؤثر، الأحداث والصفات، ورقة ٧ و ٨. أبي المنذر كتاب المستأنف ورقة ٣.
(٢) البسيوي، الحجة على من أبطل السؤال، ورقة ١٧.
(٣) انظر البحث المتعلق باعلان الإمامة الأباضية في بداية الفصل الرابع من الرسالة.
(٤) أبو المنذر، المستأنف، ورقة ٤. انظر البسيوي، الحجة على من أبطل السؤال ١٧.

أحدهم اطلع على شيء لم يعلم ولم يشهد أن برز موسى بن موسى فجعل يتكلم ويدعي أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يسمي بحدث منه ولا ذنب مكفر، ولا حجة يقيمها على الإمام يعلمها العامة إلا أنه كان يطلب عزل الولاة وعزل بعض الوزراء فيما ذكر لنا. . . فكان يقول فيما بلغنا أن الدولة في أيدي الفسقة)[١] وهنا تظهر المشاركة الواسعة لموسى بن موسى في شؤون الدولة، ومن خلال هذه المشاركة كان يمهد لعزل الإمام ومؤيديه، وكان على جانب كبير من المكر والدهاء مكنه من أن مهاجمة خصومه وتفسيقهم (فإذا أتاه بعض من الذين يشتمهم ويفسقهم قربهم وأدنا مجالسهم)[٢] وقد أدرك عقلاء الأباضية وساستهم أساليبه المتقلبة (وفي ذلك ارتياب من فعله للعاقلين)[٣] فانقسم الناس بسببه ما بين مؤيد لموسى بن موسى وآرائه وبين رافض محافظ على ولاية الصلت بن مالك. وقد استطاع موسى بن موسى أن يحشد عدداً كبيراً من أتباعه ونزلوا فرق القريبة من عسكر الإمام[٤] بمقدار ثلاثة أميال أسفل مقر الإمامة في نزوى[٥]. فتخاذل الناس عن الصلت الذي اضطر إلى ترك بيت الإمامة فبايع موسى بن موسى لراشد بن النظر وكان ذلك يوم الخميس من شهر ذي الحجة سنة ٢٧٣ هـ بعد أن دامت إمامة الصلت (٣٥) عاماً[٦].

وقد أبدى كل من السالمي وعساف اعجابهما بتنازل الصلت عن الإمامة فقالا (يدهش المرء حينما يقف أمام هذه المبادىء الديمقراطية ولا يسعه إلا أن يعجب بأخلاق الأئمة الذين كانوا لا يرون غضاضة أبداً في التنازل عن أكبر

---

(١) أبو المؤثر، الأحداث والصفات، ورقة ١١.
(٢) المصدر السابق، ورقة ١٠.
(٣) المصدر السابق.
(٤) أبو المؤثر، كتاب الأحداث والصفات، ورقة ٨. ـ مصباح الظلام. ٢٨ أ.
(٥) لوريمر، دليل الخليج، ٥/٢٤٤٨.
(٦) كشف الغمة، ٣٣٣ أ، ٣٣٣ ب. العقود الفضية في أصول الأباضية ٢٢٥.

مركز في الدولة إذ كان هذا الأمر في مصلحة الشعب نفسه[1] وصحيح أن المبادىء الأباضية فيما يتعلق بالإمامة كانت ديمقراطية ولكن الصلت بن مالك أجبر على ترك الإمامة. يقول الأزكوي في صدد ذلك (فتخاذلت الرعية عن الصلت وضعف عن الإمامة)[2]. وقد شكا الصلت بن مالك في رسالته التي كتبها إلى الجمهور بن سنجة تخاذل الناس وتفرقهم عنه (فزحف القوم إلينا، وتقارب بعضهم من بعض، فأمرت الشراة، ومن كان على هذا الفيء بالشخوص ومنع العسكر، وأن يجاهدوا على الدولة فكرهوا، فكتبت إلى عمر بن محمد القاضي بالخروج إلي وخرجت إليه فلم يخرج)[3] فالصلت بن مالك إذن حاول الاستعانة بقواده فخذلوه وقد أتهم في رسالته موسى بن موسى بنهبه لبيت مال المسلمين كما حمله مسؤولية ضعف الدولة الأباضية. واطمعوا في هذه الدولة عدوها وفعلوا ما لم يرض الله به، وما اختلعت وما تبرأت[4].

ومهما يكن القول في إمامة الصلت بن مالك فالخروج عليها لم يكن وفقاً لتعاليم المذهب الأباضي في الإمامة وهنا كان محور الخلاف بين الأطراف المتنازعة من رجال الدعوة وعلمائهم[5]، فلم يفكروا برأب الصدع (وتفرق رأيهم ووقعت بينهم الفتنة في عمان وكبرت المحنة واختلفوا في دينهم وتفرق رأيهم)[6] مما أتاح المجال للقوى القبلية أن تظهر على المسرح السياسي بتشجيع من رجال الدعوة أنفسهم فبدى منعطف خطير تمثل بالفوضى العسكرية

---

(١) عمان تاريخ يتكلم، ١٢٧.
(٢) كشف الغمة، ٣٣٣ أ.
(٣) السالمي، التحفة، ٢/ ٢٠٥.
(٤) المصدر السابق، ٢٠٦.
(٥) أبو المؤثر، الأحداث والصفات، ورقة ٦، ٩. الحجة على من أبطل السؤال في الحدث الواقع بعمان، ورقة ١٢ فما بعد.
(٦) كشف الغمة، ٣٣٣ ب.

والفتن بين القبائل العمانية[1]، فتمهد السبيل أمام الخلافة العباسية لإرجاع عمان إلى حضيرتها.

إمامة راشد بن النظر اليحمدي ٢٧٣/٨٨٦ ـ ٢٧٧ هـ/٨٩٠ م:

بعد عزل الصلت بن مالك عن الإمامة عقد موسى بن موسى الإمامة لراشد بن النظر يوم الخميس في السابع والعشرين من شهر ذي الحجة سنة ٢٧٣ هـ/ ٨٨٦ م[2]. وكان راشد دون شك من الفئة التي أعانت موسى بن موسى في مساعيه لعزل الصلت ولذلك وقع اختيار موسى عليه لتولي الإمامة وقد تمت بيعته في منطقة (فرق) الواقعة جنوب مدينة نزوى مقر الإمامة الأباضية بعمان[3]. وفيما عدا موسى بن مماسي المرجع الديني، فقد ساعد راشد بن النظر في الوصول إلى السلطة عدد من الشخصيات العسكرية المهمة مثل، فهم بن وارث[4] وعبدالله بن سعيد.

وبعد أن دخل راشد موسى مدينة نزوى وفيها بيت الإمامة مقر الإمام الأباضي، سلمهم الصلت بن مالك خاتم وكم الإمامة[5]. وتسليم الخاتم

(١) انظر العوتبي، الأنساب، ١٦٢ ب، العقود الفضية في أصول الأباضية ٢٥٥.

(٢) كشف الغمة، ٣٣٣ أ. ذكر السالمي أن بيعته كانت سنة ٣٧٢ هـ، ٨٨٦ م التحفة ٢١٦/١.

(٣) الأحداث والصفات، ورقة ٨. مصباح الظلام، ٢٨ أ. كشف الغمة ٣٣٣ أ. التحفة ٢١٦/١.

(٤) فهم بن وارث اليحمدي الكلبي: ومن رؤساء اليحمد بعمان ثار بعد ذلك على راشد بن النظر وأسر في واقعة الروضة وسجن في مدينة نزوى لأكثر من سنة وأطلق سراحه بناء على مشورة موسى بن موسى الراشد بن النظر.
العوتبى، أنساب العرب، ورقة ١٦٢ ب، ١٦٣ أ.

(٥) البسيوي ـ الحجة على من أبطل السؤال، ورقة ١٣، ويظهر أن الكم نوع من الأردية الخاصة التي يلبسها الإمام الأباضي.

والكم من المراسيم التي تثبت إمامة الإمام الجديد وتخلي الإمام السابق عن الإمامة.

ولم تظهر تغيرات جديدة على المستوى الإداري فبقي الولاة السابقون في عهد إمامة الصلت دون أن يغير النظام الجديد أحداً منهم. على أن بعض الشخصيات المتعاونة مع الثوار كالحسن بن سعيد والي الرستاق الذي كان حلقة الوصل بين الثوار وبين الصلت بن مالك قد كوفيء بتعيينه والياً على منطقة جلفار[1]. ذات الموقع البحري المهم تجارياً وعسكرياً. كما عين أحد قوات الصلت المسمى الحواري بن بركة مسؤولاً عن الماشية[2] لتمرده على أوامر الصلت بن مالك.

أما على الصعيد الداخلي لعمان فيبدو أن قبائل مهرة المتمردة في جنوب عمان[3]. بدأت تعكر صفو الأمن مستغلة في ذلك اضطراب حبل الأمن في عمان الوسطى وقد وصف أبو المؤثر هذه الظروف فقال: «وقد تكون الأحداث من قبل مهرة في طرف عمان، فربما يضربون الرجل ويستاقون للناس بعض الإبل، ولا أخذ راشد منهم رجلاً على ذلك، ولا بعث إليهم سرية وإنما كان بأسه وشدته على الرستاق ومن حولها»[4].

الصراع بين القبائل العمانية:

لعل أهم ما يميز إمامة راشد بن النظر احتدام الصراع بين القبائل

(١) الأحداث والصفات، ورقة ٧. تحفة الأعيان ١/ ٢١١.
(٢) المصدر السابق.
(٣) مصباح الظلام ٢٦ ب، ٢٧ أ، تقع بلاد مهرة إلى الشرق من حضرموت حتى ظفار، الدباغ، جزيرة العرب، ٢/ ٧٩.
(٤) السالمي ـ التحفة ١/ ٢١٩ نقلاً عن أبي المؤثر.

العمانية[١] تحت ستار عقائدي متهمة بعضها البعض الآخر بالانحراف عن مباديء الإمامة الأباضية. فجرت وقائع حربية مشهورة تركت آثارها السلبية على الدعوة الأباضية بعمان وكانت أهم هذه الوقائع:

واقعة الروضة:

كان من أهم الأسباب التي أدت إلى واقعة الروضة أن أقوى المعارضة لإمامة راشد بن النظر لا زالت متمسكة بإمامة الصلت بن مالك الذي لا زال حياً عند وقوع هذه الحرب[٢] وكان شاذان بن الصلت بن مالك بن الإمام المعزول قد كاتبه جماعة من كلب اليحمد «يسألونه الخروج على راشد»[٣] فاجتمع بهم شاذان بن الصلت «فلما بلغ راشد اجتماعهم بعث من قبله قواداً»[٤] على رأسهم عبيدالله بن سعيد فظفر بهم في «موضع يقال له الطباقة من أسفل وادي عمق[٥]»، إلا أن شاذان استطاع الهرب وكان مصير أصحابه القتل، وأما من بقي حياً من جند شاذان فقد أخذ أسير وأودع سجن نزوى[٦]. لقد حفزت هذه المضايقات رؤساء بعض القبائل كما تخلى الفهم بن وارث عن تأييده لراشد بن النظر وانحاز إلى الحزب المعارض لراشد بن النظر وفي منطقة الرستاق عقد اجتماع ضم وجوه قبيلة كلب اليحمد الأزدية كالفهم بن وارث الكلبي «ومصعب وأبو خالد إبنا سليمان الكلبيان، وخالد بن سعوة الخروصي، وسليمان بن اليمان وشاذان بن الصلت ومحمد بن مرجعة وغيرهم من وجوه اليحمد»[٧] وقرروا أن

---

(١) العوتبي، ١٦٢ ب ـ. كشف الغمة، ٣٣٣ ب ـ. عمان تاريخ يتكلم ١٣٧.
(٢) العوتبي، ١٦٣ أ.
(٣) أبو المؤثر الأحداث والصفات، ورقة ٢٠. ـ السالمي التحفة، ١/ ٢٢١.
(٤) المصدر السابق. السالمي، ١/ ٢٢١.
(٥) المصدر السابق، السالمي ١/ ٢٢١.
(٦) أبو المؤثر، الأحداث والصفات، ورقة ٢١.
(٧) العوتبي، الأنساب، ١٦ ب. السالمي، التحفة، ١/ ٢٣١.

يستعينوا بقبائل العتيك الأزدية في حربهم لراشد بن النظر «وكاتبوا مسلماً وأحمد بن عمران»[1] فقام أحمد وعيسى بمراسلة أولاد مالك بن فهم فكاتبوا (نصر بن المنهال العتكي الهجاري من ولد عمران[2] وكان رئيساً لقبيلة العتيك في منطقة الباطنة فاستجاب لدعوتهم (وبايعهما عى نصرة شاذان بن الصلت ومن معه من اليحمد[3] كما لبى دعوتهم «سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمي، فبايع من بالباطنية من قومه سليمة وفراهيد وغيرهم من سائر ولد مالك بن فهم»[4] وبهذا يعتبر هذا التحالف بين قبائل اليحمد والعتيك وبني مالك بن فهم (سليمة وفراهيد) أو تحالف قبلي يظهر في عمان في الدولة الأباضية بحجة الدفاع عن الإمامة، وقد أصبح هذا التحالف أساساً لتحالف القبائل اليمانية بعمان، ومما يلفت النظر أن أئمة الدعوة الأباضية لم يعد لهم دور بارز في قيادة الناس كما كانوا يفعلون[5] وانتقل الثقل السياسي إلى رؤساء القبائل المختلفة.

وبعد الاستعدادات التي اتخذها سليمان بن عبد الملك ونصر بن المنهال التحقوا بقواتها بشاذان بن الصلت (والفهم بين الوارث ووجوه اليحمد، والرستاق، فأكدوا البيعة لهم)[6] وخرجت جميع هذه القوات طالبة مدينة نزوى مقر الإمامة لخلع راشد بن النظر، وبهذا انقسمت قوى الصراع، وكما يحلو لبعض المؤرخين بتسميتهم بالنزوانية والرستاقية[7] وهو تعبير صحيح إلى

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) العوتبي، ١٦٢ ب. السالمي، ١/ ٢٣١.
(٤) العوتبي ١٦٢ ب، السالمي ١/ ١٣١.
(٥) المصدر السابق.
(٦) انظر البحث المتعلق باعلان الدولة الأباضية، الفصل الرابع من الرسالة.
(٧) العوتبي و ١٦٢ ب. السالمي ١/ ٢٣١.

حد ما[1]، ذلك لأن الانشقاق الكبير الذي قسّم أهل عمان إلى يمانية ومضرية لم يتبلور بصورة واضحة في إمامة عزان بن تميم الخروصي[2].

كانت الأخبار قد وصلت إلى راشد بن النظر فيما يتعلق بتوجه القوات المتحالفة التي قادها شاذان بن الصلت بن مالك إلى مدينة نزوى[3]، فجهز لذلك (السرايا والجيوش خيلاً وجلاً)[4] وأعطى قيادتها لعبدالله بن سعيد الفححي والذي يسميه أبو المؤثر برأس الفتنة والخطيئة[5].

والحواري بن عبدالله الحمداني والحواري بن محمد الداهي[6]، فالتقى الفريقان بمنطقة تسمى الروضة الواقعة إلى الغرب من تتوقف بين نزوى والجبل الأخضر، ومعنى ذلك أن قوات شاذان بن الصلت عبرت الجبل الأخضر إلى الجهة الغربية منه حيث يذكر العوتبي أنهم (أخذوا طريق الجبل يريدون عزل راشد بن النظر)[7].

والتقى الفريقان مساء إذ استطاعت قوات راشد بن النظر التي كانت

---

(١) العقود الفضية في أصول الأباضية، ٢٥٥. أي نسبة هذه القوى إلى المناطق التي انطلقت منها وإن صح التعبير فهي حرب بين الساحل والداخل انظر الخارطة الملحقة بالرسالة.

(٢) كشف الغمة، ٢٣٤ ب. انظر عمان تاريخ يتكلم ١٣٧.

(٣) العوتبي، ١٦٢ ب. السالمي، ١/ ٢٣٢.

(٤) العوتبي، ١٦٣ أ. السالمي، ١/ ٢٣٢. ولعله يقصد رجالاً.

(٥) أبو المؤثر، الأحداث والصفات، ٢٢. ورد اسمه في التحفة بعبدالله بن سعيد الفحي، وقال أطيفش في الهامش لعله الفجعي، والصحيح ما ورد في أصل مخطوطة العوتبي حيث نسبه إلى الفحح وهي قبيلة معروفة بعمان انظر تحفة الأعيان ٢/ ٢٣٢، العوتبي ١٦٢ ب.

(٦) السالمي، ٢/ ١.

(٧) انظر العوتبي، ١٦٢ ب «ونتوقف اليوم من مدن عمان الوسطى، تقع على بعد مسافة قصيرة إلى الشمال من نزوى، الدباغ، جزيرة العرب ٢/ ١٢٦. السعدي، رسالة الإسلام العدد: ٧ و ٨، (بغداد ١٩٧٠) ص ١٩٤.

متأهبة لقتال الفهم بن وارث وحلفائه من أحكام الحصار عليهم، وقد وصف أبو المؤثر هذا الحصار فقال: ودار أصحاب راشد بفهم وأصحابه شرقاً وغرباً وأعلا وأسفل)[1] وجرت بينهم مناواشات قليلة ثم تحاجزوا حتى الصباح وأراد غيلان بن عمر أحد قواد السرايا التابعة لوالي صحار أن يكون وسيطاً بين العهم بن وارث وحلفه وبين قواد راشد بن النظر، إلاّ أن الحرب نشبت بعيداً عن موقع المفاوضات فسرت على جميع الجهات، واستطاع أنصار راشد من انزال هزيمة منكرة بأنصار شاذان بن الصلت والفهم بن وارث[2]. ويشير العوتبي واصفاً نتائج هذه المعركة بقوله (فأما اليحمد فأنهم كانوا عارفين بالموضع فتعلقوا برؤوس الجبال)[3] لأن هذه المنطقة كانت موطناً لسكناهم فاستطاعوا الهروب بيسر لمعرفتهم بشعاب الجبال وطرقها[4]. (أما العتيك وبنو مالك بن فهم فصبروا في المعركة حتى قتل نصر بن المنهال العتكي)[5] شيخ هذه القبيلة، فاضطروا للهرب كما هرب اليحمد من قبلهم بعد أن قتل الكثير من وجوه هذه القبائل، كما أسر من اليحمد الفهم بن وارث الكلبي وسليمان بن عبد الملك بن بلال السليمي وغيرهم من وجوه هذه القبائل. وقد سجنوا لمدة سنة أو أكثر ثم أطلق سراحهم بعد تدخل موسى بن موسى وجماعة من وجوه العمانيين[6].

وقد فتحت هذه المعركة الباب على مصراعيه لأوار حرب أهلية بين اليمانية والمضرية ووقعت الفتنة بين أهل عمان بسبب هذه الوقعة، وتعصبت

---

(١) أبو المؤثر، الأحداث والصفات ورقة ٢٢. السالمي، التحفة ١/ ٢٣٢.
(٢) المصدر السابق. العوتبي، ١٦٣ أ.
(٣) العوتبي، ١٦٣.
(٤) كان أغلب الأئمة من وادي بني خروص حيث تسكن قبائل اليحمد في هذا الوادي والمناطق المجاورة بنزوى ولذلك دخل كبير في انتخابهم للإمامة.
(٥) العوتبي، ١٦٣. السالمي، التحفة ١/ ٢٣٣.
(٦) العوتبي، ١٦٣ أ.

القبائل)[١]. وكان لأبي محمد بن الحسن بن دريد الأزدي دور بارز في إضرام نيران هذه الحرب بتحريضه للقبائل الأزدية بقصائد من الشعر طويلة، وله في هذه الوقعة قصيدة مطلعها:

نبه نابه وخطب جليل بل رزايا لهن عبء ثقيل[٢]

وقد تركت قصائده أثراً في تأجيج نار العصبية القبلية، وقد حرض في قصيدته القبائل الأزدية على بني أسامة بن لؤي بن غالب[٣] ولعله يشير بذلك اشتراك الحواري بن عبدالله السامي كقائد لقوات الإمامة الأباضية في هذه الواقعة[٤]. وقد عكس ابن دريد في قصيدته تصور جيله الذي بدأ يفسر الأحداث على أساس عصبيات الدم والثأر بين القبائل وهذه الحقيقة كانت من نتاج واقعة الروضة التي أضعفت إلى حد بعيد الدعوة الأباضية بعمان وزادت

---

(١) المصدر السابق.

(٢) وفيما يلي بعض من أبياتها التي توضح لنا طبيعة موقف الأطراف المتنازعة وفيها يخاطب قومه ويستحثهم لأخذ ثأرهم فقال:

أقليل عزيزكم فتقولوا إننا في الوغى نفير قليل
أم عبيد لراشد ولموسى أي هذه الأصناف أنتم فقولوا
يا بني مالك عقلتم لساني كيف يمشي العقيد المعقول
وفراهيد الذين على الروضة من خيلهم دماء تسيل
لبني سامة لسمو على الخسف بما نالكم من الذل نيلوا

وله أبيات في قصيدة أخرى تطابق الأولى في أغراضها منها:

ليس يوم الروضة جميعاً أن الأيام كراً عطوفا
جرد العزم وشمر ليوم يترك العار الثقيل خفيفا

العوتبي، ١٩٣ أ، ١٩٣ ب.

(٣) العوتبي، ١٩٣ أ، ١٩٣ ب بنو سامة بن لؤي: من القبائل القريشية التي هاجرت من الحجاز إلى عمان، وقد عقدوا حلفاً مع القبائل الأزدية، انظر اليعقوبي التاريخ، ١/ ٢٠٥. ـ ابن حبيب المحبر ص ١٦٨، ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، السيرة النبوية، تعليق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٣٨٣ هـ، ١/ ١٠٧، ١٠٨.

(٤) أبو المؤثر، الأحداث والصفات ٢٢.

العصبيات القبلية بحيث قسمت عمان إلى يمانية ومضرية[١]. كما أنها خلفت جواً من الغضب على تصرفات راشد بن النظر. جعلت موسى بن موسى يميل إلى جانب اليمانية[٢] بعد أن تعاظم حلفهم المركون من اليحمد والعتيك وبني مالك بن فهم[٣]، ويذكر أبو قطحان أن راشد بن النظر سار إلى مدينة أزكى يسترضي موسى بن موسى فلم يدرك رضاه فسار مع شاذان بن الصلت بن مالك إلى منطقة فرق القريبة من نزوى ثائراً على راشد بن النظر مطالباً بعزله عن الإمامة[٤]. ويشير البسيوي أن هناك اجماعاً عاماً على خلعه من الإمامة[٥] ويقول الأزكوي: (إن موسى بريء من راشد وفسقه وضلاله وسار عليه وعزله..)[٦] واستطاع أنصار شاذان بن الصلت وموسى بن موسى من التغلب على أنصار راشد بن النظر بسهولة كبيرة بعد أن تغلبوا على أقوى أنصاره وهم الحواري بن عبدالله والوليد بن مخلد ودخلوا نزوى فاستسلمت لهم بدون حرب فأخذوا راشد من دار الإمامة وضربوه وأودعوه السجن[٧] وقد تم خلعه على ما يذكر العوتبي في شهر صفر سنة ٢٧٧ هـ بعد أن قضى في الإمامة أكثر من أربعين سنة[٨].

---

(١) العوتبي، ١٩٤ ب.
(٢) البسيوي، ورقة ١٤ - العوتبي ١٩٤ أ. - السالمي، التحفة ١/ ٢٤٠.
(٣) العوتبي، ١٩٤ أ. - السالمي، ١/ ٢٣٤.
(٤) السالمي، التحفة ١/ ٢٤٠ نقلاً عن أبي قحطان في سيرته.
(٥) البسيوي، الحجة على من أبطل السؤال، ورقة ١٤.
(٦) كشف الغمة، ٣٣٣ ب.
(٧) السالمي، ١/ ٢٤١.
(٨) العوتبي، ١٩٣ ب.

إمامة عزان بن تميم الخروصي

٢٧٧ هـ/ ٨٩٠ م - ٢٨٠ هـ/ ٩٨٣ م

فبعد انتصار اليمانية وحلفائهم على راشد بن النظر وأسره وقع اختيارهم على عزان بن تميم الخروصي فبويع بالإمامة في شهر صفر سنة ٢٧٧ هـ/ ٨٩٠ م(١) حيث بايعه موسى بن موسى ومجموعة من مشايخ الأباضية(٢).

وكانت أولى الإجراءات التي اتخذها عزله لولاة الإمام السابق وتبديليهم بولاة موالين لليمانية فعين عزان بن الهزبر والياً على أسطوله البحري والأزهر بن محمد بن سليمان والياً على صحار أبرز المدن الساحلية بعمان وعين موسى بن موسى والياً للقضاء على عمان(٣) واستمر موسى في عمله هذا سنة كاملة ثم عزله عن القضاء لارتيابه منه، يقول الأزكوي (فلبث موسى وعزان موسى عن القضاء)(٤). وفي ذلك إهانة لأبرز علماء الأباضية أنذاك فانتقل إلى مدينة أزكي وحاول أن يجمع أنصاره فيها(٥). غير أن التجارب الماضية قد

---

(١) العوتبي، ١٩٤ أ. ـ كشف الغمة ٣٣٣ ب. ـ السالمي، التحفة ١/ ٢٤٣.

(٢) كشف الغمة ٣٣٣ ب.

(٣) السالمي، التحفة ١/ ٢٢٤.

(٤) كشف الغمة ٣٣٣ ب.

(٥) السالمي، التحفة/ ٢٤٦. نقلاً عن أبي قحطان في سيرته.

كشفت لعزان بن تميم أساليب موسى بن موسى ونواياه السياسية المتقلبة «فعاجله عزان خوفاً أن يفعل به مثل ما فعل بمن كان قبله»[1]. ويبدو أن مجموعة كبيرة من عسكره انحازت إلى جانب موسى بن موسى في أزكى، فاضطر عزان بن تميم أن يجهز جيشاً من أخلاط الناس فيهم اللصوص الذين أطلقهم من السجون ليستعين بهم في حربه لموسى بن موسى، وأجرى لهم النفقات وعاقب أولئك الذين تخلفوا بمدينة نزوى ولم يرتأوا الاشتراك في الحرب واستطاع هذا الجيش انزال هزيمة منكرة بموسى بن موسى وقتله في محلة الجنور عند مسجد الحجر في أزكى[2] (ووضعوا على أهل أزكى يقتلون ويأسرون ويسلبون وينهبون وأضرموا فيها النيران فحرقوا أناس وهم أحياء[3] وكان من نتائج هذه الوقعة توسع شقة الخلاف بين النزارية واليمانية)[4]. (فاشتدت الفتن وعظمت. . . وجعل كل فريق يطلب إساءة صاحبه بما قدر)[5]. ويشير العوتبي، واصفاً الظروف التي تلت قتل موسى بن موسى بقوله:

(فاستوحش الناس لذلك وخاصة النزارية ومن كان موالياً لهم من اليمانية)[6] ولذلك خرج الفضل بن الحواري السامي إلى منطقة السر[7] وخروج مردان بن زياد السامي إلى هذه المنطقة أيضاً يحرضون القبائل لكي تساندهم في حرب عزان بن تميم وقد استجابت لهم بنو سامة وبني عوف بن

---

(١) السالمي، التحفة ١/٢٤٦، ٢٤٧ نقلاً عن أبي قطحان في سيرته.
(٢) كشف الغمة، ٣٣٣ ب، ـ السالمي التحفة ١/٢٤٧.
(٣) كشف الغمة ٣٣٣ ب.
(٤) العوتبي، ١٩٤ ب ـ عمان تأريخ يتكلم ١٣٧.
(٥) كشف الغمة، ٣٣٣ ب.
(٦) العوتبي، ١٩٤ ب.
(٧) ذكر المقدسي بأن هذه المدينة «أصغر من نزوى، والجامع في السوق، شربهم من أنهار وآبار، وقد التفت بها النخيل» المقدسي، أحسن التقاسيم، ٩٣.

عامر واجتمعوا بتوأم ثم اتجهوا إلى جبال الحدان حيث تسكن قبيلة الحدان الأزدية[1] وكان الحواري بن عبدالله السلوتي الحداني قد دعا قبيلته اليمانية للوقوف إلى جانب النزارية للخروج على عزان بن تميم الخروصي[2] ولما كان الحواري بن عبدالله من قواد راشد بن النظر البارزين[3] فبايعه المضرية وبعض اليمانية كإمام لعمان ليضفوا على خروجهم الشرعية التي تكسبهم تأييد العامة[4] ونلاحظ هنا أن مركز الإمامة فقد شرعيته وهيبته أمام رغبات وطموحات رؤساء القبائل وأصبحت ستاراً يخفى وراءه الطامعون مآربهم الشخصية والقبلية ويعلق الأزكوي على ذلك ساخراً بقوله (وصار أمر الإمامة معهم لعباً ولهواً وبغياً وهوى لم يقتفوا كتاب الله ولا آثار السلف الصالح من آبائهم وأجدادهم، حتى أنهم عقدوا في عام واحد ستة عشر بيعة لم يفيثوا بواحدة)[5].

وقعة القاع ٢٧٨ هـ/٨٩١ م:

بعد تجمع قوى التحالف القبلي التي تكونت من المضرية والحدان وبني الحارث من أهل الباطنة[6]، توجهت قوى هذا التحالف برئاسة الحواري بن عبدالله الحداني الذي انتخبوه إماماً لهم إلى ولاية صحار ثاني أكبر ولاية بعمان بعدمدينة نزوى ودخلوا صحار في الثالث والعشرين من شوال سنة ٢٧٨ هـ ٨٩١ م واستولوا عليها ودعوا إلى إمامة الحواري بن عبدالله الحداني على

(١) انظر ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص ٢١٦. فيما يتعلق بنسب هذه القبيلة.
(٢) العوتبي، ١٩٤ ب ـ كشف الغمة ٣٣٤ أ. ـ السالمي، التحفة ١/ ٢١٥ ـ ٢١٦.
(٣) أبو المؤثر، الأحداث والصفات ورقة ١٤.
(٤) العوتبي، ١٩٤ ب.
(٥) كشف الغمة، ٣٣٤ ب.
(٦) كشف الغمة، ٢٣٤ م.

منبرها[١]، فلما بلغ خبرهم عزان بن تميم أرسل إليهم قوات كبيرة جلها من اليمانية التي اندحرت في واقعة الروضة[٢]، بالإضافة إلى قبيلة بني هنأة التي كانت تثير المتاعب للإمامة الأباضية[٣]، تراها هنا تدافع عن إمامة غزان بن تميم وقد ألجأتها العصبية القبلية للوقوف إلى جانب القبائل الأزدية[٤] الموالية لغزان بن تميم وقد تألفت هذه القبائل من اليحمد والعتيك وسائر ولد مالك بن فهم[٥] وترأس اليمانية الأهيف بن الحمام الهنائي يعاونه سليمان بن عبد الملك السليمي على بني سليمة من أولاد مالك بن فهم وشاذان بن الصلت على اليحمد والصلت بن منهال العتكي الهجاري على العتيك، والتقى الطرفان (بالخيام من ظهر عوتب بموضع يسمى القاع)[٦] وعلى رأس المضرية الحواري بن عبدالله الحداني والفضل بن الحواري (فاقتتلوا قتالاً شديداً وحملت اليحمد والعتيك في الميمنة والقلب وحملت بنو حماة وسائر ولد مالك بن فهم على الميسرة[٧].

وكانت نتيجة هذه الواقعة قتل الحواري بن عبدالله الحداني والفضل بن الحواري[٨].

ويشير العوتبي إلى ذلك فيقول (وانهزمت النزارية هزيمة لم ير أقبح منها وأسر منهم خلق وقتل منهم في المعركة ستمائة رجل، وقتل من اليمانية

---

(١) العوتبي، ١٩٤ ب لـ كشف الغمة، ٣٣٤ أ.
(٢) انظر العوتبي، ١٩٤ ب.
(٣) انظر موقفهم من إمامة غسان بن عبدالله الفححي.
(٤) فيما يتعلق بنسب القبائل الأزدية انظر ابن الكلبي جمهرة النسب ٢٠٢ ـ ٢١٢.
(٥) العوتبي، ١٩٤ ب.
(٦) العوتبي ١٩٤ ب ـ السالمي التحفة ١/ ٢٥٢.
(٧) العوتبي، ١٩٤ ب ـ السالمي، المصدر السابق.
(٨) العوتبي، ١٩٤ ب ـ السالمي المصدر السابق.

وأصحابهم خمسة وثمانون رجلاً)[١] مما يدل على أن غالبية قوات الحواري بن عبدالله كانت من المضرية[٢] ويؤرخ العوتبي لهذه الواقعة فيقول (وهذه وقعة القاع من ظهر عوتب بالخيام وهي من الوقائع المشهورة بعمان والمذكورة وكانت هذه الوقعة يوم الإثنين السادس والعشرين من شوال سنة ثمان وسبعين ومائتين)[٣]. وقد تغنى أحمد بن جميل أحد بني حديد من بني مالك بن فهم بشعر يفتخر فيه بانتصار القبائل اليمانية[٤] وهو يختلف في أغراضه وتصويره عن شعر الخوارج الأباضية ذي المفاهيم القرآنية الذي تغنى فيه شعراؤهم بأخوة العقد، والشوق إلى الجنة والفداء في سبيل الله[٥]، ولما كان الشعر يعكس أفكار الشاعر وعقائده وتصوراتها في الحياة الاجتماعية فإننا يمكن القول إن روح الثأر بين القبائل الحميرية والمضرية طغت على شعر هذه الفترة ويتضح هذا بصورة كبيرة في شعر ابن دريد الأزدي في واقعة الروضة وشعر أحمد بن جميل الهنائي في واقعة القاع ومن شعره:

يا لك بالقاع من صباح ... قاع خيام إلى البطاح

لما أتانا بأن عوفا ... تدعو بجهل إلى النطاح[٦]

إلى آخر القصيدة، التي تذكرنا بشعر الفخر والثأر في فترة ما قبل الإسلام حيث كانت تسود مثل هذه المفاهيم، أن الذي نريد تأكيده هو ظهور الصراع القبلي واختفاء مفاهيم الدعوة الأباضية الذي أدى إلى أن تعيش عمان في فتنة

---

(١) المصدر السابق.

(٢) كشف الغمة ١٣٣٤.

(٣) العوتبي، ١٩٤ ب ـ السالمي التحفة ١/ ٢٥٣.

(٤) العوتبي ١٩٥ كشف الغمة ٤٣٣ ب ـ السالمي التحفة ١/ ٢٥٤.

(٥) انظر قصائد عمر بن الحصين الأباضي في واقعة قديد ورثائه لأبي حمزة وعبدالله بن يحيى (طالب الحق). ـ الأصفهاني، الأغاني ٢٣: ١٢٧ ـ ١٢٩.

(٦) العوتبي، ١٩٥ أ ـ كشفة الغمة ٣٣٤ ب.

عمياء أدت إلى إراقة الدماء وسهلت مهمة العباسيين في إعادة إقليم عمان إلى سلطنتهم المباشرة.

سقوط الإمامة الأباضية واستيلاء العباسيين على عمان(٢٨٠ هـ/٩٨٣ م):

بعد الهزيمة النكراء التي حلت بالقبائل المضرية وخاصة بني سامة بن لؤي بن غالب[١] استطاع بعضهم الهرب والاستنجاد بوالي البحرين محمد بن بور يقول العوتبي «وأفلت محمد بن القاسم فطار على بعير حتى وصل توأم[٢] ثم لحقه بشير بن المنذر إلى توأم فخرجا إلى البحرين إلى محمد بن بور[٣] ويبدو أن خالد بن بور كان مضرياً أيضاً يقول الأزكوي «فلما قدما عليه شكيا إليه ما أصابهما من الفرقة الحميرية وسألاه الخروج معهما إلى عمان واطمعاه في أشياء كثيرة فأجابهما إلى ذلك»[٤] ولا شك أنهم شرحوا له سوء الأوضاع بعمان وفرقتها وأبديا له مساعدة النزارية من الداخل مما جعله يقتنع بهذه الفكرة غير أنه لم يجرأ على اتخاذ إجراءات بمفرده حتى يستأذن الخليفة المعتضد ببغداد ولهذا الغرض أشار على محمد بن القاسم وبشير بن المنذر بأن يذهبا إلى بغداد

---

(١) العوتبي ١٩٥ أ ويذكر الاصطخري رواية مختصرة يشير فيها إلى وقوع الحرب بين الشراة العمانيين ويريد بهم الأباضية وبين بني سامة بن لؤي وهذه الرواية لا يمكن قولها لأن كلا الطرفين كما رأينا قاتل تحت ظل إمام أباضي وفي وقعة البقاع المارة قتل إمام المضرية وبعض اليمانية الحواري بن عبدالله الحداني. الاصطخري المسالك والممالك ص ٢٧.

(٢) توأم: قال أبو الفداء «وتوأم قصبة عمان مما يلي الساحل وهي ديار الأزد» ويظهر أنها تقع إلى الشمال من صحار كما يظهر من مجرى الأحداث ومنها انطلق محمد بن القاسم إلى البحرين التي تقع شمال عمان، أبو الفداء تقديم البلدان ص ٩٩.

(٣) العوتبي ١٩٥ أ ـ السالمي التحفة ٢/ ٢٥٣.

(٤) كشف الغمة ٣٣٤ ب.

لإقناع الخليفة المعتضد بالله ويطلبا المعونة منه لينصرهم على اليمانية[1] وفي ذلك يشير الأصطخري فيقول «فخرج رجل منهم يعرف بمحمد بن القاسم السامي إلى المعتضد فاستنجده»[2] وأعطاه المعتضد عهداً لابن بور بحكم عمان فأخذ محمد بن بور بجمع القبائل وخاصة النزارية[3] «وحصل عنده أيضاً من بني طي من الشام خلق كثير[4] وبلغ مجموع ما أعده لهذه الحملة خمسة وعشرين ألفاً فيهم ثلاثة آلاف وخمسمائة فارس وتوجه بهم إلى عمان عن طريق البحرين[5]، وفي ذلك يقول كاتب محمد بن بور شعراً يظهر فيه اعتماد العباسيين على القبائل (العدنانية) النزارية في حربهم للعمانيين[6].

أمــن مبلــغ عنــا عمــان وأهلهــا   مقــالاً تنقــاه حكيــم مجــرب
فــوارس مــن أبنــاء عــدنــان كلهــا   لملك فتى العباس ترضى وتغضب

أما كيف واجه العمانيون هذه الحملة عند دخولها عمان فهذا ما يصفه لنا العوتبي مبيناً الأحوال الداخلية فيقول «واتصل الخبر بأهل عمان من كان جانب ووقع الحلف والعصبية بين أهلها وكانت النزارية ومن كان على رأيهم في حزب واليمانية في حزب وتخاذل الناس عن الإمام عزان بن تميم وانتقضت الأمور عليه فخاف أهل صحار وما حولها من الباطنية فخرجوا بأموالهم وذراريهم وعيالاتهم إلى سيراف والبصرة وهرمز وغير ذلك من البلدان»[7] ومن هذا النص

---

(١) العوتبي، ١٩٥ أ ـ كشف الغمة، ١٢٤ ب ـ عمان تاريخ يتكلم ص ١٣٨.
(٢) الأصطخري المسالك والممالك ص ٢٧.
(٣) العوتبي، ٩٥ أ كشف الغمة، ٣٣٥ السالمي التحفة ٢/٢٥٨.
(٤) العوتبي ١٩٥ أ كشف الغمة ٣٣٥ نقل الأزكوي النص بتصرف.
(٥) العوتبي، ١٩٥ ب.
(٦) كشف الغمة، ٣٣٥ أ ـ السالمي التحفة ١/٥٨، ٢٥٩ اخترنا موضع الاستشهاد من أبيات قالها الشاعر.
(٧) العوتبي، ١٩٥ ب. ـ وللأزكوي نص يشابه في معناه ما أورده العوتبي يقول =

يتضح لنا التمزق الشديد لوحدة القبائل العمانية وتخلي الناس عن الإمام عزان بن تميم بعد أن طحنتهم الفتن الأهلية وأضعفت فيهم عقيدتهم الأباضية فسأموا أوضاعهم وقل حماسهم للدفاع عن الإمامة.

كما هجر أهل صحار المركز التجاري والإداري المهم في عمان إلى الموانىء التجارية الشبيهة بولايتهم كسيراف[1] والبصرة وهرمز ليمارسوا أعمالهم فيها وفي ذلك اضعاف للاقتصاد العماني وقدرته على سد متطلبات أهل عمان وفقدان للطاقات البشرية النازحة من عمان إلى هذه المناطق وقد نزح بعضهم خوفاً من انتقام النزارية والعباسيين عند دخول محمد بن بور إلى عمان يقول العوتبي «وفي تلك السنة خرج سليمان بن عبد الملك بن بلال السليمي بولده وجميع عياله وحرمه ومن خف معه من قومه فركبوا البحر في بعض السفن حتى وصلوا إلى هرمز[2] فتحصن بها وأقام هناك»[3] مع العلم بأن سليمان بن عبد الملك من أولاد مالك بن فهم من القبائل الأزدية الكبرى التي اشتركت بواقعة القاع الشهيرة المذكورة آنفاً.

ومع سوء الظروف في عمان فإن الطريق لم يكن سهلاً فقد جابهت الحملة العباسية معارك في جلفار ثم استولت هذه الحملة على توأم يوم الأربعاء في

= الأزكوي «ثم اتصل خبره بعمان فاضطربت ووقع بين أهلها الحلف والعصبية وتفرقت آراؤهم وتشتت قلوبهم فمنهم من خرج من عمان بأهله وماله ومنهم من أسلم نفسه من قلة احتياله» كشف الغمة ٣٣٥ أ.

(١) سيراف من المدن التجارية الكبرى بينها وبين عمان ١٦٠ فرسخاً وتبعد سيراف عن البصرة ١٤٠ فرسخاً المسعودي، مروج الذهب ١٦٨/١ فترة الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ٤٠٨/١.

(٢) هرمز: وصفها الأصطخري بأنها «مجمع تجار كرمان وهي فرضة البحر وموضع السوق وبها مسجد جامع ورباط وليس بها كثير مساكن وإنما مساكن التجار في رستاقها. الأصطخري المسالك والمالك ص ٢٨.

(٣) العوتبي، ١٦٩ ب ـ كشف الغمة، ٣٣٥ أ باختصار الرواية.

السادس من شهر محرم سنة ٢٨٠ هـ بعد حروب جرت في منطقة الرحما بين العمانيين والعباسيين وحلفائهم[١] ثم توغلت الحملة باتجاه عمان الوسطى حيث تقع العاصمة نزوى مقر الإمامة الأباضية فاستولى محمد بن بور على الشر ونواحيها ثم «قصد نزوى وتخاذلت الناس عن عزان بن تميم فخرج من نزوى إلى سمد الشان»[٢] فدخل نزوى بسهولة بعد انسحاب الإمام الأباضي منها ثم تابعت قواته فلول قوات الإمام عزان بن تميم إلى سمد الشان[٣]، فوقعت فيها معركة شديدة في يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر صفر سنة ٢٨٠ هـ قتل فيها عزان بن تميم الخروصي[٤].

وقد ذكر المسعودي خطأ أن الإمام الذي قتله محمد بن بور والصلت بن مالك حيث يقول عن الأباضية «كانوا في نحو من مائتي ألف وكان إمامهم الصلت بن مالك ببلاد يروى من أرض عمان قد وكانت له عليهم فقتل منهم مقتلة عظيمة وحمل كثيراً من رؤوسهم إلى بغداد فنصبت بالجسر»[٥] ويظهر في نص المسعودي كذلك مبالغة كبيرة في تقديره لعدد الشراة الأباضية على ضوء الواقع الذي ذكرنا آنفاً لأحوال عمان الداخلية فمن الصعوبة بمكان أن يتغلب جند الحملة العباسية البالغ عددهم خمسة وعشرون ألفاً من المرتزقة على مائتي

---

(١) كشف الغمة ٣٣٥ ب، السالمي التحفة، ٢/ ٢٥٩.

(٢) كشف الغمة ٣٣٥ ب السالمي المصدر السابق.

(٣) سمد: كانت مركزاً إدارياً تابعاً لنزوة وقد وصفها المقدسي بأنها منبر لنزوة، وتقع سمد على الجانب الأيسر لوادي سمد في الحجري الشرقي وهي واحة تتوفر فيها المياه والمزارع قائمة حتى يومنا هذا ولعل الشان هي إحدى التوابع لسمد وإليها نسبت هذه المعركة انظر المقدسي أحسن التقاسيم، ٩٣ ـ لوريمر دليل الخليج، ٦/ ٣٠٨٦.

(٤) كشف الغمة، ٣٣٥ ب السالمي التحفة ١/ ٢٥٩، ٢٦٠.
العقود الفضية في أصول الأباضية/ ٢٥٦ ويذكر الحارثي أن عدد العلماء الأباضية الذين قتلوا في هذه المعركة كان أربعمائة عالم أباضي.

(٥) المسعودي مروج الذهب، ٤/ ١٥٦ وفي النص أعلاه ذكر بلال بزوى والصحيح بلاد نزوى والكلمة مصحفة.

ألف من الشراة الأباضية ويناقض المسعودي ما ذهب إليه العوتبي المؤرخ العثماني حين يقول «وتخاذل الناس عن الإمام عزان بن تميم وانتفضت الأمور عليه[١] كما أشار الأزكوي إلى تخاذل الناس في نزوى عن إمامهم عزان بن تميم حين بلغهم توجه محمد بور إليها فاضطر عزان بن تميم «فخرج من نزوى إلى سمد الشان»[٢] التي قتل فيها مع عدد كبير من أتباعه وبعث برؤوسهم إلى بغداد ثم أن المدافعين الأباضية لم يفت في عضدهم قتل إمامهم عزان بن تميم الذي أثار فيهم روح الدفاع والاستماتة وكتب الأهيف بن حمام الهنائي الذي كان قائداً لعزان بن تميم إلى «مشايخ عمان وقبائلها من كل مكان يدعوهم إلى معاوية محمد بن بور وإخراجه من عمان ويحثهم على ذلك فأجابوه وأقبلوا إليه»[٣].

وقد خرج في هذا الجيش حتى الشيخ الكبير كـ «منير بن النير الريامي» وهو أحد حملة العلم وقد تبعه أهل المنطقة الشرقية من أهل جعلان واستطاع الأهيف بن حمام الهنائي من الاستيلاء على نزوى ثانية وطرد محمد بن بور عنها إلى المنطقة الساحية من عمان حتى أوصلوه إلى دما على ساحل بحر عمان وجرت بينهما معركة شديدة استطاع فيها الأباضية أن يلحقوا الهزيمة[٤] بالعباسيين وحلفائهم[٥] لولا النجدات التي وصلت لمحمد بن بور وهو في ساحة المعركة وكان الاعياء والتعب قد أخذ من الفريقين مأخذه «إذ طلع عليهم ركب من أهل قدمه وغيرهم من المضرية على كل جمل رجلان من قبل أبي عبيدة بن محمد السامي مدركاً لمحمد بن بور»[٦] وقد قلبت هذه الهجمات

---

(١) العوتبي، ١٩٥ ب.
(٢) كشف الغمة، ٣٣٥ ب ـ السالمي التحفة ٢/ ٢٥٩.
(٣) كشف الغمة، ٣٣٥ ب.
(٤) السالمي التحفة ١/ ٢٦٠.
(٥) العوتبي، ١٩٥ أ.
(٦) كشف الغمة، ورقة ٣٣٦ أ.

ميزان الحرب لصالح العباسيين وحلفائهم من المضرية فما أن وصلوا «قريباً من العسكرين نزلوا من رواحلهم وأخذوا أسلحتهم وحملوا مع ابن بور على الأهيف ووقعت الهزيمة على أهل عمان»[١] وبانتصار العباسيين في هذه المعركة عادت نزوى من جديد لسيطرة محمد بن بور واستطاع أن يستولي على سائر إقليم عمان وتذكر المصادر الأباضية أن ابن بور قام بأعمال تخريبية انتقاماً من الأباضية فقد قام بحرق الكتب الأباضية كما قام بدفن بعض الأنهار قاصداً تخريب الأراضي الزراعية[٢] والتأثير على اقتصاد عمان وبهذه المعركة انتهت سيطرة الأباضية على عمان بعد أن دامت مائة وثلاثة سنين.

وبعد أن تم القضاء على الإمامة الأباضية عين محمد بن بور ولاة على سائر عمان ورجع إلى البحرين وعين على ولاية عمان أحمد بن هلال الذي اتخذ من بهلاة[٣] مقراً له بدلاً من العاصمة القديمة نزوى الشديدة الموالاة للإمامة الأباضية وتظهر نزعة أهل نزوة الأباضية في معاملتهم لولاتهم الجدد فقد قتلوا واليهم الجديد بيحره الذي عينه أحمد بن هلال سنة ٢٨٢ هـ أي بعد سنتين من ولايته على نزوى وجعلوا من قبره موضعاً لإلقاء نفايات بيوتهم في حين كانت عمان الوسطى تحكم عملياً من قبل أئمة أباضية على الرغم من بقائها إسمياً تحت السيطرة العباسية إذ إنه من الصعوبة بمكان أن يدخل العاصمة نزوى جيش عباسي ويقيم فيها لمدة طويلة بسبب مقاطعة الأهالي لمثل هذا الجيش

---

(١) المصدر السابق.

(٢) العوتبي ورقة ١٧٠ أ ـ كشف الغمة ورقة ٣٣٦ أ، ٣٣٦ ب.

(٣) بهلاة: وصف الجغرافيون بأنها قلعة تقع على رأس جبل ممتع، تبعد حوالي ٢٠ ميلاً غربي نزوى كما تقع على ١٦٠٠ قدم فوق سطح البحر ويظهر أن لموقعها الممتنع اتخذها الوالي العباس مقراً له لإدارة عمان بدلاً من نزوى انظر: ـ
شيخ الربوة نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص ٢١٨.
أبو الفداء تقويم البلدان، ص ٢١٨.
لوريمر دليل الخليج القسم الجغرافي، ١/ ٢٨٧.

ولذا فالعلاقة بين نزوى والعباسيين لا تتعدى (جباية) الأموال من أهل المنطقة حتى إذا ما انتهى هذا الوالي من جبايته رجعوا للاحتكام وفق عقائدهم الأباضية وبايعوا لأحدهم بالإمامة ليحكم نزوى وما حولها واستمرت هذه الحال حتى سنة ٣٢٠ هـ إذ بايعوا إماماً جديد هو سعيد بن عبدالله بن محمد بن محبوب بعد أن دامت السيطرة العباسية بأربعين عاماً تقريباً وقد أوجز الأزكوي الحديث عن الحالة السياسة بعمان «وفيما أظن أن هؤلاء الأئمة من بعد الصلت بن مالك لم تدن لهم جميع عمان ولم يجز سلطانهم فيها وإنما كانوا في بعض البلدان دون بعض أحد من القبائل دون أحد ولم تتألف كلمة أهل عمان ولا اجتمعوا على إمام من بعد الفتن التي وقعت بينهم»[١].

الأسباب التي أدت إلى زوال الإمامة الأباضية الثانية سنة ٢٨٠ هـ:

لا بد لنا أن نحاول التحري عن الأسباب التي أدت إلى سقوط عمان في يد العباسيين وسقوط الإمامة الأباضية وانحسار نفوذها إلى بعض أجزاء عمان الداخلية ولا شك فإن:

السبب الأول يعود إلى الضعف والوهن الذي دب في تنظيم الدعوة الأباضية نتيجة لتطورات طرأت في الجانب الفكري والعقائدي فقد كان القادة الجدد أقل علماً وحماساً من الجيل الأول الذي قامت على أكتافه الدعوة ثم الإمامة واختفت مجموعة حملة العلم الكفوءة التي خرّجت مجموعة من القياديين على الصعيدين التنظيمي الإداري والسياسي.

السبب الثاني: لعل من أبرز الظواهر التي تحكمت في سياسة الدولة الأباضية وجود عنصرين أساسيين في إدارة دفة الحكم هما الإمام الأباضي

---

(١) كشف الغمة ورقة ٣٣٨ أ.

المنتخب والمرجع الديني الذي يكون عادة أبرز الفقهاء الأباضية في عصره فعندما يحصل تعارض بين سلطة الإمام الأباضي وبين الفقيه الديني يؤدي إلى ظهور اختلاف سياسي فإن هذا الاختلاف غالباً ما يؤدي إلى انقسام بين الجماعات الأباضية أو ما يعرف بمفهوم البراءة والوقوف مما يؤدي إلى تصدع الوحدة العمانية.

السبب الثالث: طبيعة تركيب المجتمع العماني يتألف المجتمع العماني، من قبائل كبيرة أبرزها القبائل الأزدية وهي أكبر القبائل المضرية مما أدى إلى استفحال العصبية القبلية والشقاق فيما بينها في فترة ضعفت فيها الدعوة الأباضية وخلا الميدان من القادة العقائديين الأكفاء مما أتاح الأعمال لظهور النزاعات القبلية واعتماد العمانيين على رؤساء القبائل بدلاً من الاعتماد على حكومة الإمامة في حل مشاكلها الداخلية بل رأينا أخيراً إماماً يؤيده القبائل القاطنة بعمان إلى جانب القبائل اليمانية وهو عزان بن تميم وآخر تؤيده القبائل المضرية وهو الحواري بن عبدالله الحداني وانقسمت هذه القبائل على نفسها في حرب أهلية مدمرة اضطر زعماء المضرية خاصة الالتجاء إلى الخلافة العباسية لمساندتهم في حربهم لليمانية ويعد هذا السبب المباشر والرئيسي لسقوط الإمامة الأباضية بعمان سنة ٢٨٠.

السبب الرابع: شخصية الفقيه الأباضي موسى بن موسى بن علي القلقة وقصر نظره السياسي أدى إلى انشقاق كبير بين قادة الأباضية تمهد للحرب الأهلية الأخيرة وكان هو نفسه ضحية من آلاف الضحايا التي حصدتها تلك الحرب.

أما السبب الخامس: فيبدو أنه عامل اقتصادي وبشري فقد سبق دخول الحملة العباسية إلى عمان بقيادة محمد بن بور هجرة عدد غفير من أهلها وخاصة اليمانية منهم إلى المناطق المجاورة في الخليج العربي كمنطقة هرمز،

كما انتقل التجار بأموالهم وأهليهم إلى المراكز التجارية النشطة، كسيراف والبصرة مما أدى إلى ضعف القوى البشرية المقاتلة إضافة إلى تدهور الجانب الاقتصادي بعمان وأخيراً فإن سقوط الإمامة الأباضية جاء أولاً وقبل كل شيء بسبب انشقاق الشيعة الأباضية على نفسها مما مهد السبيل لتحرك أعدائها الداخليين بمعونة السلطة العباسية.

الفصل السابع

الأبعاد السياسية لنظرية الأباضية

الأباضية في الإمامة

دراسة التطورات السياسية للإمامة الأباضية

مقدمة:

بنيت الأسس النظرية للإمامة الأباضية على نماذج عملية تمثلت في سيرة الخليفة، أبي بكر وعمر بن الخطاب، وسيرة المحكمة الأولى، كأبي بلال مرداس وغيره من شخصياتهم المشهورة[١].

والفرقة التي ستبحث أسس الإمامة الأباضية فيها من ناحية سياسية هي الفرقة الوهبية[٢] باعتبارها الفرقة الوحيدة التي خاضت صراعاً سياسياً، وأقامت

---

(١) انظر الشماخي، شـ [illegible] ـوحيد، ورقة ١٦ ب، ٢٦ أ.

(٢) لعل هذه التسمية [illegible] لاتصال الفرقة الأباضية الوطيد بالمحكمة الأولى وتمثيلها الشرعي لهم تمييزاً لها عن الفرق الخارجية الأخرى، وقد سميت بالوهبية نسبة إلى عبدالله بن وهب الراسبي الذي قتل في معركة النهروان عام ٣٨ هـ.
وقد وقع بروكلمان في خطأ حينما أطلاق على هذه الفرقة أسهم الوهابية. يقول بروكلمان: «ولكن هذه العقيدة وهابية، ولم يظهر المذهب الوهابي قبل منتصف القرن السادس الهجري». بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة د. عبد الحليم النجار، (دار المعارف بمصر، ١٩٧٤ ١/ ٢٥٩. ويظهر خطأه واضحاً في نسبة الفرقة فاشتقاق الفرقة ونسبتها إلى وهب تصح تسميتها بالوهابية في حين أن الوهابية تنسب إلى وهاب، كما نسبت الوهابية المعاصرة إلى محمد بن عبد الوهاب هذا من ناحية، ويظهر خطأه في تحديد تاريخ ظهور هذه الفرقة الأباضية من ناحية أخرى، فلم يتيسر له الاطلاع على مصادر مخطوطة ذكرت الفرقة الوهبية في القرن الثالث والرابع الهجري كابن صغير المالكي الذي عاصر الدولة الرسمية أو سير الأئمة الرسمية، يقول البرادي: «وفي كتاب ابن الصغير: افترقت الأباضية وتسمى قوم بالنكار وقوم بالوهبية..». ثم =

إمامة أباضية حاكمة بعمان سنة ١٧٧ هـ ـ ٢٨٠ هـ.

ونظراً لاختلاف الأباضية عن غيرها من الفرق الخارجية، وإتباعها أساليب سياسية تراعي الظروف المحيطة بالدعوة الأباضية في مرحلتي الكتمان (الضعف) والظهور (القوة)، فقد تعدد أنواع الأئمة في الدعوة وكان لكل مرحلة من المراحل التي مرت بها الدعوة إمامها الخاص، وفيما يلي أنواع هذه الإمامة.

أولاً: إمامة الدين:

تكلمنا في فصل سابق عن دور الأئمة الأباضية السياسي في تبني الدعوة في مرحلة الكتمان، فلا بد لنا من معرفة خصائص ومميزات هذه الإمامة وتطورها، ولما كانت الأباضية كغيرها من الفرق الإسلامية، فإنها نشأت كما ذكرنا، على أساس سياسي متمثلاً بآرائها في الخلافة الإسلامية وافتراقها مع الخوارج حول موقفهم من المسلمين، فتبناها عدد من الفقهاء المجتهدين، كجابر بن زيد وعبدالله بن أباض التميمي وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وقاموا بنشر آرائهم السياسية في ظروف صعبة، عرفت بظروف الكتمان والتقية[١]،

= يقول معززاً هذا الرأي كقوله: «وقفت في كتاب الذي ذكرته بجبل نفوسه بخط الشيخ إسماعيل الجيطالي.. أن الوهبية سموا بذلك لاتباعهم عبدالله بن وهب الراسي وكذلك هو عندنا» البرادي، الجواهر المنتقات، ص ١٧٤. ومما يعزز رأينا بتسميتهم بالوهبية يقول مؤلف مجهول: «الفرقة الأولى الوهبية وهم المنسوبون إلى عبدالله بن وهب الراسي الأزدي وهو أول إمام عقدوه بعد علي بن أبي طالب وكذلك الأباضية إمامهم عبدالله بن أباض تيم اللات رهط الأحنف بن قيس وهما فرقة واحدة وهي الفرقة المحققة». مؤلف مجهول قطعة من كتاب الأديان، ورقة ٩٨ أ.

(١) الشماخي، شرح مقدمة التوحيد، ورقة ١٦ ب، ١٧ أ. أما فيما يتعلق بالكتمان والتقية فهي دليل نضج سياسي لدى الأباضية فالكتمان لا يعني السكوت وعدم الحركة وإنما هو مرحلة إعداد لاستلام السلطة وكما يعرفه الشماخي بأنه «سلوك طريق الظهور» ـ المصدر السابق. =

ومن سمات هذه الإمامة ظهورها في فترة الصراع مع الحكام المغتصبين للخلافة من وجهة نظر الأباضية، وغالباً ما عاش هؤلاء الأئمة في البصرة مركز الدعوة الأم كعبدالله بن أباض وجابر بن زيد، وقد عاصرا الدولة الأموية، وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة والربيع بن حبيب اللذين عاصرا الدولة العباسية في جو من الفقه، كما أن أئمة الدين لم يتولوا الإمارة، يقول أبو ستة: (وأما أئمة الدين والهدى هذا حسب الظاهر. . نوعاً خاصاً من الأئمة وهم المجتهدون ممن لم يتولى الإمارة كعبدالله بن أباض، وجابر بن زيد ونحوهما رحمة الله عليهما من قابل أئمة الضلال»[1]، وكان على شيعة الأباضية موالاة الإمام وطاعته والرجوع إليه في حل مشاكلهم العقائدية والسياسية، يقول العلوي: «وأئمة الدين الذابون عنه بالأدلة والبراهين، الكاشفون لشبه الملحدين، الملزمون للمعاندين كعبدالله بن أباض وأبي الشعثاء جابر بن زيد فأهل هذا الصنف كلهم تجب ولايتهم على أهل مصرهم ومن بلغه خبرهم، ويسع جهلهم من لم يبلغه

= أما التقية: فهي العيش تحت سلطة غير أباضية كالأموية أو العباسية بشرط وجود الظلم يقول الجيطالي: «ومنهم من ضعف من الجهاد والقتال فأخذ بالرخصة فعاش تحت الظلمة متمسكاً بالتقية. . .» الجيطالي شرح قواعد الإسلام ورقة ٢٥ أ ونلاحظ هذا الخلاف الشديد بين تطرف الأزراقة الذين كفروا المسلمين عامة ولم يجوزوا لأتباعهم من الخوارج العيش تحت حكم السلطان واعتبروا مثل هذه الدار دار شرك خلافاً لمواقف الأباضية المرنة، لأن الأزراقة لا يجيزوا التقية في القول والعمل. انظر الدجيلي، الأزارقة، ص ٨٢. ـ د. عرفان عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية (بغداد، ٩٦٧) ص ٨٠. وبهذا يتضح لنا خطأ الأستاذ أحمد أمين الذي يجعل التقية أصلاً من أصول الشيعة مميزاً بينها وبين الخوارج.

ورأى أن التقية لدى قوى المعارضة الإسلامية سواء لدى الشيعة أو الخوارج تشبه ما يسمى اليوم في العرف السياسي بالعمل السري حفاظاً على الجماعة من السلطان الجائر وبطشه ولولاها لما بقيت الأباضية حتى اليوم. هذا بالإضافة إلى العوامل الأخرى التي أدت إلى استمراها: انظر أمين، أحمد، ضحى الإسلام، (بيروت، لات) الطبعة العاشرة، ٣/ ٣٣١.

(١) أبي سنة، حاشية الشيخ أبي ستة، ورقة ٢٦ ب.

خبرهم»[1]، ومن هذا النص، يتضح عمق الروابط الروحية بين شيعة الأباضية وأئمتهم، والحقيقة إن مفهوم الولاية سهل على هؤلاء الأئمة في قيادة الدعوة وأضفى طابعاً من الوحدة والتماسك لدى أتباع هذه الفرقة من خلال الطاعة الواجبة على كل فرد ما وجوب ولاية أئمة الدين، ويشير الشماخي في رواية لأبي سفيان محبوب بن الرحيل، عن المعتمر «قال: قلت لأبي عبيدة إنك لأحب إلي من والدي، قال: كذلك ينبغي لك يا معتمر أن تكون لأنك بذلت لي ما لم تبذله لأبيك، يعني الولاية[2].

وقد تطورت مسؤولية أئمة الدين بعد قيام الكيان السياسي للدولة الأباضية بعمان، فكان لهم الباع الطويل في إدارة وتوجيه السياسة العمانية، وخاصة فيما يتعلق باختيار الإمام وتنصيبه، ويظهر هذا واضحاً في إمامة موسى بن أبي جابر الأزكوي الذي لعب دوراً كبيراً في بناء الدولة الأباضية بعمان عام ١٧٧ هـ/ وقام بتنصيب محمد بن عبدالله بن أبي عفان: (كإمام دفاع) للدولة الجديدة ثم أمر بعزله[3].

وقد أصبح من التقاليد المتبعة في الإمامة بعمان، أنه لا تتم أية بيعة لتولي إمامة الظهور ما لم يشترك فيها أئمة الدين المجتهدون، ويتولى بيعة الإمام عادة أبرز هؤلاء الأئمة وقد ظهر من هؤلاء الأئمة في الفترة موضوعة البحث موسى بن أبي جابر الأزكوي[4]، الذي بايع للوارث بن كعب الخروصي وموسى بن علي الذي شهد بيعة غسان بن عبدالله الفحجي، وعبد الملك بن

---

(١) العلوي، مشارق أدوار العقول، ٣٥٧ ـ ٣٥٨.

(٢) الشماخي السير، ص ١٠٩.
المعتمر بن عمارة: من مشايخ الأباضية ومن المقربين لأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة.

(٣) الرقيشي مصباح الظلام، ورقة ٢٥ ب. كشف الغمة ورقة ٣٢٩ ب.

(٤) كشف الغمة ورقة ٣٣٠ أ.

عميد والمهنا بن جيفر[١].

وغالباً ما شغل أئمة الدين منصب القضاء في الإمامة الأباضية[٢]، وهو من أكبر المراكز الإدارية والتشريعية، ويشير أبو إسحاق أطفيش أن هذا المركز الديني يشبه مركز شيخ الإسلام لدى أهل السنة.

ومن خلال هذا العرض تتضح لنا خطورة هذا النوع من الإمامة لدى الأباضية وأهميتها في الحياة السياسية لهذه الفرقة. إن تعبيرنا لهذه الإمامة وتسميتها بإمامة الدين عن غيرها من أنواع الإمامة فإن ذلك لا يعني أن هناك فصلاً بين أئمة الدين والسياسة كالإمام الشاري أو إمام الدفاع ذلك لأن هذه الفرقة قامت على أساس سياسي تمثل في نظرتها إلى الإمامة الإسلامية، والإسلام بطبيعته لا يعرف الفصل بين الدين والسياسة، فقد امتزج الدين بالسياسة معاً في مختلف العصور الإسلامية، في الفترة موضوعة البحث وما بعدها[٣].

ثانياً: إمامة الدفاع:

تعتبر هذه الإمامة وليدة ظروف تفاجىء الدعوة الأباضية، فتلجأ إلى اختيار إمام يقود الجماعة في معاركهم للدفاع عن الأراضي التي بحوزتهم بعد موت الإمام الشاري كبيعة عبدالله بن سعيد الحضرمي إماماً للدفاع[٤] بعد موت

---

(١) الرقيشي مصباح الظلام، ورقة ٢٦ ب. ـ السالمي، تحفة الأعيان ١/ ١٣٨.

(٢) السالمي، التحفة ١/ ١٥١.

(٣) حصلت عملية الفصل بين الدين والسياسة لدى المسلمين بصورة عامة بعد تعريض العالم الإسلامي للغزو الأوروبي، فكادت هذه الشبهة إحدى مخلفاته الفكرية في أذهان المسلمين.

(٤) الدرجيني، طبقات الأباضية ورقة ١/ ١٠٤. ـ الشماخي، السير، ص ٩٢. عمان تاريخ يتكلم، ص ١٢٨.

الإمام الشاري عبدالله بن يحيى الكندي (طالب الحق) في اليمن على يد الأمويين عام ١٣٠ هـ.

وقد يبايع إمام الدفاع في بداية الحركة كمبايعتهم لمحمد بن عبدالله بن أبي عفان عام ١٧٧ هـ عند تأسيس الإمامة الأباضية الثانية بعمان(١).

وإمامة الدفاع فرض واجب، قال الشماخي: (والدفاع من الفروض الواجبة إذا عدم الظهور وهو اجتماع الناس على إمام يقدمونه عند مقاتلتهم العدو الذي أدهمهم فإن زال القتال زالت إمامته، ويجب عليه جميع الأحكام التي تقع حال كونه إماماً، ويجب عليهم طعنه، كعبدالله بن وهب الراسبي إمام أهل التحكيم. . بايعوه إذ غشيهم العدو(٢).

ويتضح من النص الذي أورده الشماخي أن إمامة الدفاع تتم باختيار الجماعة، وهذا الاختيار لا يلزم الجماعة لتقديمه للإمامة بعد انقضاء الحرب، وإنما تزول إمامته بزوال الحرب، ويقدم لنا البسيوي شاهداً تاريخياً لهذه القاعدة الفقهية في أمور الحرب فيقول: (فبايعوا لابن أبي عفان حتى تضع الحرب أوزارها من عمان ثم الأمر شورى بين المسلمين(٣).

وبعد أن عرفنا طبيعة هذه الإمامة العسكرية، فلا بد أن يكون اختيار هذا الإمام من الشخصيات المتميزة بالكفاءة العسكرية والقابلية على القيادة

---

(١) البسيوي، الحجة على من أبطل السؤال، ورقة ٢٢.
انظر البحث الخاص بإمامة محمد بن عبدالله بن أبي عفان في الفصل الخامس من الرسالة.

(٢) الشماخي، شرح مقدمة التوحيد، ورقة ١٦ ب.

(٣) البسيوي، الحجة على من أبطل السؤال، ورقة ٢٢. ـ ومما يؤيد أن هذه الإمامة كانت مرهونة بزوال الحرب قول الفقيه الأباضي موسى بن أبي جابر: «وقد وليا ابن عنان نزوى وقرى الجوف ـ وأحسب أنه قال ـ حتى تضع الحرب أوزارها» كشف الغمة ورقة ٣٢٩ ب. ومما هو جدير بالذكر أن إمام الدفاع «تسعه التقية إذا خذلته الرعية» كشف الغمة ٣٥٠ ب.

والزعامة ومقدرة على التنظيم، وقد نجح أئمة الدفاع في مساعيهم باشغال الجيوش الأموية والعباسية(١) لمدة طويلة، في حين نجح محمد بن عبدالله بن أبي عفان من هزيمة آل الجلندي أعوان العباسيين، وإعلان الإمامة الأباضية الثانية بعمان(٢).

ثالثاً: إمامة الشرا:

هو صنف آخر من أصناف الإمامة الأباضية، ورغم أن اصطلاح (الشراة) قد أطلق على الخوارج بصورة عامة(٣)، إلا أن هذا الاصطلاح كان ذا معنى أكثر عمقاً وتمييزاً لدى الأباضية الذين وضعوا لإمامة الشرى شروطاً قاسية أخذت طابعاً عقائدياً ولعل من أهم خصائصها، الموت في ساحة المعركة فلا يجوز للإمام الشاري الهرب أو التخلي عن ميدان المعركة حتى ينتصر أو يقتل في سبيل الله(٤)، يقول الشماخي: «والشرا مصدر محدود استعير لما ينال من الثواب على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيل الله، ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، أي بيعها... سموا شراة لأنهم باعوا أنفسهم من الله... ولذلك رحمهم الله حكموا على الشراة بعدم المقام حتى يموتوا أو يظهر دين (الله)، ويخمد الكفر والجور حتى ينقصوا من ثلاثة رجال)(٥). وإمام

---

(١) يعتبر أبو حاتم يعقوب بن حبيب المازوزي من أئمة الدفاع الأباضية استرجع مدينة القيروان بعد أن أخذها محمد بن الأشعث والي المنصور على المغرب ثم قتله بن الأشعث بعد عدة معارك.
انظر معمر، علي يحيى، الأباضية في موكب التاريخ، ١/ ٦١ ـ ٦٥.

(٢) انظر تأسيس الإمامة الأباضية الثانية بعمان، الفصل الخامس من الرسالة.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ٣/ ١٠٠. ـ البغدادي، الفرق بين الفرق ص ٥٦.

(٤) وهذه التسمية أخذوها من قوله تعالى: ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**﴾ القرآن الكريم، سورة البقرة، آية ٢٠٧.

(٥) الشماخي، شرح مقدمة التوحيد، ١٦ ب.

الشراة إذا كان عدد الشراة معه أكثر من أربعين فيجب عليه تطبيق الأحكام الشرعية في جباية الأموال وإقامة الحدود، كالإمام الشاري أبي بلال مرداس وطالب الحق وأتباعه الشراة، كأبي حمزة الشاري وغيره من قادتهم[١].

إمامة الظهور:

وهذا النوع من الإمامة تتويج للمساعي والجهود للحالات الثلاث السابقة (إمامة الدين والدفاع والشرا) بل هي الهدف الذي يقاتل ويستشهد في سبيله الأباضية سواء في ذلك أئمة الدفاع أو إمامة الشرا، وعند انتصار هؤلاء الأئمة تسمى هذه الحالة بالظهور[٢] ويعني بها قيام حكومة أباضية تحكم وفقاً لتعاليم المذهب الأباضي، يقول أبو المؤثر: (وإن من دين الله الإمامة وهي حق لله واجب على عباده لإقامة الحدود، وإنصاف المظلوم والحكم بالعدل بين الناس عامة... وقال ـ تعالى ـ ﴿**وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا**﴾، فإذا ظهر المسلمون اجتمع في الأرض فقهاؤهم وأهل الرأي وأهل الفضل منهم، واجتهدوا لله في النصيحة. واختاروا رجلاً طاعة لله لا لطاعتهم...)[٣] ومن هذا النص تتضح لنا حقيقتين:

الأولى: إن اختيار إمام الظهور مرهون بظهورهم وانتصارهم على العدو يختاره فقهاء الدعوة وأهل الرأي من الأباضية.

الثانية: أن إمامة الظهور واجبة والوجوب يفيد السعي والكفاح لإقامة مثل هذه الإمامة.

---

(١) ولعل لمفهوم الشري أثراً كبيراً في عدم استعمال إسلوب الكر والفر في معارك الأباضية.

(٢) أبو المؤثر، الأحداث والصفات، ورقة ٢٦. ـ البسيوي، الحجة على من أبطل السؤال ورقة ٢٢.

(٣) الأحداث والصفات، ورقة ٢٦.

ويميز لنا الشماخي إمامة الظهور مستشهداً بأمثلة عملية لمثل هذه الإمامة مبيناً أهدافها فيقول: (الظهور هو الأصل المأمور به وعليه توفي ﷺ لأن الحدود لا تتم إلا معه من قطع يد سارق أو محارب أو جلد بكر أو رجم المحصن... وما أشبه أو عند سائر الأحكام من أخذ الصدقة، وقتال المشركين.. وأخذ الجزية من أهل الكتاب وأخذ أموال المشركين، وقسمة ذلك كما أمر الله تعالى وغير ذلك من الأحكام كما فعل بعد الرسول، أبو بكر وعمر وعبدالله بن يحيى الكندي والجلندي بن مسعود والإمام وارث بن كعب وغسان بن عبدالله وعبد الملك بن حميد والمهنا بن جيفر والصلت بن مالك... وأئمة المغرب كأبي الخطاب المعافري بفتح الميم والإمام عبد الرحمن ومن بعده ذريته[١] وبهذا النص يضرب لنا الشماخي ثلاثة أمثلة لهذه الإمامة وهي إمامة اليمن[٢] وإمامة عمان[٣] وإمامة المغرب التي نشأت عليها الدولة الرستمية.

وعند مقارنة الأباضية بنظيراتها من الفرق الخارجية التي استمدت تعاليمها من المحكمة الأولى نلاحظ هذه الفرق أقل نضجاً من الأباضية في معالجتها للأمور السياسية، فلم يعرف الأزارقة[٤] أو النجدات المرونة السياسية واستيعاب المشاكل السياسية الجديدة التي تعرض لها المجتمع الإسلامي ولهذا كتب على هذه الفرق الانقراض، في حين كان قادة الأباضية أكثر فهماً وموضوعية لإدراك طبيعة الكيانات السياسية التي تعاملوا معها كالدولة الأموية والعباسية فاتبعوا الأساليب المناسبة بما يعزز استمرار وجودهم[٥] وانتشار

---

(١) الشماخي، شرح مقدمة التوحيد، ورقة ١٦ أ.
(٢) انظر الفصل الثالث من الرسالة.
(٣) انظر الفصل الرابع والخامس من الرسالة.
(٤) انظر الدجيلي، محمد رضا، الأزارقة.
(٥) انظر الفصل الثاني من الرسالة، نشأة الدعوة الأباضية في البصرة.

دعوتهم وأخيراً قيام دولتهم في المشرق والمغرب، ونتيجة لهذا الإدراك السياسي كانت هذه الحالات الأربع (الكتمان، الدفاع، الشراء والظهور) نموذج للمراحل التي مرت بها الدعوة، مستعملة في كل منطقة سلوكاً يلائم الأحوال السياسية فيها، فالبصرة معقل الأباضية ومركز إشعاعهم الفكري الذي انطلقت منه الدعوة الأباضية إلى اليمن وعمان والمغرب، لم يفكر قادة الدعوة بالثورة فيها وعاشوا في الكتمان على الدوام مدركين أن ظروف البصرة لا تساعدهم على النجاح في إقامة حكومة أباضية[1] لأنها كانت مركز من مراكز الصراع السياسي والفكري، فهي مركز لمختلف الشيع، كالعثمانية والخوارج والشيعة العلوية والعباسية والمعتزلة[2] وغيرها، إضافة إلى قوة السلطة المركزية فيها، فقد كانت مع مدينة الكوفة أبرز الولايات العراقية.

شروط الثورة ومؤهلات الإمام القائد:

وبعد أن تعرفنا على إمامة الظهور لا بد لنا أن نلقي الضوء على الشروط التي يجب توفرها من حيث الظروف العامة للخروج والمؤهلات التي يجب أن تتوفر في شخص الإمام بالذات.

أما فيما يتعلق بالشروط التي توجب إعلان الإمامة الأباضية وقيامها، فيقول الإمام الأباضي أبو إسحاق إبراهيم بن قيس الحضرمي، (والذي يوجب الإمامة ثلاث خصال أحدها قوة أهل الدعوة، وذلك أن يغلب على ظنهم أن يغلبون أهل الباطل[3].

والثانية: (أن يكون أهل الدعوة أربعين رجلاً أحراراً بالغين أصحاء فليس

(١) انظر الفصل الثاني من هذه الرسالة.

(٢) جار الله، زهدي، المعتزلة، ص ١.

(٣) أبو إسحاق، مختصر الخصال، ورقة ٧٠ أ ـ ٧٠ ب.

منهم أعمى فصاعداً)[1]. وهذاعدد الذين خرجوا مع أبي بلال مرداس مما يدل على أنهم يقتدون بسيرته[2].

الثالث: (أن يكون فيهم ستة رجال فصاعداً أهل علم بأصول الدين والفقه من ذوي ورع وصلاح في الدين، فإذا اجتمع لأهل الدعوة هذا الوصف وجب أن يعقدوا الإمامة لأفضلهم في الدين والعلم والورع)[3]. وهذه الخصلة التي ذكرها أبو إسحاق إنما تعبر عن واقع عاشته الدعوة الأباضية فعلاً في حروبها فكان للواقع السياسي أثره في التشريع الأباضي ولا نغالي إذا قلنا إن الفقه الأباضي عملي ويمثل انعكاساً للظروف التي مرت بها الدعوة فقد لاحظنا اشتراك علماء الأباضية في معارك اليمن والحجاز كما لاحظنا دور (حملة العلم) العمانيين في تأسيس الإمامة الأباضية الأولى والثانية بعمان ولا شك أن هذه الخصلة من ألمع الأفكار من الناحية الشرعية لتضمن الجانب الشرعي في هذه الحروب ولتجنب الدعوة الانشقاق، وقد لاحظنا ثناء المؤرخين على الإمام الأباضي عبدالله بن يحيى الكندي في اليمن وحسن سيرته[4] نتيجة للتطبيق العملي والنظرة المعتدلة التي حملها قادة الجيوش الأباضية بفعل وجود مثل هؤلاء العلماء.

وقد أقر الفقهاء الأباضية وجود إمامتين في آن واحد[5] مجاراة للواقع السياسي الذي عاشته الإمامتان الأباضيتان المتعاصرتان، الإمامة الرستمية في

---

(١) مختصر الخصال، ورقة ٧٠ ب.

(٢) الرقيشي، مصباح الظلام، ورقة ٢١ ب. ـ ياقوت، معجم البلدان، (طهران، ١٩٦٥) ١/ ٦١، وفي واقعة آسك قال الشاعر الخارجي:

أألفا مؤمن فيما زعمتم ... ويقتلهم بآسك أربعونا

(٣) مختصر الخصال، ورقة ٧٠ ب.

(٤) البلاذري، أنساب، ٨/ ورقة ١٠ ب. ـ ابن خياط، تاريخ خليفة، ق٢/ ٥٨٣.

(٥) مختصر الخصال، ورقة ٧٠ ب. السالمي، جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام، ٣/ ١٢١.

تاهرت ١٦٠ هـ ـ ٢٩٦ هـ/ ٧٧٦ ـ ٩٠٨ م في المغرب والإمامة الأباضية بعمان ١٧٧ هـ ـ ٢٨٠ هـ/ ٧٩٣ ـ ٨٩٣ م، وسنلاحظ هذا في الشروط التي أشار إليها الإمام الأباضي أبو إسحق إبراهيم بن قيس الحضرمي قوله: (ولا تتم الإمامة لأحد إلا بوجود إحدى عشر خصلة.

أحدها: أن يكون رجلاً بالغاً حراً عاقلاً.

الثاني: أن يكون ليس بأعمى ولا أصم.

الثالث: أن يكون ليس بأخرص[1].

الرابع: فصيحاً بالعربية.

الخامس: صحيحاً ليس بزمن، ولا مقطوع اليدين ولا الرجلين، قلته قياساً.

السادس: أن يكون من أهل العلم والورع في الدين.

السابع: أن يعقد له من أهل الولاية ستة رجال أحراراً بالغين عاقلين من أفضل المسلمين في العلم والورع في الدين ليس فيهم أعمى فصاعداً.

الثامن: أن يكون أهل دعوة المسلمين عليهم عقد الإمامة، لا يكون في ذلك شرط.

التاسع: أن لا يعقدوا لأحد قبله من المسلمين إلا أن يكون بينه بحر فإن لم يكن بينهما بحر كان داعية الذي قبله وليس بإمام.

العاشر: أن لا يعقدوا له ولغيره في وقت واحد ولا يدري أيهما من قبل وليس بينهما بحر فليس الواحد منهما إمامة، ويرجع الأمر شورى بين المسلمين.

---

(١) هكذا وردت النص والصحيح (أخرس).

الحادي عشر: أن يكون ممن لم يقم عليه حد من قطع ولا جلد[1].

والذي نريد أن نقوله هو: إن هذه الشروط التي أوردها الإمام الأباضي لم تكن أصولاً ثابتة، ففيما يتعلق بالخصلة السابعة نلاحظ التزام أباضية عمان بها بصورة عملية في الفترة موضوعة البحث، وخلاف هذه الخصلة قول الإمام الأباضي أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة بالنص على تعيين وتنصيب أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري إماماً لأباضية المغرب يقول تبغورين: «والإمام إن أبى أن يقبل الإمامة إذا رفعها إليه المسلمون قتلوه ونظروا في غيره وقد أمر عمر رضي الله عنه أصحاب الشورى بذلك، وأمر به أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة»[2] ويؤكد ما ذهب إليه بتغورين قول الشماخي: «ثم استشاروا أبا عبيدة في شأنهم أن أنسوا في أنفسهم قوة أيؤمرون عليهم واحد منهم قال: نعم وأشار إلى أبي الخطاب فإن أبى فاقتلوه»[3].

ولا شك أن قيام أبو عبيدة بالنص على أبي الخطاب يخالف مفهوم الشورى ويبدو أن أبا عبيدة أكد عامل الكفاءة لما توسم في أبي الخطاب من صفات قيادية فاختاره بنفسه ولم يجد عليه أصحابه اعتراض.

أما في يتعلق بالخصلة التاسعة والعاشرة التي يستشف منها الجواز بقيام إمامتين أباضيتين في وقت واحد فيما لو كان كالبحر حاجز بينهما. فلاحظ أن هذا الحكم جاء نتيجة للظروف السياسية مسيطرة سياسياً على الحجاز ومصر كما فصلت الموانع البحرية بينهما.

ويمكن القول إن الأباضية هي الفرقة الوحيدة من الفرق الخارجية التي بلغت درجة من الوعي السياسي والمرونة الملائمة مع الأحداث بحيث تمكنت

---

(١) مختصر الخصال، ورقة ٧٠ ب.

(٢) تبغورين، عقيدة تبغورين، ورقة ٢٠ أ.

(٣) الشماخي، السير، ص ١٢٤.

من البقاء والاستمرار حتى يومنا هذا.

الانشقاقات والانقسامات في الأباضية:

ترك الاعتزال أثر سلبياً على الأباضية، فقد عرضها إلى الانشقاق ولما كانت مدينة البصرة هي الموطن الذي ترعرعت فيه الأفكار الأباضية والمعتزلية على السواء، لذا فقد تعرضت الدعوة الأباضية إلى تأثير معتزلي تمثل في المناقشات التي جرت بين أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وحمزة الكوفي وعطية والحارث وهم من الأباضية في القول بالقدر[١]، فترتب على هذه الاختلافات العقائدية البراءة من القائلين بالقدر وعزلهم عن المجتمع الأباضي في البصرة «وجمع حاجب وأبو عبيدة الناس فقالا إن حمزة وعطية والحارث أحدثوا علينا فمن آواهم فهو الخائن المتهم»[٢]، وقد ترتب على هذه الاختلافات العقائدية بين القائلين بالقدر ورؤساء الدعوة الأباضية إلى ظهور فرق أباضية جديدة لا علاقة لها من الناحية السياسية بالدعوة الأباضية التي تتكلم عنها في هذا البحث.

ولكن هذا الانشقاق أفقد الدعوة الأباضية الكثير من الأنصار بسبب الموقف المتزمت لقيادتها مع أنها تشترك معها في الأسس العقائدية، ولهذا نلاحظ أن المصادر الأباضية المشرقية والمغربية سواء في ذلك كتب السير أو العقائد والفقه[٣] لا نشير إلى وجود فرق أباضية غير الفرق الوهبية بسبب

---

(١) الشماخي، السير، ص ١٢٠. ـ وينقل الشيخ تبغور بن عيسى المشلوطي في كتابه المسمى بأصول الدين حديثاً للرسول يذم فيه القدرية فيقول: «قال النبي ﷺ: لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة القدرية». تبغورين، ورقة ٢ ب. وهذا إن دل فإنما يدل على عداء الأباضية للمعتزلة.

(٢) الشماخي، السير، ص ١٢٠.

(٣) انظر، أبو زكريا، السيرة وأخبار الأمة. أبو الربيع سليمان، سيرته الدرجيني، طبقات =

الاختلافات في مسائل عقائدية كمسألة القدر. إن هذه المصادر تذكرت أو غضت الطرف عن ذكر بعض الشخصيات العلمية المرموقة لأنها تقول بالقدر كهشام الدستوائي (ت ١٥٣ هـ) الذي كان من مشاهير علماء الحديث في عصره[١]. وقد قام بدعوة الأعراب الذين يقطنون في منطقة الجناب[٢] إلى الأباضية فأجابوه إلى ذلك[٣].

ومما هو جدير بالذكر أن كتب الفرق الإسلامية المشرقية منها على الخصوص هي التي أشارت إلى مثل هذه الفرق مما يدل على تواجد هذه الفرق في مشرق الدولة الإسلامية. كما أنها كادت مرورية لدى مؤلفي هذه الكتب[٤] ومن الفرق الأباضية:

١ ـ **الحارثية**: سميت هذه الفرقة بالحارثية نسبة إلى الحارث بن يزيد الأباضي[٥] ومن المحتمل أن الحارث هذا هو الذي طرده أبو عبيدة مسلم

= الأباضية. ـ ابن بركة، أبي محمد عبدالله بن محمد العماني الجامع. بتغورين، عقيدة بتغورين.

(١) الذهبي، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد، تذكرة الحفاظ، (حيدرآباد، ١٣٣٣ هـ) ١/ ١٥٥. والدستوائي هو أبو بكر عبدالله بن سنبر «كان يبيع الثياب المجلوبة من دستواء إحدى كور الأهواز» الذهبي المصدر السابق ١/ ١٥٥. ـ ابن حجر، شهاب الدين ابن الفضل أحمد بن علي العسقلاني، تهذيب التهذيب، (حيدرآباد، ١٣٢٧)، ١١ ٤٤ ـ ٤٥. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، تح، فرانز روزنثال، (بغداد، ١٩٦٣)، ٣٣٩.

(٢) الجناب: تقع في أرض كلب في السماوة بين العراق والشام ياقوت، معجم البلدان، ٤/ ٣١٩.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ١/ ٣٣.

(٤) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ١/ ١٠٤. البغدادي، الفرق بين الفرق، (بيروت، ١٩٧٣) ص ٨٣ فما بعد.

(٥) البغدادي، المصدر السابق، ص ٨٤. الاسفراييني، أبو المظفر شاهفور بن طاهر بن محمد، التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الهالكين» (نشر مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٥٥) ص ٥٧. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل =

من مجالس الأباضية في البصرة قال الشماخي: «وجمع حاجب وأبو عبيدة الناس فقالا إن حمزة وعطية والحارث أحدثوا علينا فمن آواهم فهو الخائن المتهم»[1] وذلك لأنهم «أخذا بقول أهل القدر فبرىء منهم أبو عبيدة وحاجب»[2].

وكما ذكرنا أن المعتزلة هي الفرقة التي تركت أثراً عقائدياً لدى الأباضية بسبب استخدامها للعقل في مناقشة العقائد الإسلامية حيث اتخذت طابعاً كلامياً عقلياً وخاصة فيما يتعلق بمسألة القدر[3] يقول الأشعري: «قالوا في القدر يقول المعتزلة وخالفوا فيه سائر الأباضية وزعموا أن الاستطاعة قبل الفعل»[4]، ولذا فقد كفرتهم عامة الأباضية «لأن جمهورهم على قول أهل السنة في أن تعالى خالق أعمال العباد وفي أن الاستطاعة مع الفعل»[5].

وقد قاوم علماء الأباضية بعمان الأفكار القدرية التي تسربت بواسطة

= والنحل. (نشر مكتبة الخانجي بمصر والمثنى ببغداد، لات) بهامش كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، أبي محمد علي الظاهري، ١ ط ١٨٣. وذكر الأشعري أنهم «أصحاب الحرث الأباضي»، ولم يذكر اسماً لنسبه ١/ ١٠٤، وذكر الاسفراييني أن اسم أبيه مزيد بدلاً من يزيد، ص ٥٧. وذكر مؤلف مجهول نسبتهم إلى «أبي الحارث الأباضي» الفرق الإسلامية ورقة ٣٧.

(١) الشماخي، السير ص ١٢٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) يقول الأستاذ زهدي جاد الله «يلقب المعتزلة أيضاً بالقدرية، ويقول البغدادي أن أهل السنة سموهم قدرية لأنهم يذهبون إلى أن الناس هم الذين يقدرون أعمالهم، وأن الله تعالى ليس له فيها صنع ولا تقدير... أن القدرية فرقة سبقت المعتزلة وكان شأنها الأوائل معهد الجهني وفيلات الدمشقي، ولما ظهر المعتزلة أخذوا عن القدرية قولها في نفي القدر فعلق بهم لذلك اسمها...».
جاد الله، زهدي، المعتزلة، (بيروت، ١٩٧٤) ص ٦ ـ ٧.

(٤) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ١/ ١٠٤. مؤلف مجهول، الفرق الإسلامية ورقة ٣٧.
الشهرستاني، الملل والنحل ١/ ١٨٣.
الاسفراييني، التمييز في الدين، ص ٥٧.

التجار إلى مدينة صحار أبرز المراكز التجارية في الخليج العربي ولما كانت هذه المدينة وثيقة الصلة بمدينة البصرة من الناحية التجارية[١] فمن المحتمل أن الأفكار القدرية انتقلت إليها من مدينة البصرة موطن المعتزلة الأول[٢].

وفي مطلع القرن الثالث الهجري أبان إمامة عبد الملك بن حميد ٢٠٧ هـ ـ ٨٢٢ ـ ٢٢٦ هـ ٨٤٠ م حذر هاشم بن غيلان الإمام الأباضي عبد الملك بن حميد من استفحال الأفكار القدرية وطالب بمطاردتهم واخراجهم من عمان ومما كتب إليه: «أنه بلغنا أن قوماً من القدرية، والمرجئة بصحار، قد ظهرو دينهم، ودعوا الناس إليه، وقد كثر المستجيبون لهم، ثم قد صاروا بتوأم وغيرها من عمان، وقد يحق عليك أن تنكر ذلك عليهم، فإنا نخاف أن يعلو أمرهم في سلطان المسلمين، فأمر يزيد أو أكتب إليه أن لا يترك أهل البدع على إظهار دعوتهم، حتى يطفىء الضلال والبدع، وأكتب إليه رحمك الله، أن يظهر الأفكار عليهم، ويرسل إلى كل من بلغه شيء من ذلك، فيعرض عليهم الإسلام، ويصف له الدين، وإثبات القدر وتكفير أهل الاصرار: فإن قبلوا ذلك وإلا فأحبس وعاقب ومن بلغه عنه تماد في ذلك حبسه وعاقبه، وأطال لحبسه. . .»[٣] ويتضح من هذا النص الموقف العقائدي للفرقة الأباضية بعمان وقولها بالقدر[٤]، وهذا الحكم في الحقيقة قال به الفقيه الأباضي أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة في البصرة حينما طرد حمزة الكوفي، يقول الشماخي: (فقال ـ حمزة ـ ياعجباً لأبي عبيدة قد أمر بهجراني وهؤلاء الفتيان يقولون أراد وشاء وأحب. ورضي عنهم وهو يدينهم ولا يقول بمثل قولهم فقال: أبو عبيدة

---

(١) انظر عن أهمية صحار، الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، المسالك والممالك، تح محمد جابر عبد لعال، (القاهرة، ١٩٦١). ص ٢٧.

(٢) جادالله، زهدي، المعتزلة، ص ١.

(٣) السالمي، التحفة ١/ ١٣٨، ١٤٠.

(٤) المصدر السابق، ١/ ١٤٠.

هؤلاء أرادوا إثبات القدرفغلوا فيه وحمزة يريد إزالته وليس مثبته كمزيله . . »[1] وبهذا يمكننا تعليل الانفصال بين الحارثية من الأباضية والوهبية مع أن الفرقتين تلتقيان في الأساس السياسي العام الذي تكونت حوله جميع الفرق الأباضية، فالحارثية تعتقد (أنه لم يكن لهم إمام بعد المحكمة الأولى، إلا عبدالله بن أباض وبعده حارث بن يزيد الأباضي)[2] ولذلك فالحارثية لا تعتقد بالأئمة الذين أوجب الأباضية الوهبية ولايتهم[3] ويبدو أن الحارث بن يزيد كان آخر أئمتهم بموته اختفت هذه الفرقة الأباضية. ويبقى هناك غموضاً يتعلق بجانبين مهمين، الأول يتعلق بموطن هذه الفرقة والثاني بمؤسسها وحياته الخاصة وتاريخ وفاته؟[4].

٢ ـ الفرقة الحفصية:

والفرقة الثانية من الأباضية التي لا يرد لها ذكر في المصادر الأباضية هي الحفصية.

نسبت هذه الفرقة إلى إمامها حفص بن أبي المقدام[5] ولا تذكر المصادر الإسلامية شيئاً عن حياته والبيئة التي عاش كي نستطيع معرفة المؤثرات

---

(١) الشماخي، السير، ص ٨٥.
(٢) البغدادي، الفرق بين الشرق، ص ١٥٠.
(٣) العلوي، أحمد بن أبي بكر سميط، مشارق أنوار العقول، (مصر: ١٣١٤ هـ) ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨. راجع الولاية والبراءة، الركن الثالث من الكتاب ص ٣٣٧ ـ ٣٨٧.
(٤) انظر الاختصار الشديد في زوايات كتاب الفرق الإسلامية على سبيل المثال، الأشعري، مقالات الإسلاميين، ١/١٠٤. الشهرستاني، الملل والنحل ١/١٨٣ مؤلف مجهول، الفرق الإسلامية، ورقة ٣٧.
(٥) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ١/١٠٣. الاسفراييني، التبصير في الدين، ص ٥٧. الحميري، الحور العين، ص ١٧٥. ذكر مؤلف مجهول أن اسمه «أبي حفص بن أبي المقدام»، الفرق الإسلامية ورقة ٣٦.

العقائدية التي جعلته ينفصل عن الأباضية[1]. ولما كانت المصادر العمانية تولي اهتماماً خاصاً للاختلافات العقائدية وما يترتب عليها بما يعرف بمسألة البراءة والولاية والوقوف[2]، فإن هذه المصادر لا تذكر من قريب أو بعيد هذا الإمام الأباضي وعند مراجعة المصادر المغربية نلاحظ أيضاً عدم ذكرها لحفص بن أبي المقدام، أستطيع القول إن هذه الفرقة عاشت في المشرق الإسلامي لا سيما وقد ورد ذكرها لدى كتاب مشارقة كالأشعري والبغدادي والاسفراييني[3].

ويبدو أن الافتراق بينهم وبين الفرق الأباضية الوهبية نتيجة لنظرات اجتهادية في جوانب عقائدية يقول مؤلف مجهول (وهؤلاء زادوا على الأباضية أن بين الإيمان والشرك معرفة الله تعالى فإنها خصلة متوسطة بينهما)[4]، (ثم كفر بمن سواه من رسول أو كتاب أو جنة أو نار أو عمل جميع الجنايات فهو كافر بريء من الشرك ومن جهل الله أو أنكره فهو مشرك)[5] ونتيجة لآرائه هذه فقد (بريء منه جل الأباضية إلا من صدقه منهم)[6]، ولا شك أن هذه الانقسامات العقائدية أفقدت الأباضية الكثير من الأتباع مما أضعفها من ناحية سياسية.

أما آراء الحفصية السياسية في الخلافة فهي غالبة، فهم لا يقرون خلافة

---

(١) انظر، الأشعري، مقالات الإسلاميين، ١/١٠٣. البغدادي الفرق بين الفرق ص ٨٣، الاسفراييني، التبصير في الدين ص ٥٧.

(٢) انظر، أحكام الديوان، ألفه عشرة من علماء الأباضية، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٧٩١ ب من ورقة ٨٦، ٢٠٢. أبو المؤثر، الأحداث والصفات. البسيوي، الحجة على من أبطل السؤال في الحدث الواقع بعمان.

(٣) تبغورين، عقيدة تبغورين. أبي زكريا، السيرة وأخبار الأمة.

(٤) مؤلف مجهول، الفرق الإسلامية، ورقة ٣٦.

(٥) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ١/١٠٢.

(٦) المصدر السابق.

عثمان، وابتدعوا تأويل القرآن في عدائهم للإمام علي (وزعم أن علياً هو الحيران الذي ذكره القرآن)[1] كما يقولون أن الله تعالى أنزل فيه (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا، ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام)[2] على أن هذه الفرقة لا يعرف لها دور سياسي يذكر في تاريخ الحركات الخارجية.

٣ - الفرقة اليزيدية:

على أن أكثر الفرق الأباضية غلواً هي الفرقة المسماة باليزيدية. فنسب هذه الفرقة إلى إمامها يزيد بن أنيسة[3] وهو يلتقي مع الأباضية من ناحية الأفكار النظرية التي تتعلق بالإمامة، فقد (قال: بتولي المحكمة الأولى. وتبرأ ممن بعدهم إلا الأباضية فإنه يتولاهم)[4]. ويظهر أنه تعرف على المبادىء الأباضية في مدينة البصرة ثم انتقل إلى أرض فارس[5]:

ويبدو أن يزيد بن أنيسة أراد أن يحرف في العقائد الأباضية ويجعل منها ستاراً لترويج عقائد غالية لا تمت بصلة إلى العقائد الأباضية وأخطر هذه العقائد قوله: (إن الله سيبعث رسولاً إلى العجم منهم وينزل عليه كتاباً جملة واحدة ويترك شريعة محمد ﷺ وتكون ملة الصابئة المذكورة في القرآن)[6]، ولذا قال ابن الأثير إن (هؤلاء أكفر الخوارج)[7].

---

(١) المصدر السابق، أيضاً.
(٢) الاسفراييني، التبصير في الدين، ص ٥٧.
(٣) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ١/ ١٠٣ البغدادي الفرق بين الفرق ص ٢٦٣.
(٤) الشهرستاني، الملل والنحل، ١/ ٧١٣.
(٥) البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٢٦٣.
(٦) ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب (القاهرة، ١٣٥٧ هـ) ٣/ ٣٠٩.
(٧) المصدر السابق.

ويبدو أن لسكنى يزيد بن أنيسة في جهال حلوان[1] تأثير على عقائده حيث تنتشر بقايا العقائد الفارسية، والصابئية ولا سيما أنه قد بشر بمجيء (ملة الصابئة المذكورة في القرآن)[2] ولو أنه قال إنها ليست (الصائبة الموجودة في أواقط وحران)[3] كما أنه خالف النظرية الأباضية المعتدلة في نظرتهم لتحديد معاني الشرك والكفر، ويبدو أن لموطنهم (جفال حلوان ونواحيها)[4] وعدم مخالطتهم للناس وانقطاعهم للتزهد انعكست في نظرتهم للحدود الشرعية فقال يزيد بن أنيسة (إن أصحاب الحدود من موافقيه وغيرهم كفار مشركين وكل ذنب صغير أو كبير فهو شرك)[5]، ولا شك أن مثل هذه التعاليم لكونها بعيدة كل البعد عن روح الأباضية عقائدياً وسياسياً، فإننا بأي حال من الأحوال لا يمكن أن نجعلها ضمن الفرق الأباضية لاعتناقها هذه المبادىء الغالية.

---

(١) تقع حلوان على آخر حدود السواد مما يلي الجبال بينها وبين بغداد خمسة مراحل. ياقوت، المشترك وصفاً والمفترق صقعاً، نشرته مكتبة المثنى ومؤسسة الخانجي بمصر، لات، ص ١٤٢.

(٢) الشهرستاني، الملل والنحل، ١/ ١٨٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ابن الأثير، اللباب في تهذيب، الأنساب، ٣/ ٣٠٩.

(٥) الشهرستاني، الملل والنحل، ١/ ١٨٣.

خاتمة البحث

إتضح لنا من خلال دراستنا الوثائق التاريخية التي حصلنا عليها أن الدعوة الأباضية نشأت وترعرعت في مدينة البصرة في القرن الأول الهجري وقد قام بتأسيسها مجموعة من التابعين، وقد برز من هؤلاء الدعاة جابر بن زيد وعبدالله بن أباض وقاموا بتأسيس النظام السري في الدعوة، أو ما يعرف لدى الأباضية بمرحلة الكتمان، وقد دلت هذه المرحلة على نضج سياسي ويظهر هذا واضحاً من خلال الأساليب التي اتبعوها في علاقاتهم التنظيمية في الدعوة لمذهبهم ولم تستطع السلطات المتعاقبة في البصرة أن تضع يدها على هذه المنظمة السرية للدعوة الأباضية للدقة والتحفظ الذي أحاط بها الدعاة أنفسهم.

وقد ظهر لنا أن هذه الفرقة كانت على خلاف عقائدي وسياسي مع فرق الخوارج المتطرفة كالأزارقة والنجدات، حيث امتازت هذه الفرقة بمواقفها المعتدلة فلم تكن تكفر المسلمين المخالفين لهم في المذهب. واتضح لنا أن هذه الميزة هي إحدى مبررات بقاءهم كمذهب إسلامي يمثل استمرار العقائد المحكمة الأولى حتى تاريخنا المعاصر.

كما اتضح لنا أن عبدالله بن أباض لم يكن هو القائد المؤسس للدعوة الأباضية كما تعارف عليه المؤرخون القدامى والمحدثين، بل كان الفقيه التابعي جابر بن زيد الأزدي ومجموعة من المشايخ هم المؤسسون للدعوة الأباضية بما

في ذلك عبدالله بن أباض.

وقد قامت مدينة البصرة بدور سياسي كبيرة في منطقة جنوب وشرق الجزيرة العربية لا زال أثره واضحاً في سياسة هذه المنطقة حتى يومنا هذا، فقد انطلق من مركز الدعوة في البصرة الدعاة الأباضية «حملة العلم» إلى عمان واليمن، وقد اتصفوا بصفات قيادية وسياسية واجتماعية وكفاءة عالية في كسب الأتباع لمذهبهم الأباضي.

وقد ظهر لنا من خلال هذه الدراسة أن أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة قد وضع الدعوة في منعطف تاريخي جديد إذ اتخذت الدعوة مساراً جديداً اتسم بالدقة والعمق السياسي والتنظيمي والعلمي، فبدأت في عهده الدعوة الأباضية تمارس نشاطاتها السياسية بعد حوالي ستين سنة من التخفي والكتمان، وكان لأساليب أبي عبيدة البارعة في التنكر أثراً في نجاح الدعوة وفشل السلطات الأموية والعباسية في كشف القيادة السياسية الحقيقية للمنظمة السرية الأباضية في البصرة. وقد ظهرت مهارة أبي عبيدة من خلال اتخاذه مهنة عمل القفاف حيث لقب بالقفاف، وكان لسرب القفاف أثراً سياسياً بارزاً في إعداد حملة العلم الذين نجحوا في تغيير تاريخ جنوب شرقي الجزيرة العربية والمغرب الأوسط حيث قامت الدولة الأباضية بعمان والدولة الرستمية في تاهرت إضافة إلى قيام الإمامة الأباضية في اليمن والتي قضى عليها في وقت مبكر من قبل الأمويين.

وقد ظهر لنا من خلال هذا البحث وخلافاً لما كان سائداً لدى الباحثين المستشرقين والعرب أن العلاقة بين الأباضية وعبد الملك بن مروان خاصة والأمويين بصورة عامة لم تكن علاقة ودية كما ذهب إليه الباحثون لأن دراستهم لم تخط علماً بالعقائد الأباضية، ولعدم اطلاعهم على مصادر أباضية أصيلة.

ولقد تناول البحث مرحلة الكتمان والبناء التي استمرت زهاء نصف قرن

حيث بدأت أولى عمليات النشاط السياسي التي تمثلت بظهور الإمامة الأباضية في اليمن سنة ١٢٩/ ٧٤٥ م وقد ظهرت لنا الروابط الوثيقة بين أباضية اليمن ومركز الدعوة في البصرة، حيث ظهر الدور الفعال الذي لعبه أباضية البصرة والموصل في هذه الثورة، مما يدل على التنسيق والإعداد المسبق المنظم من قبل قيادة الدعوة الأباضية. وقد امتدت هذه الحركة للسيطرة على الحجاز إلا أن سيطرتهم بدأت بالإنحسار بعد توجه القائد الأموي عبد الملك بن عطية الذي استطاع أن يقضي على خيرة قادتهم. وقد كان اختبار زمان الثورة دليلاً على معرفة القادة بالظروف التي تمر بها الدولة الأموية وهي في طريقها إلى الانحلال والسقوط.

كما تناول البحث انتشار الدعوة الأباضية بعمان، وقد تجلى دور مركز الدعوة في البصرة في نشر العقيدة الأباضية بعمان. وكان لانتماء بعض قادة الدعوة لإقليم عمان دوراً في ذلك، كالإمام جابر بن زيد الأزدي، والربيع بن حبيب بن عمرو الفرهودي الأزدي. وقد قامت في عمان أولى المحاولات الأباضية لإقامة إمامة حاكمة فيها، وبهذا اتضح لنا أن إقليم عمان كان من أول الأقاليم الإسلامية استعداداً للانفصال عن الخلافة العباسية خلافاً لما هو شائع بين المؤرخين المحدثين من أن الدويلات الطاهرية والسامانية وغيرها كانت أولى الدويلات التي انفصلت عن الخلافة العباسية، وكان السبب الرئيسي في انفصال إقليم عمان في هذا الوقت المبكر سبب عقائدي، فقد أصبح المركز العقائدي حتى تاريخنا المعاصر.

وبسبب استفحال الدعوة وتمكنها في هذا الإقليم فقد قامت ثاني محاولة سياسية للدعوة الأباضية في القرن الثاني الهجري سنة ١٣٢ هـ ٧٤٩ م بقيادة الجلندي بن مسعودالأزدي، إلا أن العباسيين استطاعوا القضاء على هذه الإمامة بسبب ضعف الإمكانيات الاقتصادية والبشرية ولقوة المعارضة الداخلية

من آل الجلندي الحكام السابقين لعمان الذين عقدوا حلفاً مع الدولة العباسية.

ثم مرت الدعوة الأباضية في إقليم عمان في فترة من الكتمان حتى سنة ١٧٧ هـ/ ٧٩٣، إذ بدأت الدعوة الأباضية بالسيطرة على إقليم عمان وطرد آل الجلندي حلفاء العباسيين واعلان الإمامة الأباضية الثانية، وتعتبر هذه الإمامة أول محاولة ناجحة من الناحية السياسية للدعوة الأباضية في المشرق إذ استمرت لأكثر من قرن من الزمان. وقد تجلى في هذه الحركة الدور القيادي لطلاب أبي عبيدة مسلم، من «حملة العلم» الذين درسوا في البصرة، واشتهر من هؤلاء الدعاة موسى بن أبي الأزكوي الذي يعد بحق من أبرز الشخصيات التي ساهمت في اعلان الإمامة الأباضية الثانية.

وقد ظهر من أئمة هذه الفترة عبدالله بن محمد بن أبي عفان، الذي حكم لأكثر من عامين، إذ استطاع أن يخمد قوى المعارضة الداخلية المتمثلة من آل الجلندي وبني هناءة. وكان هذا الإمام قد بعث به التنظيم الأباضي في البصرة لقيادة الأباضية من الناحية العسكرية.

من أبرز أئمة هذه الفترة الإمام وارث بن كعب الخروصي سنة ١٧٩ هـ/ ٧٩٣ م، ويعتبر عصره من أزهى عصور الإمامة الأباضية الثانية من حيث الاستقرار الداخلي، وفي عهده تعرضت عمان لغزو عباسي قضى عليه من قبل الأباضية بسهولة مما يدل على قوة هذه الإمامة من الناحية العسكرية واستمرت الإمامة المذكورة بالقوة والازدهار في عهد خلفه غسان بن عبدالله الفححي سنة ١٩٢ هـ/ ٨٠٧ م، واستطاع هذا الإمام أن يخمد قوى المعارضة القديمة المتمثلة بآل الجلندي وبني هناءة. وقد كانت أبرز الإنجازات التي حققتها عمان في هذه الحقبة قوة أسطولها البحري الذي استطاع أن يطهر السواحل العمانية من ظاهرة القرصنة التي كانت سائدة آنذاك.

وقد برز من أئمة هذه الفترة المهنى بن جيفر اليحمدي ٢٢٦ هـ/ ٨٤٠ م،

وتعتبر إمامته امتداداً لفترة حكم الأئمة السابقين من حيث الاستقرار النسبي كما امتاز عصره بوجود حكومة مركزية قوية، مع ازدهار اقتصاد عمان الزراعي والتجاري.

وبعد وفاة المهنا بن جيفر تولى الإمامة الأباضية الصلت بن مالك سنة ٢٣٧ هـ/ ٨٥١. وقد امتازت الفترة الأولى من سني حكمه بالاستقرار والقوة السياسية، حيث حصل توسع يضم جزيرة سقطرة إلى عمان، وفي أواخر سني حكمه دب الضعف في كيان الإمامة الأباضية الثانية نتيجة لكبر سنه وضعفه في إدارة دفة الحكم، مما أدى إلى ظهور الحرب الأهلية والفتن الداخلية وانشقاق القبائل العمانية على نفسها إلى يمانية ومضرية، وقد ظهرت هذه الانقسامات القبلية بشكل واضح في إمامة راشد بن النظر اليحمدي ٢٧٣ هـ/ ٨٨٦ م.

وانتقل الثقل السياسي من أئمة الدعوة إلى رؤساء القبائل، ولم يعد للإمامة القدسية والأثر السياسي بقدر ما كان لشيوخ القبائل الأمر الذي أدى إلى انقسام قادة الدعوة المتأخرين واعتمادهم على رؤساء القبائل في تحقق طموحهم السياسي، وكان لموسى بن موسى بن علي إمام الدين الأباضي دوراً فعالاً في نصب إمام وعزل آخر وقد أدت مواقفه السياسية إلى استفحال النزاعات القبلية وخاصة في إمامة عزان بن تميم ٢٢٧ هـ/ ٨٩٠ م الذي تبلور في عهده الصراع القبلي بين اليمانية والنزارية، حيث استنجد الأخيرون بالخلافة العباسية للقضاء على اليمانية مما أدى أخيراً إلى سقوط الإمامة الأباضية ورجوعها إلى حضيرة الدولة العباسية سنة ٢٨٠ هـ/ ٨٩٣ م.

ملاحق الرسالة

الملحق الأول

قائمة بذكر مؤلفات الأباضية المشارقة من القرن الثامن الهجري لذكرها أبو القاسم البرادي وهي تظهر لنا التراث الزاخر لهذه الفرقة الأباضية وهذه القائمة عبارة عن رسالة بعث بها أبو القاسم البرادي إلى أحد العلماء الأباضية رداً على سؤاله الذي طلب فيه تسمية الكتب التي ألفها علماء الأباضية في المشرق جاء فيها:

«الحمد رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله أجمعين، سلام عليكم يا أخي يشملنكم بمن بين أيديكم وبمن حواليكم من الطلبة والإخوان ورحمة الله وبركاته.

وبعد فإن الرسول لم أفهم عنه مرادك من تسمية التواليف فمن ذلك تواليف أصحابنا المشارقة صفة أحداث عثمان بن عفان رأيته ولم أعرف مؤلفه. وكتب فيه أخبار صفين وأخبار أهل النهر وقتلهم أكثر آثاره عن عبدالله بن يزيد الفزاري رأيته ولم أعرف مؤلفه. وكتاب عبدالله بن أباض كتب به إلى عبد الملك بن مروان جواب عن كتابه إليه يشتمل على النقض والرد وتبيين الاعتقادات والاحتجاج بآي القرآن. وكتاب سالم بن الحطيئة الهلالي في العقائد والنقض والاحتجاج. وكتاب شبيب بن عطية تكلم فيه عن الشكاك والمرجية والذي أعرف من آثار قومنا شبيباً صفري لكن كلامه في الكتاب كلام موافق كتب به إلى عبد السلام. وكتاب الفرائض لابن عبد الجبار وقفت عليه

والمسند وهو حديث الربيع. وكتاب الحجة على الخلق في معرفة الحق كتاب ضمام رواية أبي صفرة عبد الملك بن صفرة عن الربيع عن ضمام. وكتاب آخر في الفروع رواية الهيثم بن الهيثم عن أشياخه عن الربيع. كتاب أبي سفيان يشتمل على الأخبار والفقه والكلام والعقائد وقال الإمام أفلح رضي الله عنه عليكم بدراسة كتب أهل الدعوة لا سيما كتب أبي سفيان يشتمل على الأخبار وعهده الذي كتب فيه إلى الإمام عبدالله يحيى الكندي. ومدونة أبي غانم التي قيد سماعها عن تلاميذ أبي عبيدة تشتمل على عدة كتب وقفت منها على كتاب الصيام وكتاب الشهادات، وكتاب الأقضية والأحكام وكتاب النكاح. . وكتاب محمد بن محبوب وقفت على جزء واحد من أجزائه في جملته سبعون جزء، أذكر ذلك عن الشيخ أبي صالح أبي بكر بن قاسم البراسني. وجامع أبي جعفر جابر محمد بن جعفر الأزكوي يكون سفرين كبيرين في الفروع. ومختصر الشيخ أبي الحسن وهو سبوع اللحم أخبرني بذلك الثقة الحافظ عطا ربيع بن أحمد وجامع الشيخ أبي الحسن المرافق عليه وذكره لي عليه ذكره لي هذا الشيخ أيضاً فقال جامع الشيخ أبي الحسن من جملة الكتب الذي وصل بها الشيخ أبو موسى عيسى بن زكريا البراسني من عمان إلى الجزيرة[1]. وكتاب مدح العلم وأهله لأبي محمد عبدالله بن محمد بن بركة وهو جامعة سفر كبير، وكتاب التقييد له أيضاً وقعت عليه. وكتاب الدعائم الأصل ذكره لي بعض أصحابنا العمانيين بمكة شرفها الله سنة خمس وسبعين من مائتنا هذه أن عدة المثبتة عددهم في هذا الكتاب بعمان. . . وقال هل وصل إليكم القصيد الذي يقول فيه: وأبرأ من شيخ الضلال مساوياً وحكم أبي موسى وأبرأ من علي، والله أعلم بصحة ما ذكروا، وسير الشيخ أبي محمد الحسين علي بن محمد البنساوي[2] وقفت على ثلاثة منها ما هو إلى أمل المغرب كلها في النقض والردود وتسمية

---

(١) يقصد بالجزيرة، جزيرة جربه.

(٢) والصحيح البسيوي.

أئمة المسلمين من الصحابة والتابعين وغيرهم. وكتاب التخصيص لأبي بكر الأزكوي. وكتاب الذكاير والحجج وهو المعروف بالحضرومي. وكتاب الضيا يذكرون أنه وصل المغرب من النسخة الكبيرة التامة نيف وأربعون جزءاً ورأيت فيه ثلاثة أسفار كل سفر يشتمل على أجزاء في التوحيد والصلاة والطلاق والحيض والبيوع والأحكام وغير ذلك وهو من أثير تصنيف أهل الدعوة. وكتاب النور مختصر عن كتاب الضيا ولله در صاحبه ما أرشف إشارته في تسميته بالنور عن الضيا وكيف استخرج هذه العبارة من قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً.. ولعمري أن كل واحد منهما لمطابق مسماه لمعناه. وكتاب تفسير الخمسمائة آية في الحلال والحرام لأبي المؤثر الصلت بن الخميس: وكتاب الحل والإصابة لمحمد بن وصاف في سفرين كبرين أو في أربعة صغار. وسيرة الإمام عبدالله بن يحيى وما معهما من خطب أبي حمزة المختار بن عوف الأزدي لا أدري من ألفه. وكتاب أشعار الإمام عبدالله بن يحيى يذكرونه عندكم ويذكرون في (الهامة) وأما أنا فلم أقف عليه. ويذكرون من تأليف أهل العصر عندكم كتاب يعرف بكشف الغمة في اختلاف الأمة يقال أنه لم يرد لأهل الدعوة مثله في فيه وكنت كلفت بعض أصحابنا من مكة على انتساخه فأتى به من قابل فلم يصادف هناك من له اقبال بشيء فطلب المحتمل أجرته فلم يجدها جرة فلا قوة إلا بالله. ويذكرون المقطعات لأبي سعيد العماني ولم أر منها شيئاً. وذكر الشيخ أبو العباس أحمد بن الشيخ سعيد في كتابه عن الشيخ أبي العباس أحمد بن بكر قال «كنت أقرأ على الشيخ سعيد وأحضر مجالسه فأول ما وقعت فيه المذاكرة عنده فنظرت في أثناء ذلك في هنالك من كتب المذهب التي وصلت من المشرق فإذا نحو من ثلاثة وثلاثين ألف جزء فتخيرت أكثرها فائدة فقرأته حينئذٍ والله أعلم.

الملحق الثاني

الرسالة التي بعث بها أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، إلى الدعاة الأباضية في المغرب، وهي تقيم الدليل على الصلة الوثيقة بين أباضية المغرب وارتباطهم بمركز الدعوة الأم في مدينة البصرة، وتظهر هذه الرسالة الدقة في التنظيم الأباضي، ومراقبة أبو عبيدة لدعائه دون أن يفطنو لذلك[١] وفيما يلي نصوص من هذه الرسالة التي بدأت: «بسم الله الرحمن الرحيم:

صلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أتانا كتابكم تذكرون فيه ما منّ الله به عليكم، من جمع كلمتكم وائتلاف أمركم في كثرة من بحضرتكم من أهل الخلاف لكم، ولعمري ما أكثرتهم وإن كثروا بأكثر مما كان قبلهم على من كان قلبكم من سلفكم، فاقتدوا بهم يهون عليكم كثرتهم على أخلافهم نسأل الله العون والتوفيق في جميع أموركم وأن يكفنا وإياكم بأسهم، وأن يجعل لنا ولكم ولجميع المسلمين عليهم الدائرة ويشفي صدور قوم مؤمنين، ويذهب فيض قلوبهم، فلعمري لقد سرني ما انتهيتم إليه من أمركم وإن كان ذلك لم يخف عنا، غير أنا لم نكتفي الذي كتبتم به إلي، والله يستتم لكم الخير كله بعونه وتوثيقه.

---

(١) وردت هذه الرسالة بمدونة أبي غانم الخرساني، تحت عنوان «رسالة في أحكام الزكاة لأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة». مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٢١٥٨٢ ب.

أتانا كتابكم بمسائل، فمنها ما رأيت أن أجيبكم فيها، ومنها ما رأيت إلا نجيبكم فيها من غير هوان ولا تقصير، إلا الذي رأيته أصلح لجماعتكم، وأقوم لشأنكم، وأرفق لضعيفكم. وأعطف لقويكم وأجمع لأموركم، وما توفيقي إلا بالله وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه. . . .»[1].

أما تاريخ هذه الرسالة فيظهر من محتوياتها أنها كتبت بعد سنة ١٣٢ للهجرة، وفيها إشارة إلى رفض أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة والرد على بعض أسئلة الدعاة المغاربة، ويحتمل أنه رفض الإجابة على مسألة البراءة والولاية من الحارث بن تافد الخضرمي وعبد الجبار بن قيس المرادي التي اختلف فيها الدعاة الأباضية بشكل كاد يؤدي إلى انقسامهم[2]، «فبلغت مسألتهما أهل المشرق فاختلفوا كما اختلف أهل المغرب فكتب أبو عبيدة وحاجب بالكف عن ذكرهما. . .»[3].

---

(١) مدونة أبي غانم الخرساني ورقة ١١٣ ـ ١١٤.

(٢) أبو زكريا، السيرة وأخبار الأمة، ورقة ٧ أ، ٧ ب.

(٣) الشماخي، السير، ص ١٢٥. وكان الحارث بن تليد وعبد الجبار بن قيس المرادي قد ثارا على السلطة الأموية بناحية طرابلس في المغرب عام ١٣١ هـ أو في ١٣٢ هـ على رواية الشماخي، ص ٢٥. ينظر:
المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، موسوعة جمال عبد الناصر في الفقه الإسلامي، (القاهرة، ١٣٨٨) ٣/ ٣٥٠.

الملحق الثالث

قائمة بأسماء الدعاة الأباضية «حملة العلم» الذين حملوا الدعوة الأباضية من البصرة إلى عمان

١ ـ الربيع بن حبيب بن عمر الفرهودي الأزدي (ت ١٧٠ هـ/ ٧٨٦ م)[١].

٢ ـ موسى بن أبي جابر الأزكوي وهو من بني سامة بن لؤي بن غالب (ت ١٨١ هـ/ ٧٩٧ م)[٢].

٣ ـ بشير بن المنذر النزواني العقري وهو من بني سامة بن لؤي بن غالب (ت ١٨٧ هـ/ ٨٠٢ م)[٣].

٤ ـ منير بن النير، بن عبد الملك بن وساد بن وهب من مهرة بن حدان من بني ريام (ت ٢٨٠ هـ/ ٨٩٣ م)[٤].

٥ ـ محمد بن المعلا الكندي الفسحي من الفسح من جبال كنده. (ت في

(١) العوتبي، أنساب الغرب، ورقة ١٧٠ ب.
(٢) كشف الغمة ورقة ٣٩٢ ب.
(٣) العوتبي، أنساب، ورقة ٩٣ أ.
(٤) العوتبي، ورقة ٥٨ أ، مصباح الظلام ورقة ٣١ ب.

القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي)[1].

٦ ـ راشد بن عمرو الحديدي بن النعمان بن حاضر بن حديد الأزدي، (مجهول الوفاة)[2].

٧ ـ هاشم بن غيلان السيحاني من علماء القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي[3].

٨ ـ أبو سفيان محبوب بن الرحيل من علماء القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي[4].

---

(١) العوتبي، ورقة ٩٣ أ.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) الرقيشي، مصباح الظلام، ورقة ٣١ ب.
(٤) أطفيش، الامكان في ما جاز أن يكون أو كان، ص ١٠٩.



خارطة أقليم عمان توضح موقع بعض المدن
التي وردت في البحث



توزيع القبائل العمانية في الفترة موضوعة البحث

مصادر البحث

(أ) المخطوطات:

ابن أباض، عبدالله من أئمة الأباضية في القرن الأول الهجري.

ـ سيرة عبدالله بن أباض، مخطوطة بخزانة الإمام غالب بن علي، الدمام بالمملكة العربية السعودية.

ابن أبي كريمة، أبو عبيدة مسلم، (توفي في القرن الثاني الهجري)

ـ رسالة في أحكام الزكاة، ضمن مجموعة من ورقة ١١٤ ـ ١١٦.

مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٥٨٢ ب.

ابن بركة، أبو محمد عبدالله بن محمد العماني (من علماء القرن الخامس الهجري)

ـ كتاب الجامع مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١١٣ ب، ٢١١١١٤ ب.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ)

ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، مخطوطة مصورة في مكتبة الحكيم العامة في النجف الأشرف تحت رقم ٩٦.

ابن عطية، شبيب (من علماء القرن الثاني الهجري).

ـ سيرة شبيب بن عطية، مخطوطة بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة تحت رقم ٢٢٢٩٨ ب.

ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن علي (ت ٥٨٤ هـ).

ـ المنازل والديار، مخطوطة مصورة، نشرها أنس، خالدوف (موسكو، ١٩٦١) ابن النظر، أبو بكر أحمد العماني (من علماء القرن السادس الهجري).

ـ الدعائم، مخطوطة بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٢١٥٩٠ ب. أبو الربيع، سليمان بن عبد السلام (من علماء القرن السابع الهجري).

ـ منير أبو الربيع، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩١١٣ ح.

أبو زكريا، يحيى بن أبي بكر، (ت٤٧١ هـ).

ـ السيرة وأخبار الأمة، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٠٣٠ ح.

أبو سنة، أبو عبدالله محمد بن عمر (من علماء القرن الحادي عشر الهجري).

ـ حاشية على شرح قواعد الإسلام مخطوطة التيمورية بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٢٢٠٦٨ ب.

أبو العباس، أحمد بن بكر (من علماء القرن الخامس).

ـ تبيين أفعال العباد، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٧٩١ ب.

أبو المنذر، المستأنف.

ـ المستأنف، مخطوطة بخزانة الإمام غالب بن علي بالدمام السعودية.

أبو المؤثر، الصلت بن خميس (من علماء القرن الثالث الهجري).

ـ الأحداث والصفات، مخطوطة بخزانة الإمام غالب بن علي ضمن كتاب سير وتراجم العلماء بالدمام، السعودية.

الأزكوي، سرحان بن سيد (من علماء القرن الثاني عشر الهجري).

ـ كشف الغمة، الجامع لأخبار الأمة، مخطوطة مصورة بالفوتستات بمكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب، جامعة بغداد، تحت رقم ٢٠٥٠.

الأنباري، جعفر بن عبد السلام (ت ٧٥٣ هـ).

ـ أبانة المناهج في نصيحة الخوارج، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٥٤٩٩ ب.

البرادي، أبو الفضل أبو القاسم (من علماء القرن الثامن الهجري).

ـ رسالة فيها تقييد كتب أصحابنا للشيخ أبو القاسم بن إبراهيم البرادي، مخطوطة تقع في ثلاثة أوراق من كتاب أحكام الديوان الذي ألفه عشرة من علماء الأباضية من ورقة (٢٠٥ ـ ٢٠٧ ب)، مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٢١٧٩١ ب.

البسيوي، أبو الحسن علي بن محمد العماني (من علماء القرن الخامس الهجري)

ـ الحجة على من أبطل السؤال في الحدث الواقع بعمان، مخطوطة بخزانة الإمام غالب بن علي، الدمام بالسعودية.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن أبي جابن (ت٢٨٩ هـ).

ـ أنساب الأشراف، مخطوطة مصورة بمكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب ـ جامعة بغداد تحت رقم ١٦٤١.

البهلوي، عبدالله بن عمر الشقصي (ت قبل القرن العاشر الهجري).

ـ قصيدة مخمسة في أمر الخلاف بين الصحابة وفي ذكر الأحداث التي جرت بينهم ضمن مجموعة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٥٤٩ ب .
الجيطالي، إسماعيل بن موسى (٧٥٠).

ـ شرح قواعد الإسلام، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٠٦٧ ب .
الحضرمي، أبو إسحاق إبراهيم بن قيس من أئمة الأباضية بحضرموت في القرن الخامس الهجري .

ـ مختصر الخصال، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٥٩١ ب .
الخراساني، أبو غانم بشر بن غانم، (من علماء القرن الثالث الهجري) .

ـ المدونة الصغرى، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٥٨٢ ب .
الدرجيني، أبو العباس أحمد (من علماء القرن السابع الهجري) .

ـ طبقات الأباضية، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٥٦١ ح .
الرقيشي، أحمد بن عبدالله بن أحمد بن الحسين (توفي قبل القرن الحادي عشر الهجري) .

ـ مصباح الظلام، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٠٥٤٩ ب
الشماخي، أحمد بن سعيد (٩٠٧ هـ) .

ـ شرح مقدمة التوحيد، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٥٧٢ ب .
العوتبي، سلمة بن مسلم الصحاري (من علماء القرن الخامس الهجري) .

ـ أنساب العرب، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٤٦١ تاريخ .
الفرهودي، الربيع بن حبيب (ت ١٧٠ هـ) .

ـ مسند الربيع بن حبيب، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٥٨٢ ب.

الكتبي، صلاح بن شاكر (٧٦٤ هـ).

ـ عيون التواريخ، مخطوطة مصورة بمكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف الأشرف تحت رقم ٧٩.

المشلوطي، تبغورين بن عيسى (من علماء القرن الخامس الهجري).

ـ عقيدة تبغورين مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٢٩٤ ب.

المعصبي، يوسف.

ـ شرح عقيدة تبغورين، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٢٩٥ب.

الموصلي، ابن حماد محمد بن أبي بكر (ت ٧٥٠ هـ).

ـ روضة الأعيان في أخبار مشاهير الزمان، مخطوطة بدار الكتب المصرية، تيمورية تحت رقم ٨٠٩٣ تاريخ.

مؤلف مجهول.

ـ القصيدة الحلوانية، تاريخ نسخها ١٠٢٨ هـ، مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٤٦١ تاريخ.

مؤلف مجهول.

ـ قطعة من كتاب الأديان، مخطوطة بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة تحت رقم ٢٢٢٩٨ب.

مؤلف مجهول.

ـ الملل والنحل، وهو غير كتاب الشهرستاني ألف في القرن السادس الهجري، مخطوطة بمكتبة الأوقاف ببغداد تحت رقم ٦٨١٩.

(ب) المصادر المطبوعة:

ـ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت ٦٣٠ هـ).

ـ الكامل في التاريخ، بيروت، ١٩٦٧.

ـ اللباب في تهذيب الأنساب، القاهرة ١٣٥٧ هـ.

ـ ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (ت ٧٧٩ هـ).

ـ رحلة ابن بطوطة، المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الآثار، بيروت ١٩٦٠ م.

ابن بكار، الزبير (ت ٢٥٦ هـ).

ـ جمهرة كسب قريش وأخبارها، تحقيق وشرح محمود محمد شاكر، القاهرة، ١٣٨١ هـ.

ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن أمية (ت ٣٤٥ هـ).

ـ المحبر، تصحيح الآنسة الزاششتر، حيدر آباد ١٩٤٢.

مختلف القبائل ومؤتلفها، نشره المستشرق فردنياند فستلفلد طبع بمدينة غونا سنة. ١٨٥٠.

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢ هـ).

ـ تهذيب التهذيب، حيدر آباد ١٣٢٧ هـ.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦ هـ).

ـ جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة دار المعارف ١٩٧١ م.

ـ الفصل والعلل والأهواء والنحل، بغداد مكتبة المثنى ١٣٢١ هـ.

ابن الحسين، ابن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (ت ١١٠٠ هـ).

ـ غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبد الفتاح، القاهرة ١٩٦٨.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ١٨٠٨).

ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت ١٩٥٧ م.

ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد (ت ٦٨١ هـ).

ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٠ م.

ابن خياط، أبو عمرو، خليفة (ت ٢٤٠ هـ).

ـ تاريخ خليفة، تحقيق سهيل زكار، دمشق ١٩٦٨ م. والطبعة الأخرى تحقيق د. أكرم ضياء العمري، النجف الأشرف ١٩٦٧ م.

ـ الطبقات، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، بغداد ١٩٦٧.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١ هـ).

ـ الاشتقاق، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة ١٩٥٨ م.

ابن رزيق، حميد بن محمد (من علماء القرن الثالث عشر الهجري).

ـ الفتح المبين في سيرة سادة البوسعيد، نشره بادجر باللغة الانجليزية ١٨٧١ م.

ابن سعد، محمد (ت ٢٣٠ هـ).

ـ الطبقات الكبرى، بيروت ١٩٠٠٠٨ م.

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ).

ـ العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٩٥٣ م.

ابن العراق، نعمان بن محمد (من علماء القرن العاشر الهجري).

ـ معادن الجواهر بتاريخ البصرة والجزائر، تحقيق الدكتور محمد حميد الله، إسلام آباد باكستان، ١٩٧٣ م.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الكريم بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ).

ـ المعارف، تحقيق ثروة عكاشة، دار الكتب، القاهرة ١٩٦٠ م.

ابن كثير، أبو الفدا عماد الدين (ت ٧٧٤ هـ).

ـ البداية والنهاية، بيروت، ١٩٦٦ م.

الكرماني، محمد بن يوسف بن علي (ت ٨٨٦ هـ).

ـ الفرق الإسلامية ذيل كتاب شرح المواقف للكرماني، تحقيق سليم عبد الرسول، بغداد ١٩٧٣ م.

ابن ماجد، شهاب الدين أحمد.

ـ كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، تحقيق إبراهيم خوري وعزة حسن، دمشق ١٩٧١ م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ).

ـ لسان العرب، بيروت، ١٩٦٨ م.

ابن النديم، محمد بن إسحاق (ت ٢٨٧ هـ).

ـ الفهرست، بيروت ١٩٦٤ م.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، (توفي في أواخر العقد الثاني من القرن الثالث الهجري).

ـ السيرة النبوية، تحقيق محي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٣٨٣ هـ.

أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢ هـ).

ـ تقويم البلدان، تصحيح رينود، باريس ١٨٤٠ م.

الأزدي، أبو زكريا يزيد بن محمد (ت ٣٣٤ هـ).

ـ تاريخ الموصل، تحقيق د. علي حبيبة، القاهرة، ١٩٦٧ م.

الاسفرايني، أبو المظفر شاهفور بن طاهر محمد (ت ٤٧١ هـ).

ـ التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية، تحقيق محمد زاهد، القاهرة ١٩٥٥ م.

الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٢٤ هـ).

ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تصحيح هـ. رينر، استنانبول ١٩٣٠ م.

الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت ٣٤١ هـ).

ـ المسالك والممالك، تحقيق جابر عبد العال، القاهرة ١٩٦١ م.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦ هـ).

ـ الأغاني، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، بيروت، ١٩٦١ م.
البرادي، أبو الفضل، أبو القاسم بن إبراهيم (من علماء القرن الثامن الهجري).
ـ الجواهر المنتقاة في اتمام ما أخل به كتاب الطبقات قسطنطنية، الجزائر، طبعة حجرية، ١٣٠٥ هـ.
البستي، أبو حاتم محمد بن حيان، (ت ٣٥٤ هـ).
ـ مشاهير علماء الأمصار، تصحيح م. فلاشهمر، القاهرة ١٩٥٩ م.
البسيوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧ هـ).
ـ المعرفة والتاريخ، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، بغداد ١٩٧٥ م.
البسيوي، أبو الحسن علي بن محمد العماني (من علماء القرن الخامس الهجري).
ـ مختصر البسيوي، زينجبار، طبعة حجرية، ١٣٠٤ هـ.
البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (ت ٤٦٣ هـ).
ـ تاريخ بغداد، القاهرة، ١٩٣١ م.
ـ البغدادي، عبد القادر بن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩ هـ).
ـ الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، لات.
ـ الفرق بين الفرق، بيروت ١٩٧٣ م.
ـ البلاذري، أحمد بن يحيى بن أبي جابر (ت ٢٧٩ هـ).
ـ أنساب الأشراف، بأشراف جونة، القدس، ١٩٣٨ م.

ـ فتوح البلدان، القاهرة، ١٩٥٦ م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ).

ـ البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٤٨ م.

ـ الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة ١٩٣٨ م.

الجيطالي، إسماعيل بن موسى، (ت ٧٥٠ هـ).

ـ قناطر الخيرات، القاهرة، ١٩٦٥ م.

الحموي، ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله (ت ٦٢٦ هـ).

ـ المشترك وصفا والمفترق صقعاً، الناشر مكتبة المثلى ببغداد لات.

ـ معجم البلدان، القاهرة، لا ت. وطبعة طهران ١٩٦٥ م.

الحميري، أبو سعيد نشوان بن سعيد. (ت ٥٧٣ هـ).

ـ الحور العين، تحقيق كمال مصطفى، طهران، ١٩٧٢ م.

الحنفي، أبو محمد عثمان بن عبدالله (ت حوالي ٥٠٠ هـ).

ـ الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة، تحقيق د. بشار قوتلوآي أنقرة، ١٩٦١ م.

الذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ).

ـ تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، القاهرة ١٣٦٧ هـ.

الرازي، أبو حاتم، أحمد بن حمدان (ت ٣٢٢ هـ).

ـ الزبدة في الكلمات الإسلامية، تحقيق عبدالله سلوم السامرائي، القاهرة، ١٩٧٠ م.

الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم، (٣٢٧ هـ)

ــ كتاب الجرح والتعديل، حيدر آباد، ١٣٥٧ هـ).

الزبيدي، محمد مرتضى، (ت ١٠٢٥ هـ).

ــ تاج العروس من شرح القاموس المسمى «تاج العروس من جواهر القاموس» بيرون، لا ت.

الزبيري، أبو عبدالله بن مصعب (ت ٣٢٦ هـ).

ــ نسب قريش، القاهرة، ١٩٥٣ م.

السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور، (ت ٥٦٢ هـ).

ــ الأنساب، حيدر آباد، ١٩٦٢ م.

الشماخي، أحمد بن سعيد بن الشيخ عبد الواحد، (ت ٩٢٧ هـ).

ــ كتاب السير، الجزائر، قسطنطينة، طبعة حجرية، لا ت.

الشماخي، عامر بن علي بن سيفا (من علماء القرن السابع الهجري).

ــ الإيضاح (؟، لا ت).

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر، (٥٤٨ هـ).

ــ الملل والنحل، تحقيق محمد سعيد جيلاني، القاهرة ١٩٦١ م.

والطبعة الأنجلو مصرية، لا ت..

شيخ الربوة، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي طالب، (ت ٧٢٧ هـ).

ـ نحبة الدهر في عجائب البر والبحر، بطرسبور، ١٨٦٥ م.
الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت ٣١٠ هـ).
ـ تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٦، وطبعة القاهرة ١٩٧١ م.
العلوي، أحمد بن أبي بكر سميط.
ـ مشارق أنوار العقول، القاهرة، ١٣١٤ هـ.
القزويني، زكريا بن محمد (ت ٦٨٢ هـ).
ـ آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، ١٩٦٠.
القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف، (ت ٦٤٦ هـ).
ـ أنباء الرواة على أنباء النجاة.
القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد، (ت ٨٢١ هـ).
ـ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، نشره علي الخفقاني بغداد، ١٩٥٨ م.
المبرد، محمد بن يزيد الأزدي (ت ٢٥٨ م).
ـ الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة، القاهرة، لا ت. وطبعة بيروت، لا ت.
المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن بن علي (ت ٣٤٦ هـ).
ـ التنبيه والإشراف، بيروت، ١٩٦٥ م.
ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، القاهرة ١٩٥٨ م.
المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد الشافعي، (ت ٣٧٥ هـ).

ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن ١٩٠٦ م.

المقدسي، مطهر.... (ت ٣٢٢ هـ).

ـ البدء والتاريخ، باريس ١٩١٦ م.

المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ).

ـ التخطيط المقريزية، بولاق ١٢٩٤ هـ.

الملطي، أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن. (ت ٣٧٧ هـ).

ـ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، بيروت ١٣٨٨ هـ.

المهري. سليمان بن أحمد بن سليمان.

ـ المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر، تحقيق إبرهيم خوري دمشق، ١٩٧٠ م

مؤلف مجهول.

ـ العيون والحدائق في أخبار الحقائق، نشرته مكتبة المثنى، بغداد، لات.

الناشىء الأكبر، عبدالله بن محمد، (ت ٢٩٣ هـ).

ـ مسائل الإمامة، تحقيق يوسف فان أس، أصدره المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ١٩٧١ م.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، (ت بعد سنة ٢٩٢ هـ).

ـ تاريخ اليعقوبي، النجف، ١٩٦٤ م.

جـ ـ المصادر الحديثة:

ـ أبو العلاء، د. محمود طه.

ـ جغرافية جزيرة العرب، القاهرة، ١٩٧٢ م.

اسماعيل، محمود.

ـ الحركات السرية في الإسلام، القاهرة ١٩٧٣ م.

اطفيش، محمد بن يوسف.

ـ الإمكان فيما جاز أن يكون أو كان، طبعة حجرية، الجزائر، ١٣٠٤ هـ.

ـ شرح كتاب النيل وشفاء العليل يقع في سبعة عشر جزءاً في الفقه الأباضي، بيروت ١٩٧٢ م.

الباروني، أبو الربيع سليمان.

ـ مختصر تاريخ الأباضية، تونس ١٩٣٦ م.

الباروني، عبدالله.

ـ الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الأباضية، تونس، لا ت.

وكلمان، كارل.

ـ تاريخ الأدب العربي، ترجمة، عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر ١٩٧٤.

البكري، صلاح.

ـ تاريخ حضرموت السياسي، القاهرة، ١٩٥٦ م.

الجو مرد، عبد الجبار.

ـ هارون الرشيد، القاهرة ١٩٧٣ م.

الحارثي، سالم بن حمد بن سليمان.

ـ العقود الفضية في أصول الأباضية، دار اليقظة العربية في سوريا ولبنان، لات.

الحامد، صالح.

ـ تاريخ حضرموت، بيروت ١٩٦٨ م.

حسن، إبراهيم حسن.

ـ تاريخ الإسلام السياسي، القاهرة، ١٩٤٥ م، ١٩٦١ م.

الدباغ، مصطفى مراد.

ـ جزيرة العرب، موطن العرب ومهد الإسلام، بيروت ١٩٦٣ م.

الدجيلي، محمد رضا حسن.

ـ فرقة الأزارقة، النجف الأشرف، ١٩٧٣ م.

دكسن، د. عبد الأمير.

ـ الخلافة الأموية ٦٥ هـ/ ٨٦ هـ، ٦٨٤ م/ ٧٠٥ م، دراسة سياسية، بيروت، ١٩٧٣ م.

الراوي، ثابت إسماعيل.

ـ تاريخ الدولة العربية، خلافة الراشدية والأمويين، بغداد، ١٩٧٠ م.

الزركلي، خير الدين.

ـ الأعلام، القاهرة مطبعة كوسنا موس ١٩٥٤ م.

زلوم، عبد القادر.

ــ عمان والأمارات السبع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٣ م.
السالمي، عبدالله بن حميد.
ــ تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، الكويت، ١٩٧٤ م.
ــ جوهر النظام في علم الأديان والأحكام، القاهر، لا ت.
السالمي، محمد عبدالله.
ــ عمان تاريخ يتكلم، دمشق، ١٩٦٣.
السباعي، أحمد.
ــ تاريخ مكة، مكة ١٢١٥ هـ.
السيابي، سالم.
ــ اسعاف الأعيان بسيرة أهل عمان، بيروت، ١٩٦٥ م.
الشايب، أحمد.
ــ تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني الهجري، القاهرة ١٩٧٠ م.
الشريقي، إبراهيم.
ــ التاريخ الإسلامي خلال أربعة عشر قرناً، السعودية، ١٩٧١.
عبد الحميد، د. عرفان.
ــ دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، بغداد، ١٩٦٧ م.
عطية الله، أحمد.
ــ القاموس الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٣ م.
عمر، د. فاروق.
ــ طبيعة الدعوة العباسية، بيروت، ١٩٧٠.

ـ العباسيون الأوائل، ج ١ بيروت، ١٩٧٠ م.

علسان، محمد عبدالله.

ـ تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، القاهرة، ١٩٥٤.

قاسم، د. جمال.

ـ دولة أبو سعيد في عمان وشرق أفريقيا، القاهرة، ١٩٦٧ م.

القرشي، حسن بن أحمد.

ـ بلوغ المرام في شرح مسك الختام، القاهرة، ١٩٣٩ م.

قلماوي، د. سهير.

ـ أدب الخوارج، مصر ١٩٤٥ م.

لوريمر، جون نور دون.

ـ دليل الخليج، القسم الجغرافي، ترجمة المكتب لحاكم قطر، بيروت، ١٩٦٩.

منز، آدم.

ـ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، بيروت ١٩٦٧ م.

معمر، علي يحيى.

ـ الأباضية في موكب التاريخ، القاهرة ١٩٦٤ م.

موسوعة جمال عبد الناصر في الفقه الإسلامي، أصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٣٨٨ هـ.

مؤنس، د. حسين.

ـ عالم الإسلام، القاهرة ١٩٧٣.

د ـ المقالات العربية والإنجليزية:

ــ د. عمر، فاروق.

ــ بيليوغرافيا في تاريخ عمان، مجلة المورد، العدد الرابع، بغداد، ١٩٧٤ م.

ــ ملامح من تاريخ حركة الخوارج الأباضية كما تكشفها مخطوطة الأزكوي، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثاني، بغداد ١٩٧٥ م.

- Bathurst, R.D. Martitime Trade ond Imamate Government (In Arabain Peninonia) londen 1972.

- Encyclopedia Of Islam, Ibadiyya By Lewicki, New Edition.

هـ ـ المراجع الأجنبية:

- Vaglieri, L. V. I. Imamato Ibadita Delle Oman, Anai (R.) Institute Orientale Di Napoli, 1949, PP. 246 - 282.

- Watt, M, Kharijite Thought In The Umayyad Perior, Der Islam, Band 36, 1961 Berilm. PP. 215 - 23.

- Welkinson, THe Origins Of The Omani - State (In Arabian Penindula) Londin, 1972.

- D. Hopwood, Ed, THe Arabian Penunsula Society And Politics 1972.

- Miles, S. B, THe Countries And The Tribes Of The Persian (Sic) Gulf, Vol.I Kondon 1919.

- Omar, F, The Abbasid Caliphate, 132 - 170. Baghdad, 1969 Rubinacci, R, The Ibadis, Religion In The Moddle East. Edi A.J Arbery, Gambridge, 1969. Vol.2.

ABSTRACT

- Until Very Recently We Knew Few Dources On The History Of Oman. The Imprtatant Muslim Historians, Such As Tabari, Yaqubi And Ibn Al - Athir, Do Not Give Details On The Ploitical Or Social Events Which Occurd In Oman During The Umayyad Or The Abbasid Caliphates.

- We Were, However, Able to Discover Now Material Concerning The History Of Oman In Various Manuscripts From Different Libraries. We Shall Endeavour, In This Work, to Extract From These Indigenous, Confused And Illsorted Sources The Most Noto Worthy Events in The History Of The Ibadites Of Oman to Insert Them Into Historical Iacts Of Greaterinuortance, A Thing That Modern Sholars Have have Not Done Yet as For as Our Period Is Concerned.

- Besides, We shala Use sources Which Are Not Utilized Until Now.

- The Ibadiypa Da, Wa Started In Basra, Thecentre Of Kharijite Movements In The Second Half Of Frist century of hijra. the frist Pioneers Who Established This Moderate Line (Ibadiyya) Were Jabir B. Zayd Al - Azdi (d.93 A.A 711AD) and Abdallah b- Ibar died in the reign of abd Al - Malik B. Marwan), The Sect Ibadiyyah Wos Named After Ibn Ibad. Those Leaders And Thir Close Onociates Worked Secretly Bud Activley To Spread The Religiaus As Weel Ad The Peliticel Doctrienes Of Their Da Wa, And Were Able To Succeed In Oman, Hadramout And Yemen Also, Found Ogreat Sesponse In al - Maghrib. This Period Witnessed The Estabilshment Of Two Short - Lived Imamites, The First In Ymen (129 - 132 A.H) And The Seoind In Oman (132 - 134 A, H).

- However, The Du At Saccuded In Founding The Second Ibadite

- Imame In 177 A.H/793 A.D Which Kasted Until 281 A.H/894 - 95 A.D. This New And Strong Imamate Respresented The Reealization Of The Ibadite Docrine As Well As Its Political Programme Most The Imams Are Described By The Omani Sources As Virtuous Mene Acting According To The Ideals Of Islam. Oman Also Witenened Long Periods Of Stability And Economic Prosperity.

- There Was, Howerer, Internal Tribal Opporition To The Ibadites. This Opposition Wad Represented By Mahra Tribes In The Southern Oman, A well Ad By Banu Al Juhunra And Banu A. The Theturning Point In The Hisstory Of The Imamate Was In The Year 273 A.H/886 A.D When The Tribal Opposition Was Able To Overthrow Imam A - Salt B. Malik. And Cicli War Begen Between All Omani Tribes.

- The Abbasids Took The Opportunity And Helped The Orrasition With New Troops From Irag The Abbasid Intervention. Among Other Factors, Helped To Overthrow The Political Entity Fouded By Th Ibadiyya In 280 A.H/893 A.D.

- Sunning Up. The Period Of Al - Kutman In The Ibaryya Movement Shous A Great Deal Of Activity And Organization While in THe Period Of The Deline Of The Imamate We Notice How Triha leamings Played An Out Standing Role In The Politics Of The Re. Gime Zenyprdb.

الفهرس

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع

هذا الكتاب

دراسة تاريخيّة تلقي الضوء على دعوة لا تزال مغمورة هي الدعوة الأباضيّة في الفترة المحصورة بين عام ٦٤ هـ وحتّى سنة ٢٨٠هـ ٦٨٣-٨٩٣م . إذ كان لهذه الدعوة دور سياسي فعّال في أواخر عهد الدولة الأمويّة ، بل إنّها كانت أنشط الحركات الخارجيّة في العصر العبّاسي سواء في المشرق العربي أو في المغرب العربي ، ولهذا كان من الضروري دراسة هذه الدعوة من الناحية السياسيّة لأنّها الدعوة الوحيدة المتبقّية حتّى يومنا هذا ، وقد تركت أثراً كبيراً في التاريخ السياسي المعاصر لإقليم عمان والخليج العربي .

DAR ALHIKMA
Publishing and Distribution
88 Chalton Street, London NW1 1HJ Tel: 44 (0) 20 7383 4037 Fax: 44 (0) 20 7383 0116
E-Mail: al_hikma_uk@yahoo.co.uk Website: www.hikma.co.uk